

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٤٤) المجلد (٥٩) العام [٦٣] جمادى الآخرة ورجب ١٤١٨ هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٧ م

الرائد ..
في ذكراه

الانترنت
.. صديق
أم عدو

التنوير .. الضجة المفتعلة

في الانتماء الثقافي

(الظاهري .. والسلي) .. فضلاء

اليوم الوطني .. فكرة وعبرة



المنهل

مجلة شهرية للأدب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دار المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المفطور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز
بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ -
٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٢٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
- الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال -
المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا -
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس -
عمان ٦٠٠ بيعة - الامارات ٨ دراهم -
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠
أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٢٢١٢٤
● قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
● قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



مما قبل

جرب الطريق الآخر!

في هذه الحياة جملة شبكات من خطوط مختلفة الاتجاه والاهداف، وثلاثة
منها هي الخطوط الرئيسية.

فهذا خط سهل واضح لا يتكلف راكبه شططاً ولا يتحمل رهقا...
وهذا خط آخر وعمر مملوء بالاشواك يعترض سالكيه ضروب من الاعاصير
الهُوجاء.

وذاك خط ثالث هو بين بين... فليس بالشائك الوعر جداً، وليس بالسهل
الهيّن جداً، هو وسط بين حالتي السهولة والامتناع.

يعتاد سلوك الطريق الاول، أولئك الواهنون الضعفاء الذين هانت نفوسهم،
فهانت مطالبها من الحياة، فهم يحتسسون فضلاتها من أقرب الوجوه
التماسا للسلامة من أخط الوجوه... وهؤلاء القوم هم (حتالة) الامم.

ويمتطي ثاني الطرق، أولئك الابطال المغامرون الذين لا يباليون بنصب
جسومهم في سبيل الترفيه عن ضمائرهم وشعوبهم.

هؤلاء القوم هم (الرواد) وهم (القادة) في الامم.

ويسلك ثالث الخطوط فريق ثالث يزمعون أن يمتلوا نورهم على مسرح
الحياة ولكن ليس بين مقاعد النظارة، وهؤلاء هم (العاملون) في الامم.

يحسن بك - يا صديقي القاريء - ان كنت ممن يهفو الى معالي الأمور أن
تحدد مركزك حيال «خطوط الحياة» الثلاثة... فإذا قدر لك النجاح فحذار
من أن تركب سفينة الغرور والاطمئنان... فإن من ركب هذه السفينة اغرقته
الحياة وإذا لم تصل الى هدفك المنشود في طريق من طرق الحياة، فحذار
من أن تركبك هواجس الهم واليأس.

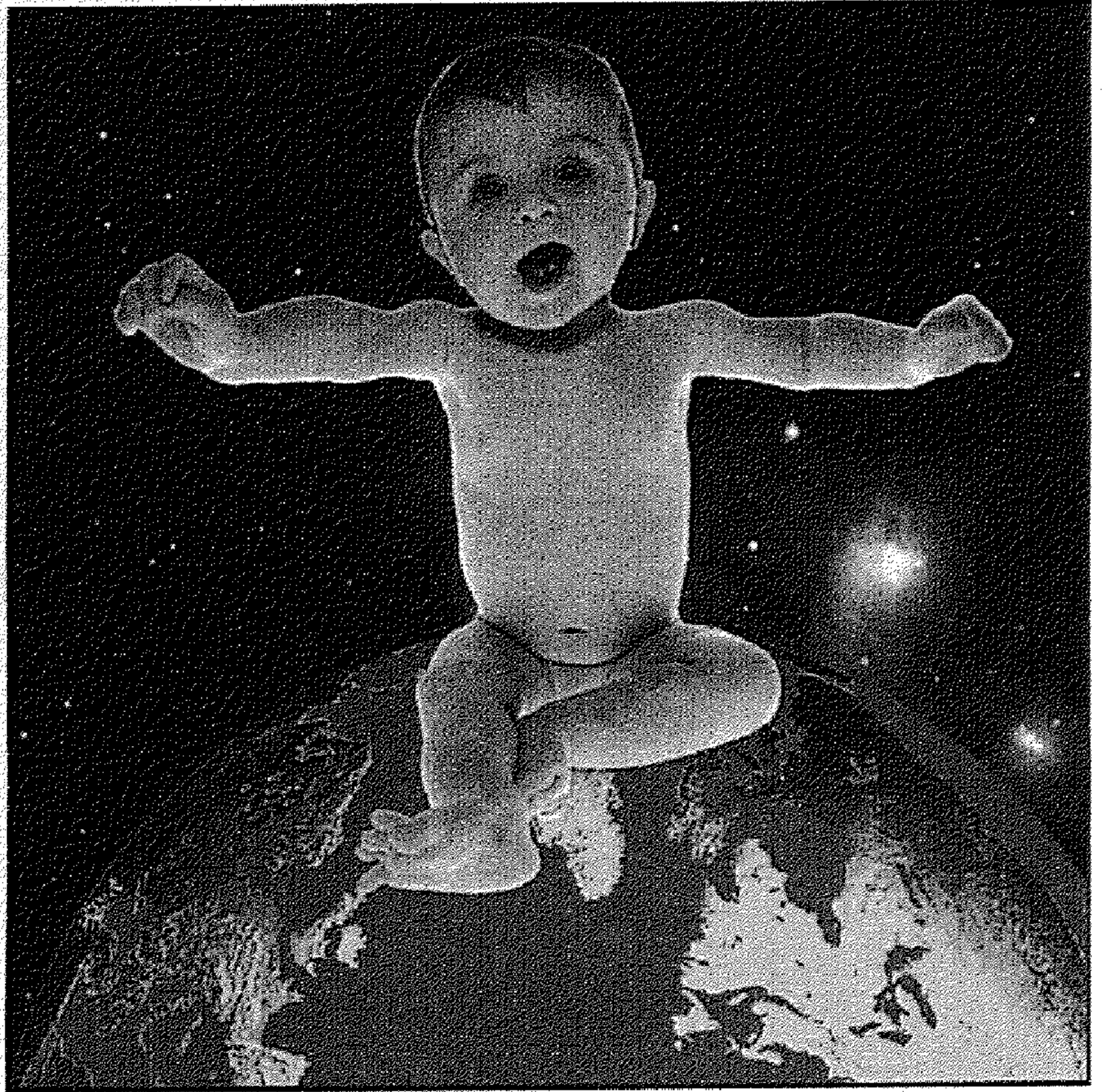
... جرب الطريق الآخر!

«عبد القدوس الأنصاري»

ربيع الثاني ١٣٦٦هـ / مارس ١٩٤٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقطة الشهر



الأرض تحترق ..
تحترق .. تحترق ..
إنها صرخة البريء ..
ترى .. هل يسمع الكبار؟ ..
هل يرفعون الكبار؟ ..
هل يستحي الكبار؟

إشارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الإسهامات عناصر الجودة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٦٧.٦٠٦ - فاكس: ٦٦٠.٤٦٧٦

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.هـ / عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القاريء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



فلاف العدد

خالد المنهل

Almanhal
مجلة شهرية للادب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٤٤)

المجلد: (٥٩)

السام: (٦٣)



اليوم الوطني فكرة .. وعبرة

الكل خائف وجل .. على نفسه
وماله وعرضه
تعاليم الدين غائبة عن ذاكرة
تلك القبائل المتناحرة.
فكان منه العزم والجد
والصبر ..

وكان التوفيق حليفه ..
فما طلعت شمس ذلك اليوم
الأغر إلا والجزيرة مملكة ..
مملكة موحدة.
مملكة موحدة الانحاء ..
مؤتلفة الأرجاء
وجاء من بعده بثوره الأبرار ..
شهدوا المشاهد كلها من قبل
وشاركوا فيها.
فجاء كل انجازهم بدراية وكفاية
والآن ..
فلتهنا المملكة ..
بمليكها .. وبنيها ..
ومجدها ..

رئيس التحرير

من من الزمان في
ذاكرة الأجيال، لا يمر
تعر عاديات الحياة، لا
سيما أن هذا القرن ظلت
أمة حبلت بأحداث
..

جهاد وكفاح بالنفس
نفس من أجل صنع
أمة ..

أمة، تبني للمجد صرحاً
مخاً

أمة تحرس ما ابتنته
ما

حافضة، وعناية وتطوراً
قرن من الزمان في عمر
هذا البلد الحبيب.
إنه يقول الكثير والكثير ..
جاء الملك عبد العزيز ليواصل
جهاد وكفاح أجداده
جاء فوجد الناس فوضى،
قبائل متفرقة .. متناحرة
قتل وسلب ونهب ..

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة
التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفة للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات
للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع
الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف
والمطبوعات د.م.م/ الكويت ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الإعلانات: يراجع بتأنيدها الإدارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

الشهر

- ٤ - اليوم الوطني .. مشرق الصفحات - عبد الله بن حمد الحقييل.
- ٥ - في ذكرى اليوم الوطني - د. أمين ساعاتي.
- ١٤ - توحيد المملكة - سعد بن عبد الله المليص.
- ١٨ - مزيد من التقدم والرفق - المنهل.
- ٢١ - معجزات (شعر) - احمد عبد السلام البقالي.
- ٢٢ - كتابة الحديث وتكوين السنة (٢١) - د. عبد الحميد التسماني شبكوة.
- ٣٢ - في القصص النبوي (٤١) - د. عبد الباسط حمودة.
- ٤٢ - الاعجاز الفني في القرآن الكريم (٣٢) - د. احمد احمد غريب.
- ٤٦ - طه حسين عميداً للتطوير العربي - انور الجندي.
- ٥٢ - في الانتماء الثقافي (٦١) - د. محمد عمارة.
- ٥٨ - مفهوم الاعلام في المنظومة الإسلامية - د. عبد السلام بنهروال.
- ٦٢ - الانترنت .. صديق أم عدو - د. شذى الدركزلي.
- ٧٨ - النفس الانسانية في المنظور الاسلامي - د. رضا عبد الحكيم.
- ٨٥ - مجلة السائح العدد (١٠١).
- ١٠٥ - إله العرش (قصيدة) احمد صندوق حياتي.
- ١٠٦ - (فضلا عن) - أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري.
- ١١٤ - اعلام وأعمال - د. عمر بن قينة.
- ١١٨ - في ميدان الكلمة - حوار عقيل ناجي المسكين.
- ١٢٤ - رحلة في الذاكرة (٤٢) - د. محمد رجب البيومي.
- ١٢٩ - مجلة من العدد (١٠٤).
- ١٤٢ - شذرات الذهب (٢٨) - د. أبو حسام.
- ١٤٦ - في ذكراه (ملف خاص بالأستاذ عبد القنوس الانصاري).
- ١٥٨ - عسك الختام - د. طاهر تونسي.

ويبقى المجد بالخير نرجا

- اليوم الوطني .. فكرة وعبرة ص ٤
- الانترنت صديق أم عدو ص ٦٢
- التنوير .. الضجة المفتعلة ص ٤٦
- (فضلا عن) .. جدال وجدال ص ١٠٦
- في ذكراه (ملف خاص) ص ١٤٦
- في الانتماء الثقافي ص ٥٢
- النفس في المنظور الاسلامي ص ٧٨

أقلام:

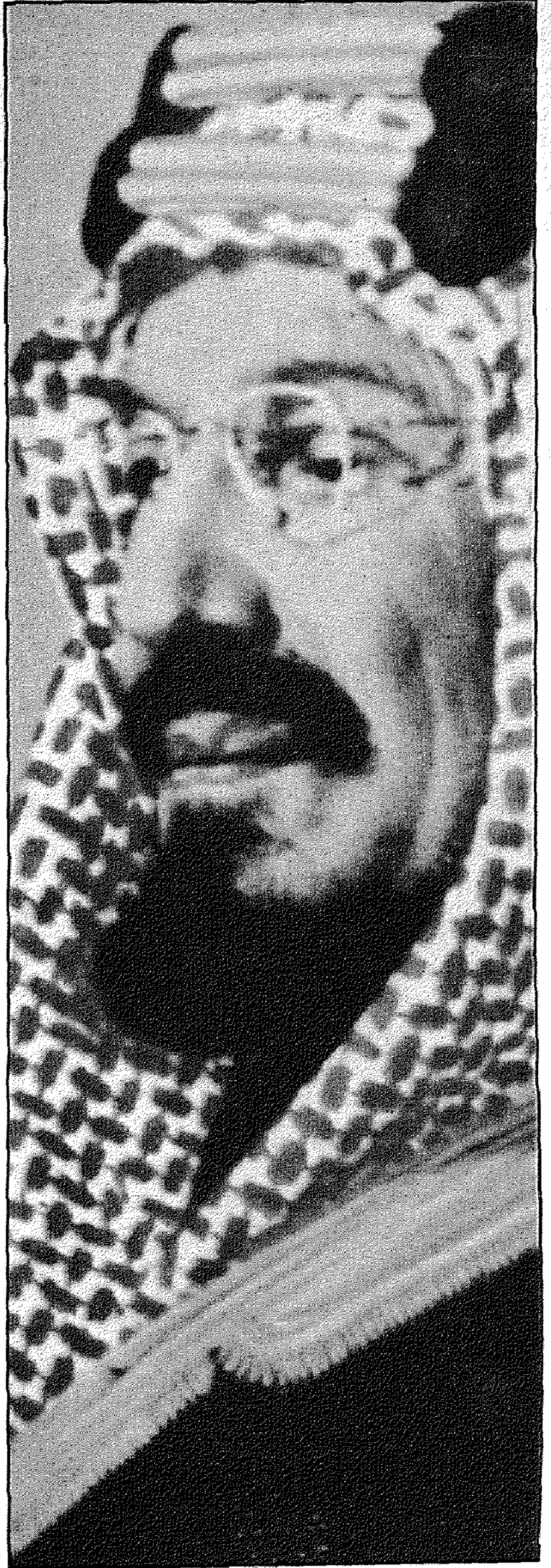
- د. أمين ساعاتي
- د. محمد رجب البيومي
- الأستاذ عبد الله بن خميس
- د. عبد الرحمن الانصاري
- الأستاذ محمد صلاح الدين
- د. رضا عبد الحكيم
- د. عبد الحميد التسماني
- د. شذى الدركزلي

يوم مشرق

تحتفل بلادنا اليوم بذكرى تأسيسها،
ففي مثل هذا اليوم من برج الميزان ١٧
جمادى الاولى ١٣٥١هـ المصادف ٢٣
سبتمبر ١٩٣٢م أعلن عن تأسيس المملكة
العربية السعودية وهو التاريخ الذي حمل
هذه التسمية للمملكة بموجب الأمر الملكي
الكريم رقم ٢٧١٦ في ١٧/٥/١٣٥١هـ.

فالיום الوطني لبلادنا يوم مشرق
الصفحات وضاء المعالم، وهكذا تتجدد هذه
الذكرى التاريخية الغالية ونحن نسير على
نهج المؤسس الاول الملك عبد العزيز، الذي
جمع الأمة ووحدتها فهي ذكرى تتجدد كل
عام وذكرى لانجاز كبير وتاريخ عظيم
ومسيرة حافلة بملاحم البطولة .. فالיום
الوطني تربية وطنية وخلقية ودينية وتربط
وتعاون واخلاص ووفاء وايمان وعطاء، فهو
رمز لمسيرة كفاح طويل، وسجل مشرق
الصفحات لتاريخ حافل بالمواقف
والبطولات، لقائد هذه الامة، ومؤسس
كيانها جلالة
الملك عبد

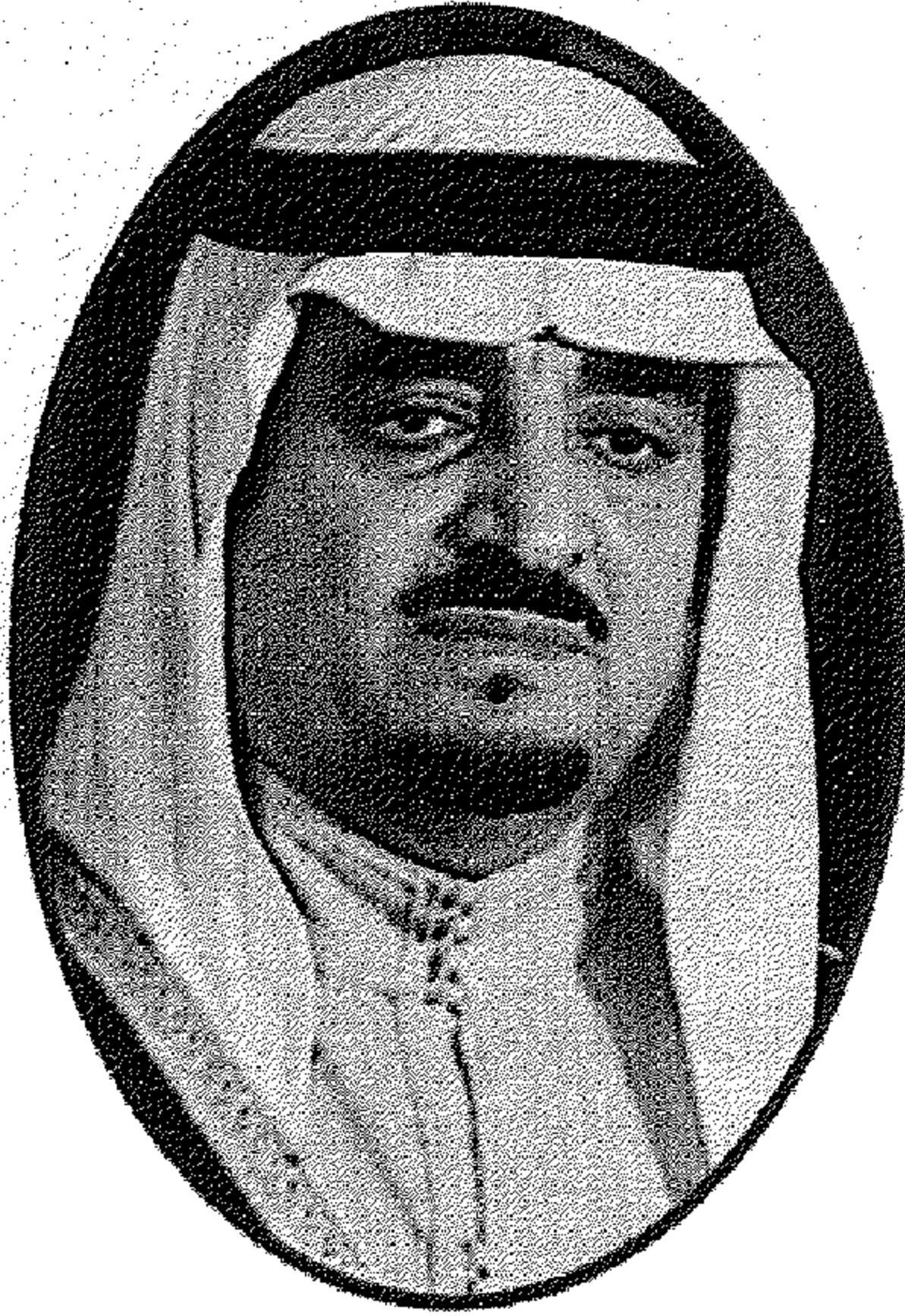
عبدالله بن محمد الحقييل
- الرياض -



الصفحات وضاء العالم



سمو النائب الثاني
الأمير سلطان بن عبدالعزيز



خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز

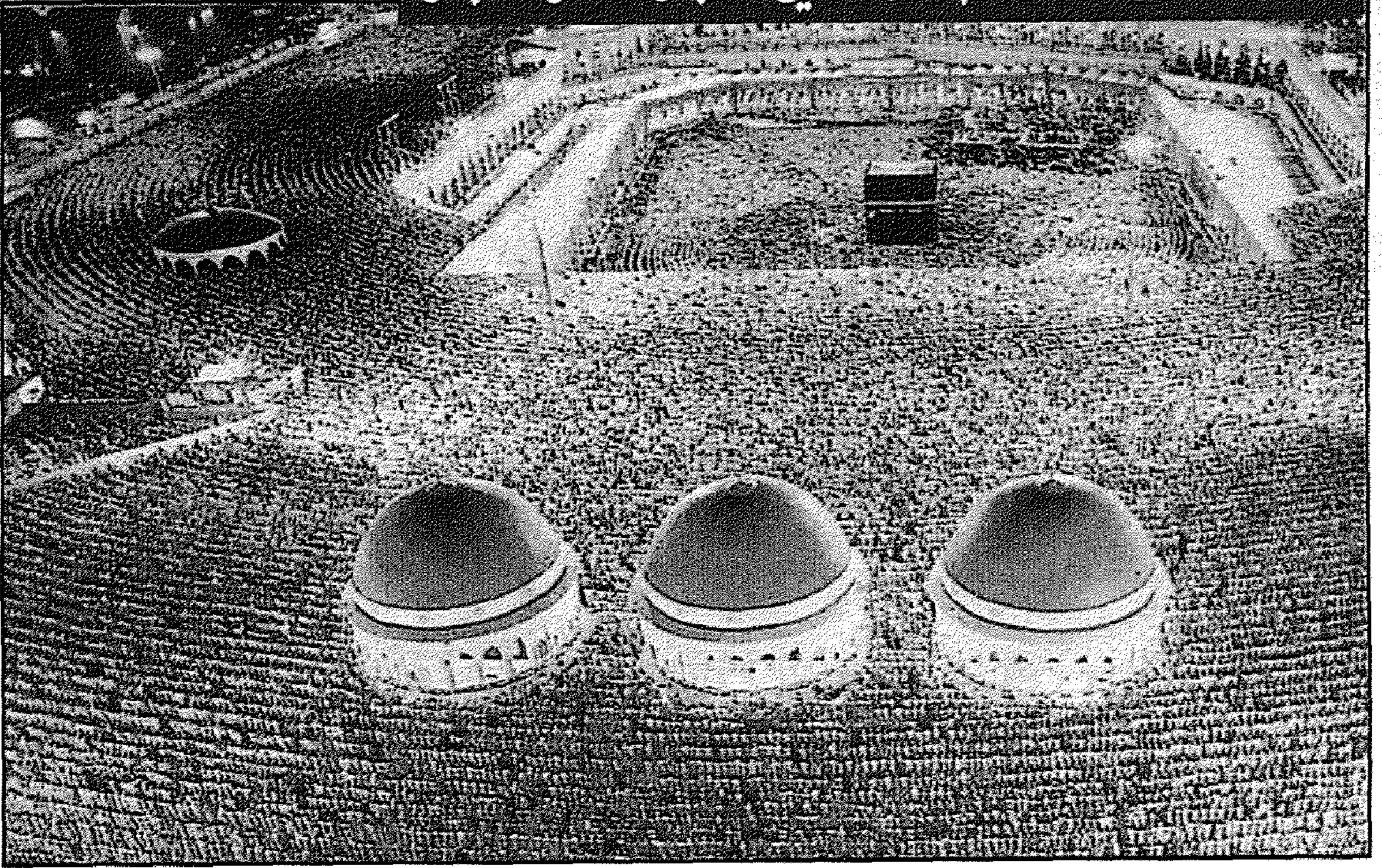


سمو ولي العهد
الأمير عبدالله بن عبدالعزيز

الامن والطمأنينة في ربوع البلاد بعد أن كان بعيد المنال، واندثرت على يديه اسباب النزاعات، وحل محلها الائتلاف والوئام والوفاق، وتلاقت الغايات جميعها لخدمة هذا البلد الأمين.. لقد كان رحمه الله قائدا بارعا حقق انتصارات مجيدة غيرت كثيرا من مجريات التاريخ فقد كان علما شامخا من اعلام زعماء الاصلاح في العالم العربي والاسلامي في هذا القرن.. ولقد وطن البادية، وهي التي عاشت

العزیز یرحمه الله، حيث قادها من نصر الى نصر متغلبا على كل المتاعب، ومتخطيا كل المصاعب، في كفاح متواصل ومصارعة للظروف القاسية، امتد حوالي أربعين عاما، منذ استرد الرياض عام ١٣١٩هـ، وبتوفيق من الله عز وجل، ثم بعزيمة كأنها الفولاذ، استطاع ان يوحد الصفوف بعد أن توحدت القلوب على نصرة عقيدة التوحيد، واستطاع أن يجمع الكلمة بعد أن كان الخلاف والشتات وهو السمة البارزة، ووفر

ملف خاص: اليوم الوطني انجاز .. واعجاز



الحرم المكي الشريف

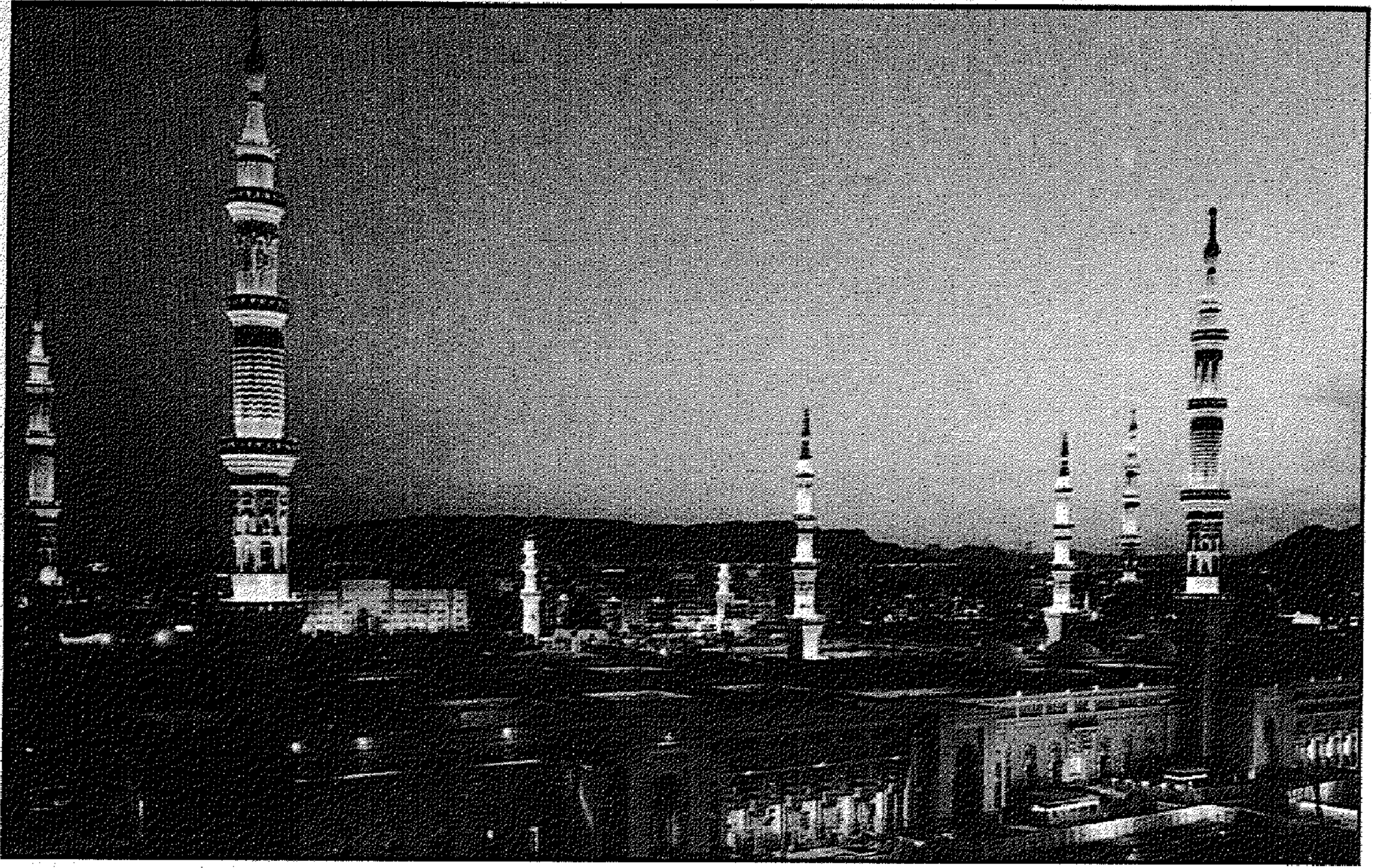
ومضيت من شرق الجزيرة هازناً
بالأقوياء ولم يهلك خمار
فاذا الشمال مع الجنوب وغربها
دعم لعرشك والحدود بحار
ولقد عدد خير الدين الزركلي المزايا
الشخصية التي يتحلى بها الملك عبد العزيز
فيقول:

تطاحن الفرسان وهو كأنه
ما بينها علم يموج وحيد
لا تبلغ الاسياف من جثمانه
الا كما خدش الحديد حديد
عرش بناءه على النضال عماده
ودعامه الايمان والتسديد
ضم القلوب موحداً أشتاتها
لله ثم لشعبه التوحيد

التاريخ كله تضرب الفيافي وتجوب
الصحارى والقفار، لا تعرف الراحة
والاستقرار حتى تجد الماء والمرعى، فتستقر
الى حين، ثم تعود الى الترحال، فإذا بها
على يديه تقرر وتستقر، من عناء الدهر
الطويل الذي عاشته في رحيل وترحال،
وفزع دون استقرار، وإذا التاريخ يسجل
صفحات مشرقة لهذا العمل المجيد .

لقد كان للملك عبد العزيز مآثر خالدة
وذكر حافل مجيد واعمال تاريخية ناصعة،
ولقد قال الشاعر احمد بن ابراهيم الغزاوي
في ٢٣/٤/١٣٥١هـ يصف نواحي عظمة
الملك عبد العزيز:

عبد العزيز وطئت هامات العلا
وبك استطالت يعرب ونزار



الحرم النبوي الشريف

ويصدرون بعض المنتجات الى الخارج، وهم آمنون على أموالهم وأرواحهم، وصارت قوافل الحجيج تفد من كل فج وصوب، وهي أمنة في بيت الله الآمن، وفي ارض الامان، وسجل التاريخ في هذا المجال صفحات مشرقة حتى استقر الأمن في ربوع البلاد .
إن تاريخ الملك عبد العزيز ثري ومتنوع يعطي قارئه روافد مستمرة وتفصيل كثيرة، هذا قليل من كثير نذكره في يومنا الوطني، الذي نعتز به لأنه ثمار جهد كبير، وكفاح متواصل، وعمل فاق كل تصور، وأعظم تلك الثمار هو ما نعيشه اليوم، ونجنيه في عصرنا الميمون، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وسمو ولي عهده الأمين . . ووفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه .

فقد أخذت البلاد في النمو بعد أن عرفت الأمن والرخاء، وعرفت كل بلدة وقرية طريقها الى ذلك النمو، فكانت بداية ذلك الاهتمام بالتعليم الذي ينمي العقل ويثري الفكر، ثم الرعاية بصحة الفرد لان العقل السليم في الجسم السليم، فانشئت المدارس، والمستشفيات، وكافة الخدمات الاخرى وسجلت في هذا المجال صفحات مشرقة لهذا العمل المجيد لتغلبه رحمه الله على ما واجه فيه من مصاعب .

كما نهضت التجارة والصناعة بسبب استقرار الأمن في ربوع البلاد، واخذ التجار يزاولون نشاطهم في أمن وأمان وأخذوا يجوبون طول البلاد وعرضها، ويجلبون الى البلاد ما تحتاجه من سلع،

في ذكرى اليوم الوطني

عهد الملك عبد العزيز تعج بالخلافات بين شيوخ القبائل وتتسع الانقسامات والحروب بين الدويلات المتطاحنة، ولعب الاستعمار الأوروبي دوراً كبيراً في تأجيج الخلافات بين هذه الدويلات المتنازعة.

ولكن الملك عبد العزيز الذي توافرت له صفات المؤمن القوى والشجاعة النادرة والوعي السياسي الغالب، استطاع أن يتجاوز كل المعوقات وينشيء دولته العربية الإسلامية الخالصة.

وكانت الخطوة الأولى نشر دعائم التعاليم الإسلامية وإقامة القضاء الإسلامي والمؤسسات الدينية في المدن والقرى كي تؤدي دورها في بناء الأمة وتربية النشء، ثم كانت خطواته التالية الممثلة في تثبيت وتوطيد دعائم الأمن والأمان والاستقرار في كل مكان من أنحاء المملكة الشاسعة وقطع دابر المفسدين وقطاع الطرق والمرجفين.

ثم شمل برنامج حكم الملك عبد العزيز كل الأوجه التي تمس حياة المواطن والمواطنة، فأمر بمجانية التعليم ونشر المدارس والمعاهد في كل مكان وأرسل البعثات في مختلف ميادين المعرفة والعلوم، وفتح المستشفيات وبنى القوة العسكرية حتى جعل هذه القوة هي أقوى قوة عسكرية في بلاد العرب يومذاك. أما

لم يعد اليوم الوطني مجرد مناسبة دبلوماسية تحتفى بها سفارات خادم الحرمين الشريفين فحسب، بل أصبح الاحتفال باليوم الوطني جزءاً هاماً من تقاليد الإنسان السعودي التي يستعد لها ويحتفى بها ويجدد على الطريق ولأهه لملكه ووطنه وأمته.

اليوم الوطني بهذا المعنى هو علامة مضيئة في تاريخ الأمة السعودية، وهو محطة تتجدد في كل عام لمراجعة منجزات البناء والتنمية.

ومن الأشياء التي نلاحظها في كل عام ونحن نعيش ذكرى اليوم الوطني، هو أننا كلما كتبنا عن الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، نشعر بأننا في أمس الحاجة إلى مزيد من الكتابة عنه، بل أكثر من هذا، فكلما اخضعنا منجزات الملك عبد العزيز للدراسة العلمية المحايدة، كلما احتجنا إلى فيض زاخر لا ينتهي من الدراسة والتحليل. .. إنها باختصار معجزة القيادة التي منحها الله سبحانه وتعالى للملك عبد العزيز القائد المؤسس.

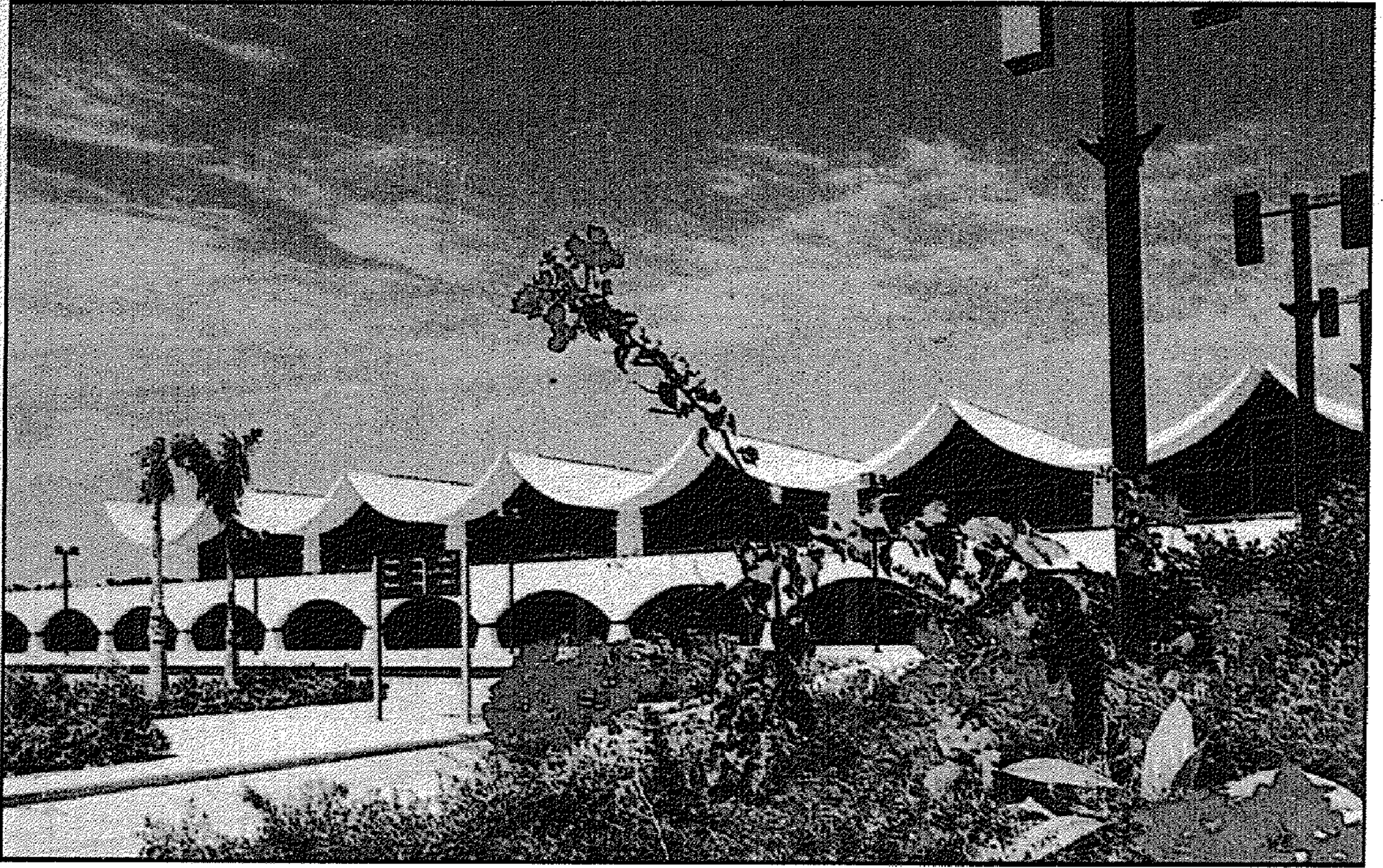
لقد أقام الملك عبد العزيز نموذج المملكة العربية السعودية على مبادئ التوحيد وعلى كتاب الله وسنة رسوله {صلى الله عليه وسلم}، ثم شرع في بناء مؤسسات الدولة الوليدة في زمن قصير وبنجاح منقطع النظير.

لقد كانت شبه الجزيرة العربية قبل

بقلم :

ه. أمين ساهاتي

خبير العلاقات الدولية بجامعة الدول العربية



مطار الملك خالد في الرياض

ولكن الإسلام جعلنا سادة ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته واتباع سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم] ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا ولا ننساها. كل حرية باطلة إلا حرية الإسلام والإنسان لا ينفع إلا بدين الإسلام. وفي عهد الملك عبد العزيز كانت المملكة إحدى الدول الست التي وقعت في عام ١٩٤٥م على ميثاق إنشاء جامعة الدول العربية دعماً للعرب وتحقيقاً لتضامنهم ووحدتهم.

أما خطوة تكريس اسم المملكة العربية السعودية بدلاً من اسم مملكة الحجاز وسلطنة نجد، فقد اتخذها الملك عبد العزيز في عام ١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م حينما أصدر أمراً ملكياً أشار فيه إلى أنه بناء على طلب الأهالي فإنه يأمر بتغيير اسم المملكة من مملكة الحجاز وسلطنة نجد وتوابعها إلى اسم المملكة العربية السعودية وذلك تعبيراً عن الوحدة الوطنية بين

الحرمان الشريفان فلقد وضعهما في قمة اهتماماته وكان يقول أنه شرف لي أن أنادي باسم خادم الحرمين الشريفين على أن أنادي بلقب ملك، ولقد أمر جلالته يرحمه الله بإنشاء هيئة من كبار العلماء لخدمة ورعاية البيت الحرام ومسجد المصطفى [صلى الله عليه وسلم]، كما أمر جلالته بالبدء في توسعة المسجدين الشريفين.

أما بالنسبة لسياسته الخارجية فلقد كانت سياسية عربية إسلامية خالصة وكان يشدد القول: أنا عربي ولست متطفلاً على الرئاسة والملك وإن أبائي وأجدادي معروفون بالرئاسة والملك... أنا عربي وأحب قومي والتألف بينهم وتوحيد كلمتهم وأبذل في ذلك مجهوداتي ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه مصلحة العرب وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم. ثم قال ما كنا عرباً إلا بعد ما كنا مسلمين كنا عبيداً للعجم

اعلى من مستواها، ومن ثم تجاوز ذلك المستوى إلى إرساء الكيان، ثم تسخير التنمية للبناء والشموخ.

إن التحديات التي واجهها الملك عبد العزيز والتي واجهها من بعده أبناؤه البررة وآخرها حربا الخليج الأولى والثانية .. هي التي أظهرت مواهب القيادة الصالحة فيهم جميعاً، وهي التي مكنت الأمة من صنع تاريخها الماجد الرشيد.

وها نحن اليوم نجنى ثمار الغرسة التي غرسها الملك الباني عبد العزيز يرحمه الله، ونسعد بأريج حدائقها التي حرص على إنمائها وتنميتها أبناؤه الملوك سعود وفيصل وخالد - رحمهم الله - وخادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - .

إن الملك عبد العزيز كان نتاج مرحلة من أخطر المراحل، ومع ذلك كانت مواهبه القطرية زاخرة تواجه المخاطرة برباطة جأش، وتحولها إلى انتصارات تجسدت في سلسلة من التوحيد وسلسلة من البناء والعمار .. واليوم الوطني الذي نعيشه في أول الميزان من كل عام .. هو رمز هذه الانتصارات وتلك الإنجازات التي لا يفخر بها سكان المملكة فحسب، بل يفخر بها كل دعاة الوحدة العربية والإسلامية، كما يفخر بها كل الذين يفرحون بإخلاص للتقدم والإنجاز في كل مكان.

وإذا كان لكل قائد من قواد التاريخ مفتاح شخصية مميز فإن مفتاح شخصية الملك عبد العزيز الذي استخدمه ليفتح به سبل إنشاء مملكته الفتية .. هو الإخلاص، ثم العمل على

كافة مدن وقرى وهجر مملكته الحديثة الياقة. كما نص الأمر الملكي بأن يكون اليوم الأول من فصل الميزان هو اليوم الوطني للمملكة.

إن النواة التي تشكلت منها المملكة العربية السعودية وجعلت ولادتها ولادة طبيعية وقوية .. هو أن المملكة ولدت في قلب الجزيرة العربية، طرفها الشرقي يمثل الجزء الأكبر من الخليج العربي وطرفها الغربي يحتضن أطهر بقعة على الأرض مكة المكرمة والمدينة المنورة التي جعلها الله مثاباً وأمناً للناس أجمعين. لذلك فإن الهوية الوطنية للمملكة تمثل التوازن الأمثل بين المركز وطرفي الرحي. فالدولة التي تولد في قلب بلاد العرب لابد أن تكون ذات هوية عربية، والدولة التي يقع أحد طرفيها في الخليج لابد أن تكون ذات هوية خليجية. وهي قبل ذلك وبعده تحتوي العروبة والخليجية في بوتقة الدين الإسلامي الأقوم.

أي أن مركز الدائرة للهوية السياسية في المملكة .. يتجسد في الدين الإسلامي، وحول خاصرة هذه الدائرة تقع العروبة، وحول خاصرة العروبة تلتف الوحدة الخليجية لتمثل حلقة من حلقات الوحدة العربية.

إن اليوم الوطني هو فرصة مهمة للتعامل مع الحقائق.

حقائق التأسيس الذي وضع لبناته الأولى الملك عبد العزيز.

وحقائق التنمية التي اضطلع بها أبناؤه البررة من بعده.

والتعامل مع الحقائق هو السبيل الأنسب للاستجابة الناجحة للتحديات والارتفاع إلى



التطوير الزراعي في المملكة

مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وقال يرحمه الله مقولته المشهورة: كل ما ندعو إليه هو جمع كلمة المسلمين واتفاقهم ليقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام بلادهم، والذي نشهد الله عليه ونحن أوسطكم في الإسلام وأوسطكم في العربية... أننا لا ننام ليلة إلا وأمور جميع المسلمين همنا.

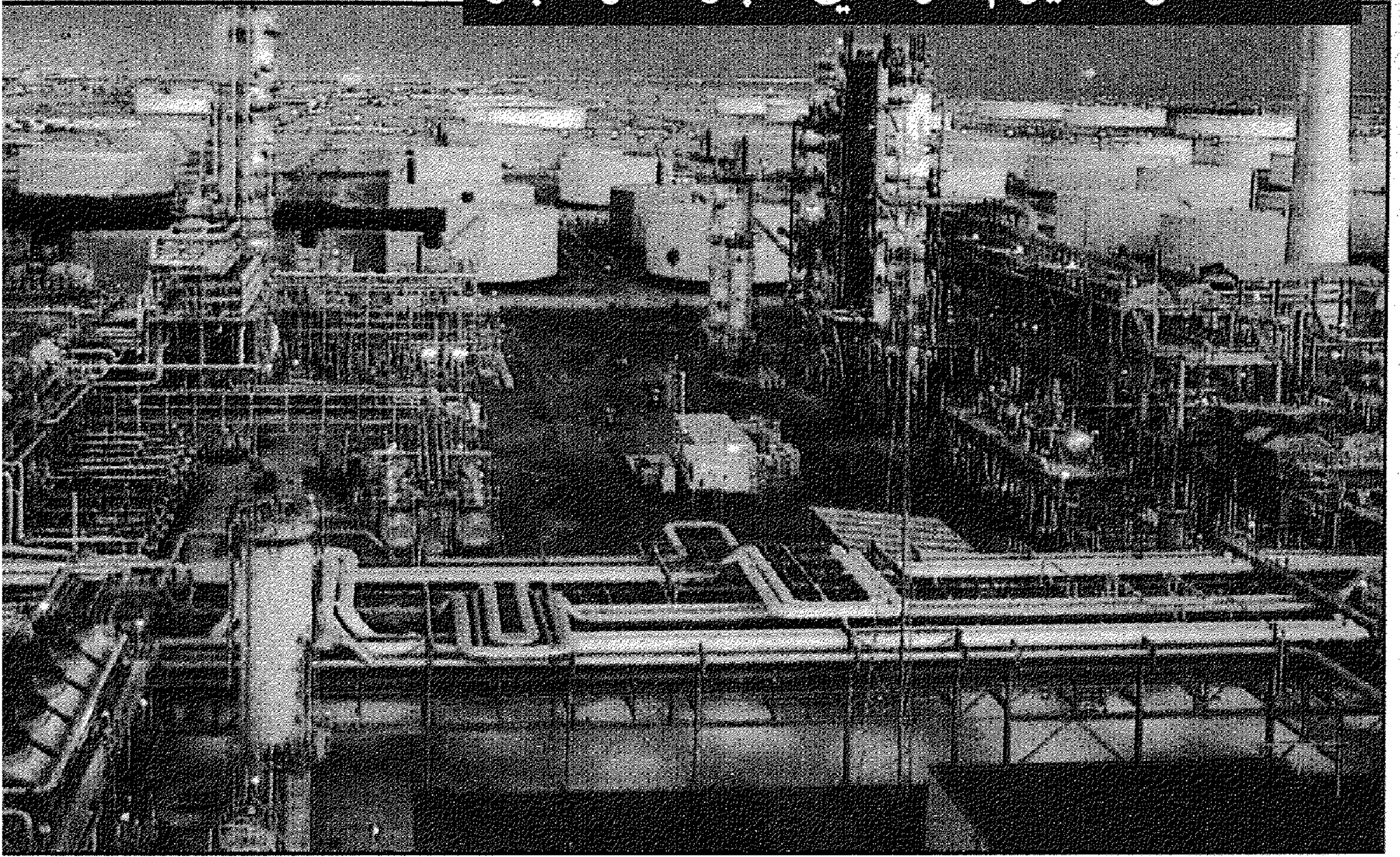
ورغم أنني أقرأ بعض ما تفرزه بعض الصحف المفرضة ومراكز البحوث الإقليمية المتشعبة من موضوعات تغمز المملكة إزاء بعض مواقفها العربية والدولية، فإنني أقرأ باهتمام أكبر الكثير مما تصدره بعض المراكز التي تحترم نفسها وتحرص على إنتاج الدراسات الموضوعية الملتزمة البعيدة عن النزق السياسي والهوى الشخصي.

ولقد تأكدت بعد قراءاتي هنا وهناك، أن الحقائق هي سيدة الموقف دائماً، وإن

إنقاذ شعوب الجزيرة العربية وتحقيق الوحدة أو التوحيد بين دويلاتها وقبائلها. أي أن الملك عبد العزيز يرحمه الله وضع منهاج بناء المملكة على هذا المصطلح «الوحدة»، وسعى إليها هدفاً ومقصداً حتى تمكن بالفعل من تحقيق الوحدة بين أطراف شبه الجزيرة العربية، وهكذا أصبحت الوحدة بين الدويلات المتفرقة في شبه الجزيرة مثلاً راقياً ومستهدفاً لكل الذين يطالبون بالوحدة العربية.

ولكن الذي يميز الملك عبد العزيز عن غيره في سعيه إلى تحقيق وحدة كياننا الكبير، هو أنه سعى إلى تحقيق وحدة شبه الجزيرة عبر هويتها الإسلامية الخالدة، فنادى بالإسلام ديناً وهوية ومبدأً، وأكد بأن لا يسن قانون في هذه البلاد إلا بما يتمشى مع مبادئ ديننا الإسلامي الأقوم.

ثم نادى بالوحدة بين العرب على أساس



الانشاءات الصناعية الكبرى بالمملكة

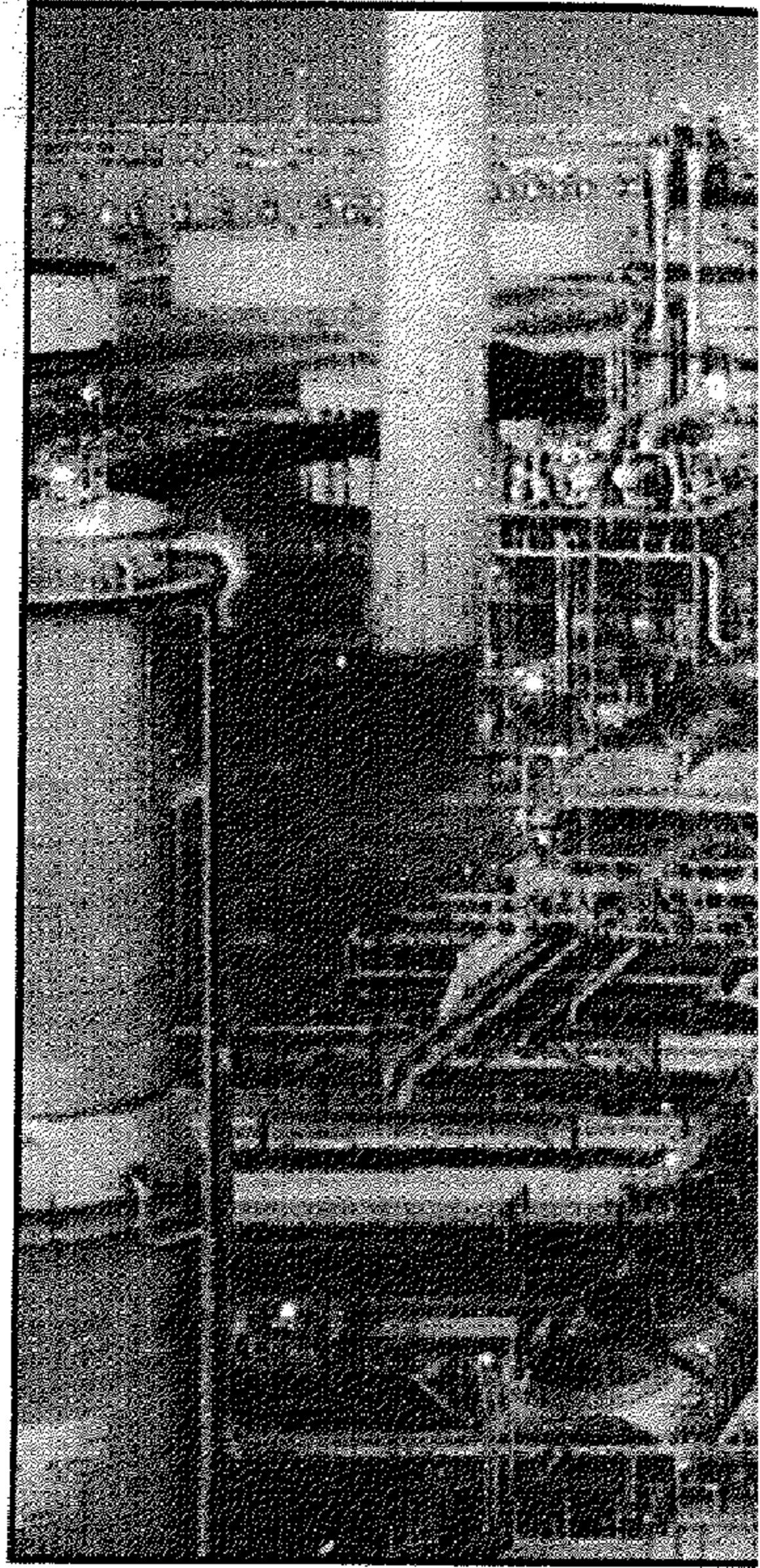
تستوعب المستجدات والمتغيرات الدولية المتواكبة دون أن تحيد عن خطها الإسلامي الخالد.

ولذلك فإن المملكة العربية السعودية أكثر الدول التي استطاعت أن تعب من مظاهر التنمية والتحديث ولكن مع عدم التفريط في تقاليدها وعاداتها وتراثها الخالد، وفي هذا المنحى استطاعت المملكة أن تحتل مكانة سامقة في سلم الدول التي تجاوزت مراحل الدول النامية، وأصبحت - في أكثر مظاهر حياتها - دولة متقدمة بكل ما تحمله هذه العبارة من تحضر وتمدّن.

ومنذ أن أرسى الملك عبد العزيز رحمه الله دعائم المملكة، والسلطة فيها تستند إلى مبدأ العدل والشورى والمساواة، كما أن الخصوصية في السعودية جعلت «العائلة» نواة للمجتمع

الضلالات تتلاشى حينما تقارعها الحجة والمنطق والحيدة، والذين يدرسون - بموضوعية وصدق - السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية لا يجدون صعوبة في الوقوف على الدور العربي والإسلامي كثابتة من ثوابت المنهج السعودي في السياسة الخارجية.

وبدأة، لقد اكتسب اسم المملكة العربية السعودية .. صفة «العربية» في صدر اسمها الداوي البراق، وفي لغتنا العربية نحن نعرف - والجميع يعرف - أن الصفة تتبع الموصوف، وتعتبر المملكة العربية السعودية - من وجهة نظر علم السياسة - نموذجاً سياسياً يتضمن كل عناصر النضج والنجاح، فهي دولة أقامها مؤسسها جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله على رصيد ضخم من الحضارة الإسلامية العريقة، ومتعها بقيادة حكيمة متواصلة



السعودي حيث تتم
تربية أفرادها تربية
إسلامية خالصة كما
تتم تربية الأفراد على
أساس حب الوطن
والافتخار بالانتماء إليه
ولتاريخه المجيد.

وتعمل الدولة على
تدعيم أركان المجتمع
والحفاظ على قيمه
العربية والإسلامية
وضمن رفاهية المواطن
والحفاظ على حياته
الكريمة وتوفير الأسباب
الكفيلة بتنمية مداركه
وقدراته وطاقاته.

نص النظام الأساسي للحكم على أن بيت الملك
وسمو ولي عهده مفتوحان أمام أي مواطن، أي
أن الأواصر بين الحكام والشعب تمتد إلى
البيت الكبير. بيت الملك الأب أولاً والراعي
ثانياً.

إن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن
عبد العزيز متعه الله بالصحة وأمد في عمره
الذي واكب مسيرة البناء والتنمية في المملكة،
كان وما زال أشد المتحمسين إلى استكمال
المشاريع التي بدأها والده الملك عبد العزيز
فلقد استبدل لقبه رسمياً بخادم الحرمين
الشريفين، ووضع كل إمكانات المملكة من أجل
عمار وبناء وتوسعة المقدسات الإسلامية في
مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفي عهد الملك فهد شهدت المملكة العربية
السعودية الكثير من وسائل التحديث والتطوير

سواء على مستوى النظام السياسي حيث
أصدر خادم الحرمين الشريفين النظام
الأساسي للحكم ونظام مجلس الشورى الجديد
ونظام المناطق، أو على مستوى التنمية حيث
تزدهر المدن وينمو الاقتصاد صناعياً وزراعياً
إلى أعلى مستوى.

والشورى في المملكة العربية السعودية كما
قال خادم الحرمين الشريفين لم تنقطع منذ أن
تأسست المملكة في عهد الملك عبد العزيز، بل
ظلت قنواتها المستمرة تخضع للتطوير حتى
صدرت في عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م الأنظمة
الجديدة.

والواقع أن حرص خادم الحرمين الشريفين
على المشاركة السياسية من القاعدة إلى
القمة... هي رؤية سياسية ليست جديدة عليه،
وكثيراً ما تحدث عنها ومارسها في العديد من
المناسبات.

وهكذا جمع هذا المنهاج ثوابت الحكم في
مملكتنا الفتية؛ وظلت هي الثوابت التي كتبت
استمرارية الحكم واستمرارية الكيان والدولة
عبر أبناء الملك عبد العزيز الذين لم يحدوا ولا
قيد أنملة عن هذه الثوابت حتى كتب الله على
أيديهم تنمية هذا الوطن وسعادة هذا الشعب.

ولذلك يشعر المواطن السعودي بالفخر
والاعزاز وهو يحتفل - في كل عام - بالعيد
الوطني، إذ أن العيد الوطني أصبح إضاءة
نرى من خلالها في كل عام منجزات تدفع بنا
إلى مزيد من الأمل والثقة في قادتنا وبلادنا.

فاللهم أدم علينا نعمة هذا الحكم وظلله
بمزيد من الاستقرار والأمن والأمان... والله
دائماً في عوننا... ما دمنا نفتدى ديننا
الإسلامي بالنفس والنفيس.

الوحدة .. والتوحيد

قال الله تعالى: {الذين إن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (سورة الحج / ٤٢) .

هذا اليوم الوطني الذي تحتفل به أمتنا السعودية كل عام يعد يوما بارزا في تاريخ أمتنا وشاهدا على بناء قاعدتها العريضة وانطلاقا لاصلاح واستصلاح أمة طالما تلمست الطريق السوي لهدايتها .

فمنذ أن توحّدت هذه المملكة في ٢١ جمادى الثانية ١٣٥١هـ، الموافق ١٩٣٢م، بعد زمن طويل من الجهاد النفسي والميداني بالمال والنفس وترقبت الأمم خارجا وداخلا الى توحيد عقيدتها وفكرها وصفها ونظمها . أقام جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مجتمعا من قبائل متنافرة كانت تحارب بعضها البعض وتآتمر بمبادئ الجاهلية، فأقام رحمه الله - بهذا المجتمع أمة متعطشة الى الامن والاستقرار فبنى دولتها على أسلم القواعد وأمتن الأسس، فصدقت نية المجاهد الكبير جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - طيب الله ثراه - وتضافرت جهود المستنئين بسنته من بنيه

وحفدته وبنى شعبه فكان العطاء .. المبارك وفيرا وأضحت

مملكتنا مركز عطاء وامن واستقرار وعلم وتعلم وتعليم وصناعة وزراعة وتكنولوجيا وتقنية يرنو اليها العالم على اختلاف جنسياته وينظر الى شعبها وحكامها بعين الأكبار والتقدير

حقا - إن لهذه الذكريات قائدا موهوبا ولهذه الانجازات مهندسا عظيمما وأن استحضر الرجل ومنجزاته في يوم من كل عام انما هو لتجديد العطاء والاصلاح في الساحة السعودية على ايدي هذه الاسرة المباركة بأرقى اساليب العلم في شتى المجالات ومناحي الحضارة ذات الطابع الاسلامي والمشاركة الواعية في اصلاح حال الامة العربية والاسلامية اذ أن امتنا الاسلامية مطالبة بهذا الاصلاح والاستصلاح . «ما منكم من أحد الا وهو على ثغر من ثغور الاسلام فالله الله أن يُؤْتَى الاسلام من قبله»، كما جاء في الأثر .

واننا اذ نحتفل بهذه الذكرى فإننا نحتفل بعطاء وإصلاح وقيم وشيم وشمم، يتوارثها الخلف بعد السلف من أبناء واحفاد هذا الرجل العظيم الذي طالما يتحدث عن واجبه تجاه خدمة أمته فيقول وأقواله كثيرة - لخدمة

شعبه السعودي والشعب العربي والمسلم: (ان خدمة

سعد بن عبد الله الميصل

أمين عام / جمعية البر الخيرية بالباحة



تنوع مجالات التعليم في المملكة

الشعب واجبه علينا
لهذا فنحن نخدمه
بعيوننا وقلوبنا، ونرى
أن من لا يخدم شعبه
ويخلص له فهو
ناقص، شعبنا العرب
فنحن من العرب
واليهم وخدمة الاسلام
والعرب واجبة علينا
بصفة عامة).

ويقول: (متى اتفق
العلماء والامراء على
أن يستتر كل منهم
الآخر فيمنح الأمير

الرواتب والعلماء يدلسون ويتملقون ضاعت
امورنا وفقدنا - والعياذ بالله - الآخرة
والاولى).

وهكذا يقول الملك الراحل في حياته وأقواله
بعد مماته دستور يحتذى به كهول وشباب
أمتنا السعودية، ومما لامراء فيه أن صلاح
هذا الملك السلفي أصلح الله به بنيه وشعبه
وأمته ووطنه الى يومنا هذا (.. رحمه الله
وجمعنا الله به في دار كرامته..)، فقد رسم
جلالته رحمه الله واصحاب الجلالة من ابناءه
لهذه الامة منهج القيم الفطرى الذى درأ عن
أمتنا الفساد والشرور وحل به مشاكلها
العقائدية حتى عادت الى سنة المصطفى عليه
الصلاة والسلام وعبدت الله وحده وحملت
راية التقدم التى نصبت على قاعدة فريدة في
تكوين هذه الدولة أرضاً وتهذيب انسانها

فرداً وجماعة على أسس متينة تتلخص
بنياتها كما جاء في نهج دولتنا من:

* تجديد الايمان بالله رباً وبالإسلام ديناً
وبمحمد {صلى الله عليه وسلم} نبياً
ورسولاً.

* تصور الفرد للكون والانسان والحياة
تصوراً كاملاً لترسخ عقيدة أهل السنة
والجماعة في خلد الفرد والجماعة.

* وجوب طلب العلم للفرد ووجوب توفيره
على الجماعة (أي الدولة) جماعة المسلمين.

* اعطاء المرأة فرصتها مع شقيقها الرجل
للتعلم بما يتفق مع فطرتها التي فطرها الله
عليها.

* اعطاء التعليم الاولوية في الخطة العامة
للدولة (.. يرفع الله الذين آمنوا منكم

والذين أوتوا العلم درجات (٠٠)

* توعية الأمة لتسير مع التطورات الحضارية العالمية والاخذ بكل جديد لا يتعارض مع ديننا الحنيف.

* العودة بالناشئة الى اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم لتكون لغة التعليم في كل مراحلها.

فتزاحمنا تحت لواء العزة والكرامة الذي استلمه بامانة الخلف الصالح من أبناء الوطن السعودي الملك السلفي جلالة الملك سعود بن عبد العزيز والملك المناضل المجاهد الفيور فيصل بن عبد العزيز والملك الصالح خالد بن عبد العزيز - رحمهم الله - وخادم الحرمين الشريفين الملك الباني فهد بن عبد العزيز الذي حمل هذه الراية بقوة وعزم وأمانة على حملها هذا الشعب الوفي الأبى ويؤازره ولى عهده الامين واصحاب السمو الامراء، فاتسع مهرجان الرضى بين طبقات شعبنا الوفي حتى برز هرم النمو والتطور لهذه المملكة علما وتعلما واقتصادا .. وزراعة وصناعة وتكنولوجيا وتقنية وحضارة وخلقاً واخلاقاً وفقاً لغايات واهداف تتحد في:

* تنمية الولاء فى الفرد والجماعة من بنى قومنا لشريعة المصطفى عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

* الانسجام الوطني التام بين العلم الحديث والدين على ضوء شريعة السماء.

** تشجيع الدولة وتنمية روح البحث

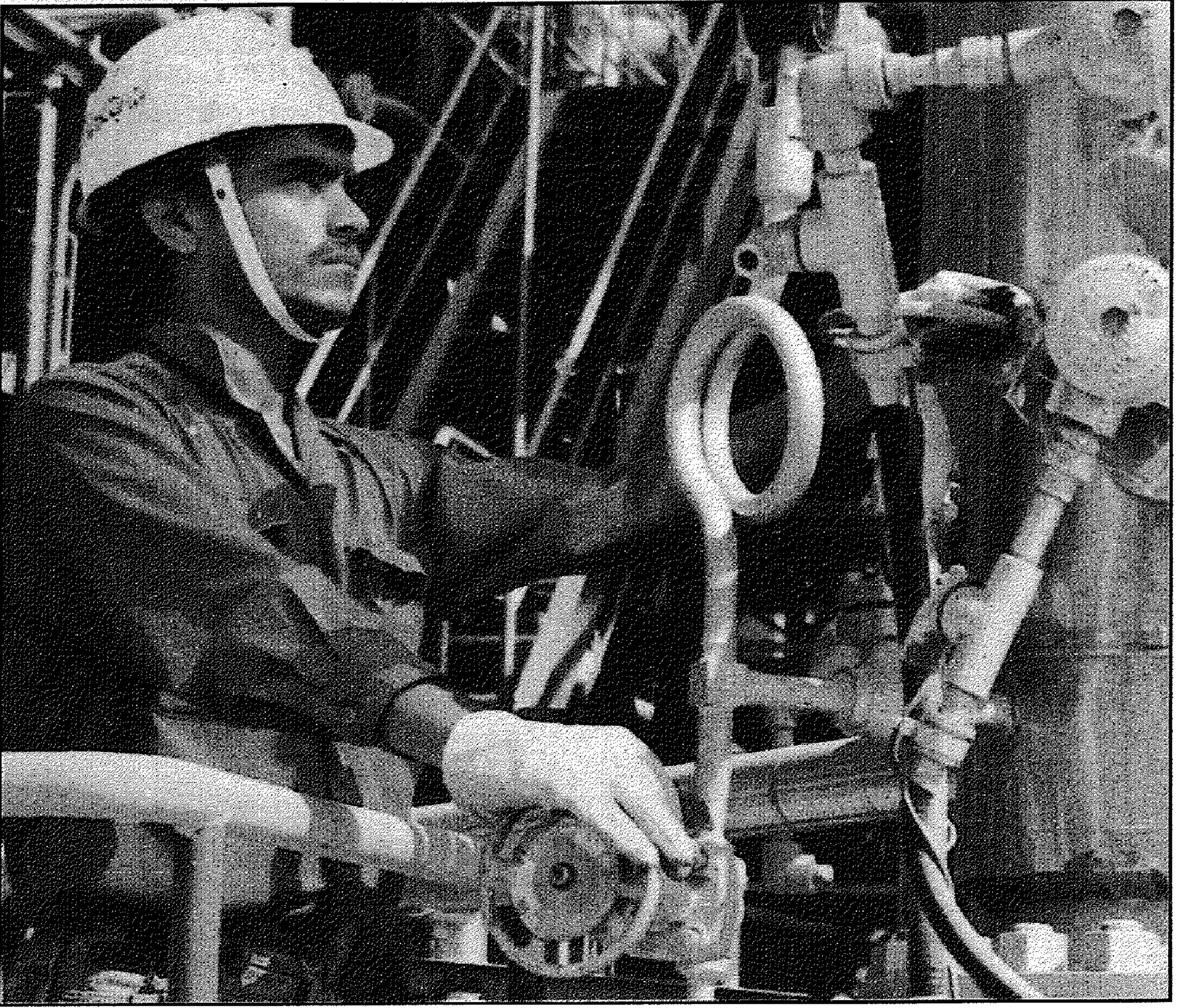
والتفكير العلميين مما ينتج عنه عند شباب أمتنا تقوية القدرة على المشاهدة والتأمل فغدى تبصير شبابنا بآيات الله الكونية تمكيناً من الاضطلاع بدوره الفعال في بناء الحياة الاجتماعية وتوجيهها توجيهاً سليماً.

* تطوير مرافق بيئتنا السعودية وتوسيع آفاق الشباب حتى اصبح تعرفه على مختلف اقطار العالم مشكاة يطل منها بعلمه وتعلمه على مختلف الحضارات المعاصرة.

ولا شك أن جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - وابناءه ذوى القدوة الحسنة والفكر الصافي الذي ينهل من الشريعة الاسلامية دستورا كانوا وابناء هذا الشعب مهيين لكتابة تاريخ جديد على ارض هذا الوطن، وكان ابرز ما في عدة وعتاد هذه النخبة المباركة من العائلة السعودية المجيدة وشعبها الوفي من مقدمات النصر - تقوى الله والتمسك بسنة نبيه [صلى الله عليه وسلم] فكان لصقر الجزيرة وأبنائه واحفاده والخلص من شعبه ذلك النصر المؤرز والتقدم المضطرد في معترك الحياة حتى يومنا هذا.

إن ترسيخ مسار الزعامة السعودية على طريق الايمان وعقيدة التوحيد والسير في اطار ذلك المنهج القويم، كان لباس العزة والكرامة والتفكير المفضى لدواعى الاستقرار الذى تنعم به هذه المملكة ويفتقر اليه كثير من أمم الأرض.

فهذا يومنا الوطني لحبه المتواصل بيننا نشترك جميعاً - حكومة وشعباً - في ذكراه



الأيدي السعودية في مجال الصناعة

ونعيش معطيات انجازات ذلك الراحل العظيم عبد العزيز آل سعود وابنائنا ذوي العزم والاباء والعطاء ويقود مسيرتنا اليوم رجل المواقف الوطنية والدولية والاهداف الطموحة والقيادة الفذة - خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده الامين وابناء الاسرة السعودية الكبيرة الذين وضعوا همهم في خدمة هذا الوطن والراقي به فجمعوا بين الكيف والكم وانكروا ذاتهم في جانب الله وأعطوا حق الدين والوطن - فكان العطاء الوفير بتسهيل من الله وعون منه .

أسأل الله أن يديم على هذه الامة أمنها واستقرارها ونعيمها ويقيمها على دين الحق ويحفظ لها قائدها ورائد مسيرتها واخوانه الاشاوس وابناء أمتنا السعودية وأن يعم بالرخاء هذا الوطن ومواطنيه وان يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يرزقنا جميعا الاخلاص والمتابعة في الاقوال والاعمال {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين} (سورة القصص / ٥) .

اليوم الوطني مزيد من التقدم والرفي

أوصلت بلادنا الى مرحلة متقدمة من التطور والنمو في فترة زمنية وجيزة حيث توارث أبناء الملك عبد العزيز هذه الثوابت وعملوا على تطويرها بما يخدم الأمة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ولعل أهم ما يمكن أن نتوقف عنده اليوم بكثير في التأمل والاعتزاز هو صانع المعجزة التاريخية الملك عبد العزيز الذي كرس هذا الشموخ وصنع المجد في زمن تتلاطم فيه الأحداث وتعصف فيه متناقضات كثيرة بشعوب هي أحوج الى الحياة الكريمة. ومع ذلك فقد شق طريقه نحو هذه النتائج الرائعة في عالم اليوم.

أي بطولة وأي صلابة وأي اصرار وأي ايمان هذا الذي كان يملأ قلب هذا الرجل العظيم، الذي ظل يعمل ويبني ويتابع بنفسه كل صغيرة وكبيرة حتى انتقل الى جوار ربه عام ١٩٥٣م وترك بلاده قائمة على أسس ثابتة من الايمان والتوحيد والوحدة. وهذه ثوابت وقواعد أساسية وتوجهات ظلت مرعية منذ كان الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - حتى اليوم.

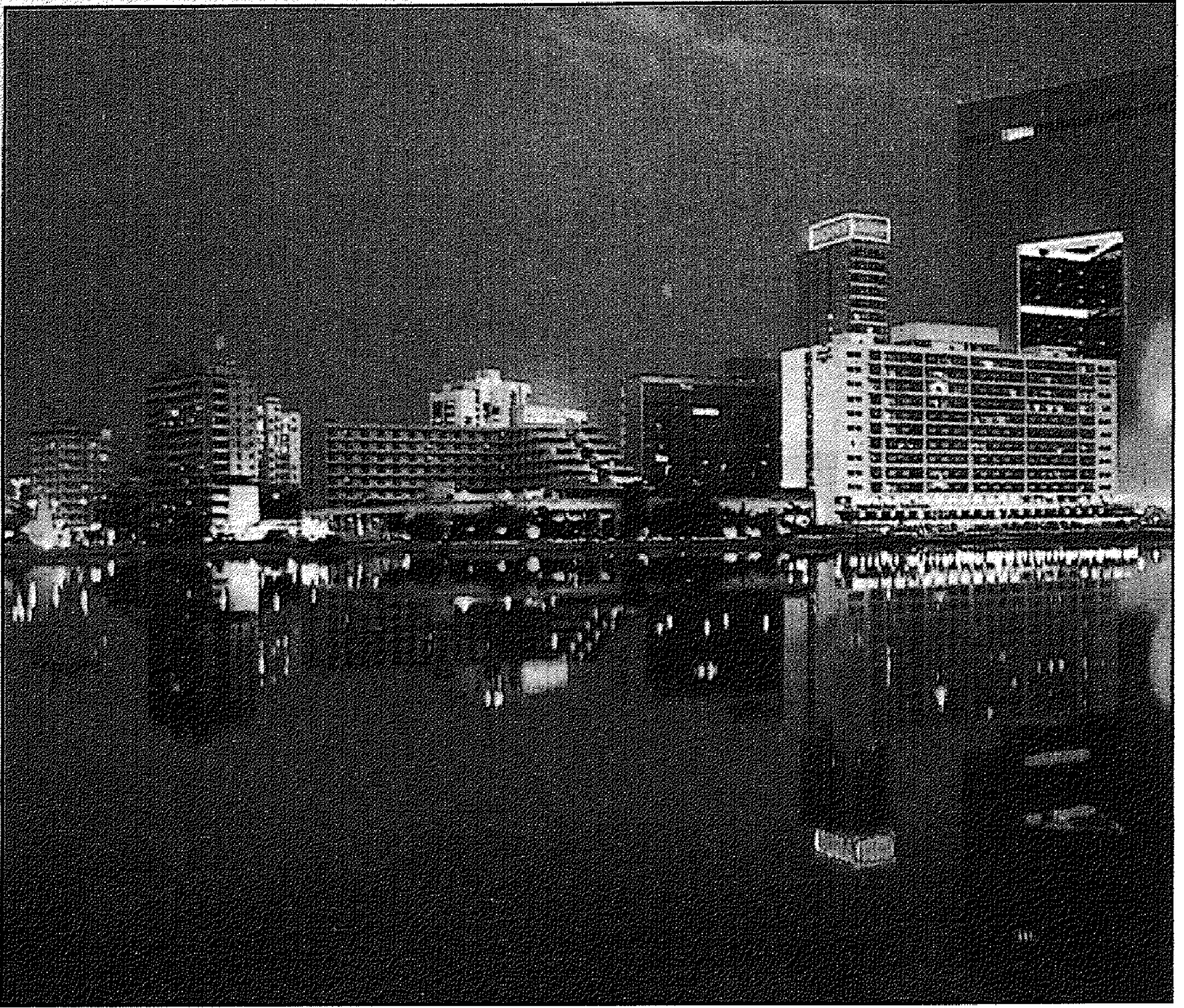
وتلك هي الميزة التي تقوم عليها هذه البلاد والتي ساعدتها على أن تنمو وتتقدم وترتفع على أرضها قلاع النهضة في كل مدينة وفي كل قرية وعلى امتداد صحاريها ومزارعها.

في الأول من الميزان العام ١٣٧٦ الموافق الثاني والعشرين من جمادى الأولى ١٤١٨هـ والثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٩٧م مناسبة عزيزة على قلوبنا جميعا وهي الذكرى السابعة والستون لليوم الوطني للمملكة العربية السعودية.

ففي مثل هذا اليوم منذ سبعة وستين عاما صدر مرسوم ملكي باسم المملكة العربية السعودية حيث توحدت بلادنا تحت هذا الاسم، وأصبح المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود ملكا للبلاد.

واحد وثلاثون عاما أمضاها الملك عبد العزيز - يرحمه الله - في تحرير وتوحيد الجزيرة العربية منذ دخل الرياض في عام ١٩٠١م حتى تم التوحيد في عام ١٩٣٢م ولعل من العوامل الأساسية التي ضاعفت من نجاحات وحدة المملكة العربية السعودية تلك المرتكزات التي انطلقت منها وهي كتاب الله سبحانه وسنة نبيه المصطفى {صلى الله عليه وسلم} وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير ورفض أي تدخل في شئوننا الداخلية وقيام علاقات أخوة وصداقة مع الدول المجاورة وجميع الدول العربية والاسلامية والدول الصديقة.

وكان ولا يزال هذا الخطاب السياسي للمملكة كمنهج للحكم من أهم الثوابت التي



مدينة جدة .. عروس البحر

فالمملكة العربية السعودية في عيدها السابع والستين تنعم بالازدهار الذي نتج عن برامج تنموية هدفت الى رفع كفاءة الانسان السعودي، ورفع مستواه المعيشي وبناء شبكة من الخدمات المختلفة تعززها بنية تحتية كبيرة.

وهنا يجب أن نتذكر أن قدرة القيادة السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين تنفرد في تحقيق هدفين أساسيين بقدر كبير من الحكمة:

الأول: الاستمرار في حركة التطور والتنمية

واستمر أبناء الملك عبد العزيز رحمه الله (سعود - فيصل - خالد) رحمهم الله جميعاً حاملين راية الإصلاح، مواكبين مسيرة الخير والعطاء لتصبح الصورة هي ما نراه اليوم.

ويجيء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله - واخوانه الاكارم الابرار ليستمروا على النهج الذي اختطه المغفور له الملك عبد العزيز ويقوم على أسس التمسك بالعقيدة الاسلامية الصحيحة وتثبيت العدل بين الناس وتوفير الأمن وتحقيق التطور للبلاد.

على المستوى الداخلي في المجالات العامة، من صحة وتعليم وزراعة ومشاريع اسكان وطرق وشبكة اتصالات ..

واذا كانت هذه الأرض الطاهرة تضم في أحضانها الحرمين الشريفين فإن الملك فهد بن عبد العزيز الذي تشرف بحمل لقب خدمتهما قد عقد العزم على بناء أكبر توسعة في تاريخ الحرمين الشريفين إذ بدأت التوسعة بخطة طموحة وفق مواصفات عالية ومتميزة . ويعتبر هذا الانجاز مفخرة كبيرة لهذه القيادة ولهذا الشعب بل ولأمة الاسلام قاطبة .

يقول خادم الحرمين الشريفين «إن المشروعات والخدمات المقامة والمقدمة في أعظم مدينتين في العالم، وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة، تأخذ حيزاً واهتماماً من تفكيري، واننا سوف نؤدي - ان شاء الله - جميع الخدمات لهاتين المدينتين العظيمنتين ، لأن هذا شرف لنا وواجب علينا خصنا الله بهما، وخدمة الحرمين فيها الخير والبركة، ونحمد الله أننا نؤديها بنية صادقة فالمقصود بهذه الخدمة هو التقرب الى الله بالأعمال الصالحة» .

فتوسعة الحرمين الشريفين وخدمة ضيوف الرحمن فخر السعودية الأكبر .

والهدف الثاني: على المستوى الخارجي حيث نجح الملك فهد في خلق دور رائد للمملكة العربية السعودية في العالمين العربي والاسلامي .

فلقد تزعمت المملكة العربية السعودية منذ جلالة الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - حركات التقريب بين البلاد العربية، ونشطت وساطتها لنزع فتيل الخلاف بين عدد من الدول العربية . ولا تزال المملكة تعد أكبر بلد يقدم دعماً للنضال الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي الصهيوني .

كما كانت ولا تزال تمد المملكة يد العون والمساعدة للشعوب المستضعفة وبخاصة في محنتها فلقد قدمت الكثير والكثير لشعب البوسنة والهرسك وغيره من الشعوب الاسلامية قاطبة في العالم الاسلامي .

فاليوم الوطني للمملكة العربية السعودية ليس مجرد ذكرى نحتفل به كلما حان وقته بل هو شريان الحياة الذي ينبض في قلب كل سعودي يعيش على تراب هذا البلد يستمد منه القوة والحياة ليواصل ما أرساه المؤسس الاول المغفور له الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - ووصولاً إلى الانجازات العظام التي تحققت على يد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - حيث الرفاهية والازدهار والرقى والوصول بالمملكة الى أعلى مكان؛ وهذا يتطلب السير قدماً بجد واخلاص وتفان خلف هذه القيادة الرشيدة ليعيش المجتمع السعودي كما هو الآن في ظل الأمن والأمان والرخاء والاستقرار .

■ المنهل ■

معجزات

شعر
احمد عبد السلام البقالي
- الرباط -

يارسول الله ما زلنا نرى
لك رغم البعد شتى المعجزات
فصمود الدين في وجه العدا
بعد ما كالأولاه من طعنات
وانتصارات هدى آياته
ومباده الشُّموس النُّيرات
ودخول الناس فيه أمماً
باقتناع ورسوخ وثبات
من نوي الإيمان والحكمة لا
من غثاء السيل في المنحدرات
هي آيات شهيدات على
أن نصراً رائعاً لأبد أت!
معجزات لك يا خير الورى
من وراء الغيب تتلوم معجزات

كتابة الحديث وتدوين السنة

(١ - ٢)

بالسنة للأسباب التي ذكرت في الكتب ودعا إلى الاختصار على القرآن.. ومتى كان القرآن وحده يغني عن السنة؟ ومتى كانت السنة تغني عن القرآن؟ وقد ألف المؤلفون قدماؤهم ومحدثوهم تأليف في هذا الباب وبينوا أن أصل الشريعة هما القرآن والحديث وإجماع المسلمين.

ذلك ما أثار انتباهي إلى إحياء مقروءاتي من السنة والحديث حتى نفهم الموضوع، وحتى لا نكون ببغاء تردد ما يردده الناس، أو تقول ما قالت الببغاوات الأخرى.. فقد أرشدنا القرآن الكريم إلى استعمال الفكر وتنمية المدارك من أجل الاكتشاف، اكتشاف الحق، وتمييزه عن الباطل وما أكثر الباطل في دنيا الناس والأهواء.

كان موضوع كتابة الحديث وتدوين السنة يبدو أكبر من تلميذ قاصر لم يتيسر له الإتصال بالحديث.

إن علماءنا قد عملوا فأخذوا وأعطوا، وكان أخذهم لأحوال الحقبة التي عاشوا فيها، وكان عطاؤهم أيضا من جنس الأخذ، ولذلك نجد ابن عاشر رحمه الله يقول في وجل وتخوف: وجل من لا يدعي لنفسه العلم، وقد كان بحرا من العلوم، وتخوف من الانتقاد والانتقاص ووعيد {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا}.

على خلاف أحوال الناس، وادعاء الناس، نجده رحمه الله يقول:

لقد كان لي بموضوع كتابة الحديث وتدوين السنة صلة أبعد من أن تولد في ظرف قصير. لقد عادت بي الذاكرة إلى أكثر من سنوات كنت خلالها بدأت أتمسك الطريق الحق وسط ركام من الأباطيل، وقبل عشرات السنين قرأت مؤلفا لموريس بوكاي بنصه الفرنسي - وكان ساعتها نادرا - وخرجت منه بنتيجتين:

أولاهما: أن الرجل أثبت أن القرآن حق.. **وثانيهما:** أنه أشار إلى أن السنة لا يستطيع أن يتكلم عنها لأنها لم تدون، بل لم تكتب إلا في القرن الثاني الهجري.. وقد كتبت كما قال وسط ظروف المحنة، محنة الانقسامات ونشوء الفرق والمذاهب والطوائف وهو أمر لا شك سيدفع الأيدي إلى الافتراء والتزوير والكذب على رسول الله - ولن أناقش هذا القول لأن ما ذكره

ليس سببا وحده في الوضع والدس ولكن ستتبين في هذا العرض - على ضعف الأسباب العلمية - رأيا قد يبدي بعض الحقائق وقد يعفو عن كثير مما تعارف عليه الناس في هذا الباب.

وثانية النتائج هو قيام البعض بالادعاء أو بالدعوة إلى عدم الأخذ

بقلم:
د. عبد الحميد
التمساني شكوكة
- المغرب -

الكاتب في مظهر:

- دكتوراة في علم
الاجتماع الديني ،
جامعة ليل ، فرنسا
١٩٨١ .

- أستاذ بكلية الأديان
المقارنة بأنغرس بلجيكا
١٩٨١ .

- محاضر بكلية
المنطق والآداب بجانط
بلجيكا ١٩٨٢ .

- أستاذ بالمعهد
الإسلامي بالمركز
الاسلامي ، بيروكسيل
بلجيكا .

- ممثل رابطة العالم
الاسلامي بإسبانيا .

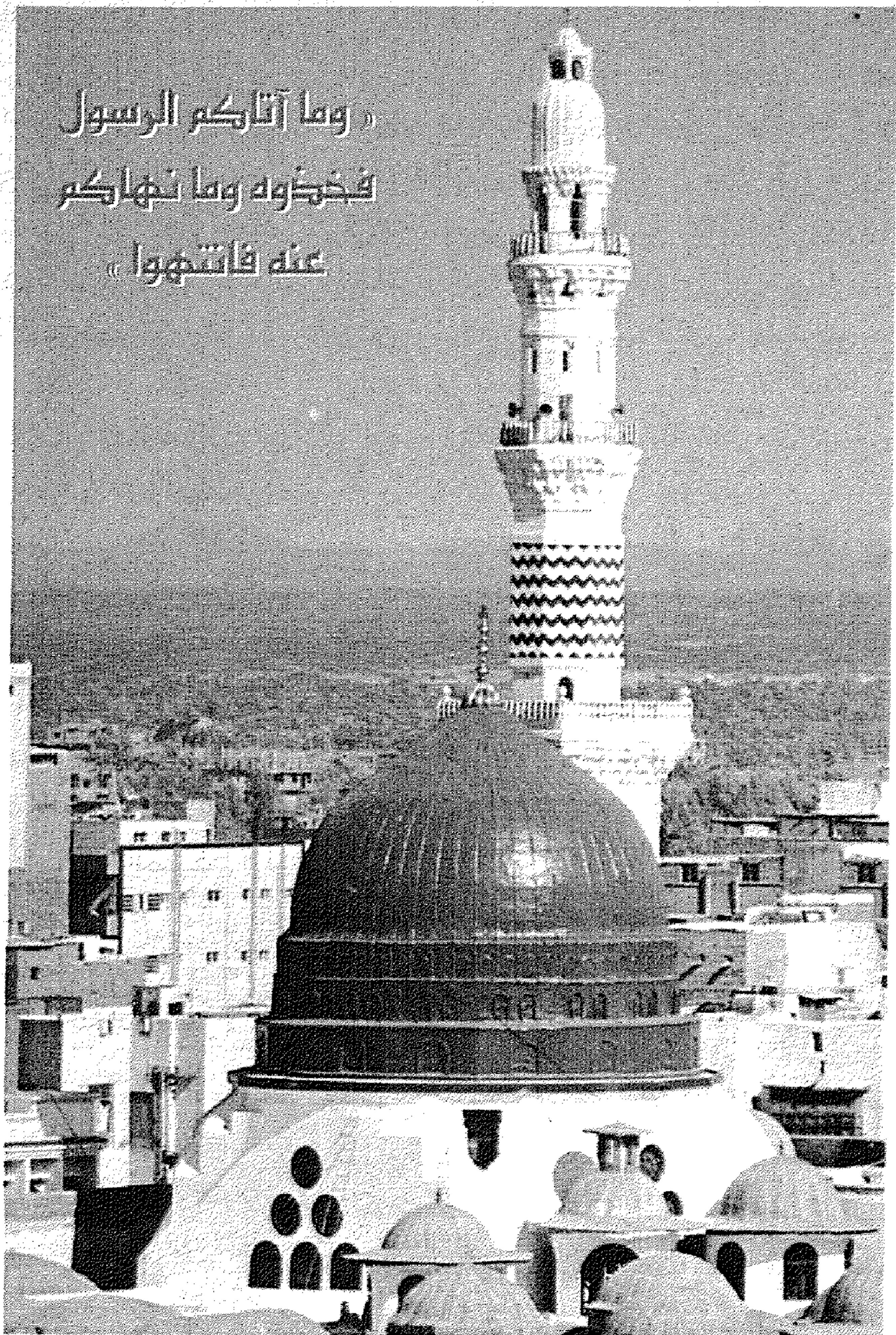
- رئيس تحرير مجلة
«الإيمان» باللغة
الفرنسية .

- مدير جريدة
الفريضة .

* من مؤلفاته:

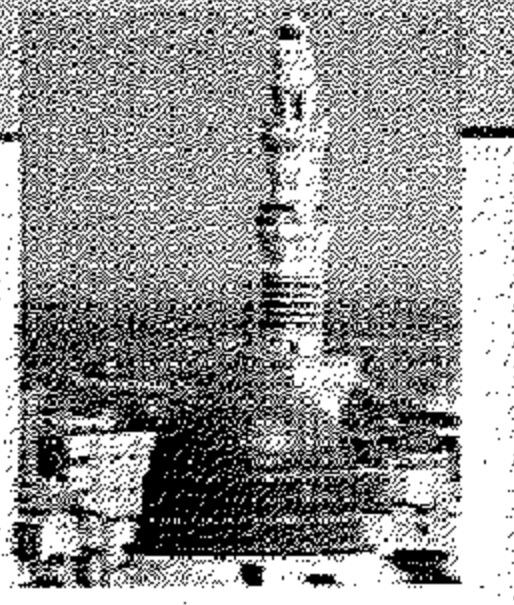
«الإسلام كعامل
تغيير» - «الثقافة
والتبعية» - «المرأة في
الاسلام» - «الزواج
المختلط» - «البعث
الاسلامي بإسبانيا» .

« وما آثاركم الرسول
فخبركم وما نهركم
عنه فاتتهموا »



من هذه الفتن التي قامت في المساجد، تكفر
الناس، وتلعن المؤمنين، ويدعي أصحابها
الإجتهد، وهو باب لم يخلق ما دام القرآن
والحديث بيننا، وما دام العقل في تطوره داخل
رحلته إلى الله، غير أن صفات المجتهد التي
أجمع عليها العلماء أو كان عليها الأئمة ، قد لا
تتجمع في رجل واحد كما تجمعت في أولئك

وتعدُّ فالعون من الله المجيد
في نظم أبيات للامي تفيده
في عقد الأشعري وفقه مالك
وفي طريقة الجنيد السالك
نعم، يقدم زبدة العلم والعقيدة والمذهب في زمن
كان ذلك هو الراجح وهو المرجوح وهو كل شيء
في حياة الخاصة والعامة، ولعمري أنه لأفضل



الأئمة الأفذاذ، رحم الله الجميع.

أقول: إني لم أكن أملك هذه القدرة التي تمكن الدارس من العرض والاستنباط والحكم والتقصي، وحسبي من الأمر أن أكتب، وحسبي من الأمر الإيمان بسعة صدور أساتذتنا الأجلاء فإني داخل جديد، ولكل داخل جديد دهشة... ولطول الدراسة فقد قسمتها الى قسمين:

القسم الاول: (مفهوم الكتابة - الأمة العربية بين الأمية والكتابة - مفهوم الأمية عند المحققين - مفهوم الحديث - مفهوم السنة - كتابة الحديث وتدوين السنة - معنى الكتابة ومعنى التدوين - آثار تدل على اهتمام الصحابة بالسنة).

والقسم الثاني: (توافر الكتابة والصحف دليل على كتابة الحديث قبل مواعده المعلوم - اسباب النهي عن الكتابة في نظر العلماء - النصوص التي اعتمدها في النهي عن كتابة الحديث - آراء المفكرين في كتابة الحديث في عهده {صلى الله عليه وسلم} - احاديث الاباحة اكثر وأقوى - ابو هريرة شخصية حقيقية - محمد بشر لا كل البشر - اسماء الصحف واسماء اصحابها).

مفهوم الكتابة

قال شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (٦٧٧ - ٧٢٣هـ) «اصل الكتابة مشتق من الكتب وهو الجمع، ومنه سمي الكتاب كتابا، لأنه يجمع الحروف، وسميت الكتبية كتبية لأنها تجمع الجيش».

الأمة العربية بين الأمية والكتابة

قال ابن قتيبة في حديثه عن قلة الكتابة قبل ظهور الاسلام وقلة العالمين بها، وهو يشير الى عبد الله بن عمرو احد المشهورين بالكتابة بينهم قال: لانه - أي عبد الله بن عمرو - كان قارئاً للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية وكان

غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم الا الواحد والاثنان، واذا كتب لم يتقن ولم يصب (التهجي) وعلق الدكتور ناصر الدين الاسد على هذا القول بقوله: (ولا ريب أن هذا القول من ابن قتيبة افتئات على الحقيقة التاريخية وتعميم لا اساس له من الحق).

لن اطيل في هذا الباب فان النقاد والمؤرخين والدارسين اختلفوا في الامر اختلاف مشاربهم وواقعهم ومعتقداتهم: فطائفة القوميين العرب او الذين تدفعهم الغيرة على عربيتهم حين يتعرض لها الناس بسوء عن قصد وغير قصد، وهي غيرة قد تنسيهم - في نظري حقائق، وتغفلهم عن وجوه، وهو الامر نفسه بالنسبة لمن يحاكم الأمة العربية بمقياس الاسلام، ويحاكم الرجل الجاهلي بمقياس ما أمر به الاسلام وما جاء به نبي الله {صلى الله عليه وسلم} فكلاهما مغال، والأمر وسط في نظري... ذلك ان الأمة العربية كانت أمية، والامية لا تعني في ذلك العصر عدم معرفة القراءة والكتابة وحدها، ولكنها تتجاوز هذا المفهوم الى معنى أوسع وأشمل مما نريد أن نجده به أو نجعله حجة للغمز وذريعة للمز، سواء كنا من الطائفة الاولى أو من الطائفة الثانية... وقد وردت الامية بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة.

مفهوم الأمية عند المحققين

هي بمعنى عدم معرفة الله الواحد أو ما اسموه الأمية الدينية فمن المفهوم الأول: ما ورد عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كما جاء في الصحاح عن ابن عمر رضي الله عنهما «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب؛ الشهر هكذا أو هكذا».

وان كان بعضهم يرى أن هذا الحديث يعني التدوين المنظم والتوقيات المقوم ولا يعني الامية في القراءة والكتابة وبذلك يجعل الحديث الشريف

دليلاً يضاف الى طائفة الحجج الدالة على أن مفهوم الامية إنما كان هو الامية الدينية، ومما استدلوأ به على معرفة العرب القراءة والكتابة، أسواق الشعر التي أقاموها، ووجود طبقة من الشعراء كانت تهذب قصائدها وتشذب أراجيزها، والتهذيب والتشذيب يحتاج إلى قيد من الكتاب، والكتاب يحتاج إلى علم بالكتابة، وقد ساقوا حججاً من القرآن الكريم تدل على أن الأمة العربية كانت أمة كاتبة وإن مفهوم الامية الملصقة بهم كانت تعني نسيانهم الدين، وجثوم العرف الذي تعارفوا عليه وكانوا أميين أي غير عالين بقواعد الدين الذي نسوه في غمرة تلك الفترة. فلقد استدل انصار هذا بما جاء في القرآن الكريم [ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون].

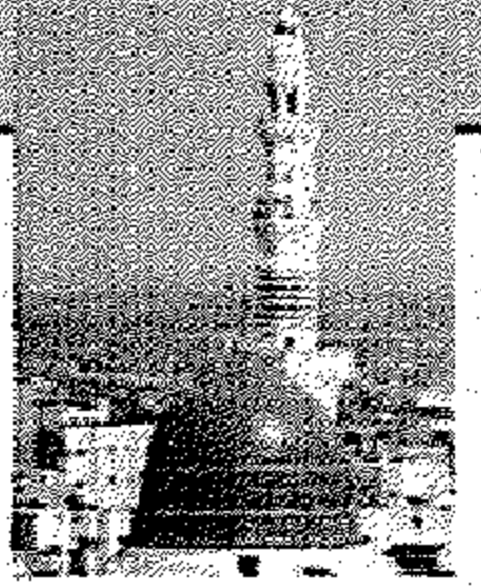
قال ابن جرير الطبري يسنده الى ابن عباس عنه قال: «ومنهم أميون، قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله وقال قد أخبر انهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجهودهم كتب الله ورسله».

غير أن لي رأياً آخر في هذا الباب قد يكون هو الصواب وقد يبعد عن الصواب وحسبي من الأمر أني قارئ جديد، وحسبي من الأمر أن من اجتهد وأصاب فله اجران وإن من اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

اقول إن الأمر لا يحتاج إلى هذه الاطنان من الورق والمداد والخلافات والنزاعات ولكنه يحتاج إلى امعان النظر لنجد أن الأمة العربية كانت

ككل الأمم فيها من الكتاب وفيها من غير الكاتبين، وعلى قدر الفكر واللحظة التاريخية كانت هذه الأمة، فلا يمكننا أن نقدمها عن عصرها ولا يمكننا أن نؤخرها عنه.

لقد كانت الكتابة معلومة معروفة، وكانت متداولة مما يبدو في أحلافهم ومعاهداتهم ولا أدل على ذلك من حلف الفضول والفجار وصلاح الحديبية وغيرها، وقد تكون الكتابة قليلة بعض الشيء وهو أمر ما نزال نعيشه حتى يومنا هذا فلم ننكره عن الأمة العربية في عصرها الجاهلي، ونحن إذ نصدر هذا الحكم في موضوع أمية العرب قبل الاسلام نشير إلى أن الأمة العربية قد تكون أميتها تلك دعوى لفقها أعداؤها من خارج الجزيرة فانها تقع بين قوتين عظيمتين في عصرها الذي نتحدث عنه: قوة ملحدة مجوسية شرقية هي قوة الفرس وقوة ضالة تائهة غربية هي قوة الروم، وبين اتباعهما المتبوعين كالحبشة وغيرها... ووجود هذه الأمة المتماسكة في عاداتها على غير اتصال، المتألفة في طباعها على غير لقاء، القوية في هجمتها انتقاماً واقتصاصاً، المحافظة على حرمتها في جفاوة، خوفاً من ليونة الاستعباد... وجود هذه الأمة بهذه الطباع يجعل القوتين اللتين اشرفتا على الانهيار في قمة تفاهة الحضارة المادية، ومادية التفاهة الحاضرة... اقول كان ذلك عاملاً من العوامل التي تدفع بهاتين القوتين إلى محاولة استعباد هذه الأمة وتسخير امكانياتها المادية والبشرية من أجل بعث جديد وتدفق دم جديد يحمل في طياته الشباب والفتوة لهما، فلما لم يدركا ما ارادا اتهمتا أمة العرب بالامية، كما اتهم الرومان وهم قوة الغرب الضالة - المغاربة بالهمجية والبربرية، فكانوا يدعون من عداهم من الشعوب «بربار» وكما فعلت اليهود حينما ظنوا أنهم شعب الله المختار وأن من عداهم همج، وكما ادعت المانيا الهتليرية أن الجنس الآري



أقدس الاجناس وأعقلها وأذكاهـ .

والنتيجة أن الكتابة

كانت معلومة

ونسنتج مما تقدم أن الكتابة كانت متداولة وأنها كانت في متناول من يريد بها، وهذه الارادة قد لا توجد عند الكثيرين من الجاهليين وإن كانت خامدة ففجرها الاسلام الذي كان اول وحي الله فيه على رسوله {صلى الله عليه وسلم} : {اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم} . وكان ان جعل رسول الله فدية أسرى بدر الذين ليس لهم مال ان يُعلم الواحد منهم العشرة من الصحابة المتخلفين في الكتابة والقراءة .

مفهوم الحديث

إن الناظر الى كتب الحديث يرى علماء يعرفونه بأنه هو ما قاله رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أو فعله أو أقره وكل صفة خلقية أو خلقية لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} ولعل بعض العلماء يحرصون على التمييز بين الحديث وبين السنة وهو أمر ملحوظ عندهم . قال محمد عجاج الخطيب:

وإن كان بعضهم يفرق بينهما، فيرى الحديث ما ينقل عن النبي عليه الصلاة والسلام والسنة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الاول ولذلك قد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها، فيلجأ العلماء حينئذ الى التوفيق والترجيح، وكلام عجاج يناسبه تماما ما قاله عبد الرحمن بن مهدي: «لم أر قط اعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد» . ويبدو الفرق واضحا بين الحديث والسنة في جواب عبد الرحمن بن مهدي حين سئل عن الثوري والاوزاعي ومالك قال: (سفيان الثوري إمام في

الحديث وليس بامام في السنة والاوزاعي إمام في السنة وليس بامام في الحديث ومالك امام فيهما) . ولعلني لا اكون مجانباً للصواب اذا استنتجت هذه النتيجة وهي أن الحديث هو قول النبي {صلى الله عليه وسلم} قيل ذلك حتى يمكن القول كما قال الفقهاء: السنة ما كان عليه النبي وصحابته والبدعة ما احدث بعد ذلك . .

مفهوم السنة

والسنة في اللغة معناها السيرة، حسنة كانت أم قبيحة قال خالد بن عتبة: فلا تجزعن من سيرة انت سرتها فأول راض سنة من يسيرها (وسنته) وسنتها سنا واستنتتها . . سرتها وسنت لكم سنة فاتبعوها وفي حديث في صحيح مسلم بسنده عن المنذر بن جرير عن ابيه «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة «حديث» .

قال محمد عجاج الخطيب (والسنة اذا اطلقت في الشرع فانما يراد بها ما امر به الله النبي {صلى الله عليه وسلم} ونهي عنه وندب اليه قولاً وفعلًا) (وهي عند المتحدثين ما اثر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء اكان قبل البعثة - كتحنثه أو بعدها) .

وهي في اصطلاح علماء اصول الفقه: كل ما صدر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير بما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً لحكم شرعي . وهي عند الفقهاء ما ثبت عن النبي {صلى الله عليه وسلم} ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب وقد تطلق عند الفقهاء في مقابلة البدعة كما أسلفت . . ومهما يكن من امر فان الحديث

في معناه الاهم يلتقي بالسنة، وأن السنة في خصوصيتها تلتقي بالحديث وإذا فرق بينهما فمن اجل التدريس والافهام والا فان الحديث هو السنة والسنة هي الحديث وما هذا التفريق بينهما الا لوجود خطوط الطول وخطوط العرض في الارض وهو تقسيم وهمي اصطلاحي نجم عن التقنيين.

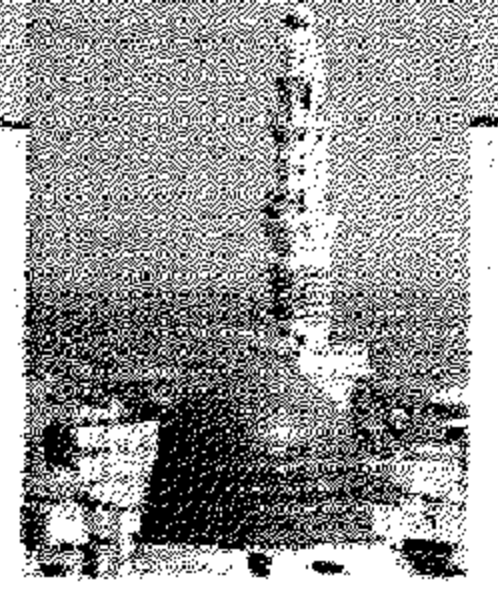
كتابة الحديث وتلويح السنة:

(لما كان الاسلام قد امر الصحابة للتفقه في الدين وتعلم الكتابة يبدو ذلك في تمجيد العلماء في قول الله تعالى) {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب}.

فان العلم لا يؤخذ ولا يحفظ الا بالكتابة والتقيد ولا يتأتى هذا الا بمعرفة هذه الكتابة وهي ممارسة حيوية لاختزان العلوم وحفظها اذ قلما تسلم الذاكرة من آفة النسيان.. ولقد كان رجيل الصحابة - رضوان الله عليهم - يحفظون القرآن عن ظهر قلب كما حفظوا السنة في الصدور ولم يقتصرُوا على ذلك فنظروا لحصرهم على هذا الدين الذي انقذهم الله به، وحفظهم على رسول الله، ومحبتهم اياه فقد اندفعوا في ممارسة هذا الحديث ومعايشة هذه السنة فتخلقوا باخلاق القرآن وحفظوا كلا من القرآن والحديث في القلوب والعقول والصحف والجلود وتنافسوا في ذلك حتى عاش الواحد منهم يتلقف الحديث ويحرص على مصاحبة النبي والسماع منه، وكلهم كان كذلك الا أن تدعوه ضرورة أو يدفعه دافع، فهذا ابو هريرة لما سئل عن سبب كثرة الاحاديث التي رواها وقد احس بانهم ينكرون عليه ذلك قال معتذرا.. ان الناس يقولون اكثر ابو هريرة ولولا آية في كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو {ان الذين يكتُمون ما انزلنا

من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفاق في الاسواق، واخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في اموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ويشبع بطنه ويحضر ما لا تحضرون ويحفظ ما لا تحفظون.

نعم لم يكونوا مقتصرين على الحفظ بل كانوا يكتبون وهو ما سنبينه إن شاء الله.. وكانت كتابة الحديث قائمة حتى في عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخاصة احاديث الاحكام فقد كان الصحابة يبحثون وينقبون ويستفتون ويتلقون الفتوى فينقلونها الى اهليهم والى قومهم بل ينقلونها الى الناس، وما كانت امانة التبليغ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مبنية على الحفظ الذي قد يعفو عنه الزمان، ولكنها كانت كتابة وتعبيرا وحفظا بل واستعملوا وسيلة تخلد هذا الحديث حتى يصل الى الآخرين لانهم ادركوا قبل غيرهم قيمة الهداية، فالتمسوها وطلبوا اسبابها، وهذا الحديث يبين لنا لهفتهم على الفقه والتفقه ان أن النبي فيما صح عنه قال «خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا» وما كان السمو في مجتمع لا إله إلا الله محمد رسول الله بغير التقوى وما كان العلو والمجد في هذا المجتمع بغير التقوى وما كانت التقوى بغير علم وبغير فقه والقرآن يخبرنا بلهفتهم وتساؤلهم بقول الله تعالى: {يسألونك ماذا ينفقون قل العفو}، {يسألونك ماذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيبات}، {يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج} فكيف بهؤلاء المتلهفين السائلين أن يعتمدوا على ذاكرة قد تخونهم ويعتمدوا على قلم وكتابة قد تبعدهم عن نور العلم فالعلم عندهم وسيلة للعمل وهم مطالبون بتبليغه،



وشعورهم هذا جعلهم يتفرقون في الامصار ينشرون الهداية ويبلغون الرسالة وتلك قبورهم في انحاء العالم شاهدة عليهم فهذا خالد بحمص وهذا أبو أيوب الانصاري يلبي داعي الجهاد والدعوة وهو في فراش الموت فيتجاهل على نفسه امتثالا لقوله تعالى: {خفافا وثقالا} كما في بعض التفاسير ويقضى نحبه في اسطنبول أو القسطنطينية ولذلك سيبين لنا ان كتابة الحديث كانت في عهده {صلى الله عليه وسلم} بل ويوم وفاته وقد تزلزلت قلوب وعقول ووجد من بينهم من يجدها فرصة لكتابة احاديث جديدة والتفقه فيها، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يحدثنا عن شغفه بالعلم وما كان العلم الحق غير العلم بالحال التي تكون طاعة الله اما علوم المعاش خارج حدود الله فهي علوم الدنيا وظاهر من الحياة الدنيا وكل شيء في الدنيا يجوز قال الله تعالى: {يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون}.

اخرج الامام الحافظ ابو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني الدارمي (ت ٢٨٠هـ) والحاتر بن محمد بن ابي اسامة التميمي البغدادي الحافظ (ت ٢٨٢هـ) في مسنديهما عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قلت لرجل من الانصار: هلم فلنسال اصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فانهم اليوم كثر قال: واعجبا لك اترى الناس يفتقرون اليك قال فترك ذلك واقبلت اسأل، فان كان ليبلغني الحديث عن رجل فأتى بابه، وهو قائل، فاتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك، هلا ارسلت إلي فأتيتك، فاقول: لا أنا احق ان آتيك، فسأله عن الحديث، فعاش الرجل الانصاري حتى

رأني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني فقال: هذا الفتى كان اعقل مني، ولقد كان الصحابة اعقل الناس في الحفاظ على الحديث.. غير انه تلبس على الناس - من القدماء وسار معهم من المحدثين - امر الكتابة كما يبدو في الوهلة الاولى للناظر في بعض الاحاديث وكأنها متعارضة وليست كذلك وانما هي متكاملة لانها انما هي تتميم لبعضها البعض أو توقيف لبعضها بعد رفع السبب، أو توسعة للمسلمين في الاحكام.. فبدت عند الذين لا يدركون ذلك وغيره تتعارض وتتناقض فحاولوا التوفيق فلم يوفقوا ففتحوا ثغرات لم تغلق، وابوابا لم تسد، وسار من جاء بعدهم سيرتهم فاذا بنا نرث هذه المقولات محنطة كالمومياء نقبلها دون نقاش، وما كان الاسلام في يوم تحجيرا على الافكار أو تجهيدا لحركة البحث والتدبر بل هو الذي فجر قوة البحث، وفتق ينبوع النظر، وقيّد ذلك بحدود الاسلام والشعور بمسؤولية الكلمة لانها حكم، والحكم امانة و(إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) وقبل أن نشرع في القاء الاضواء على كتابة الحديث في عهد رسول الله وعن اوائل تدوين السنة لابد من الاشارة الى امر هام اذا اتفقنا عليه من الآن سرنا بسلام والا فان هذا سيضاف الى باقي الكلام الكثير الذي قيل وما قيل قليل اذا قيس بما يقال وسيقال في دنيا الناس والمشارب والمذاهب، والتنظيرات.

معنى الكتابة ومعنى التدوين

إن الكتابة المقصودة في نظري - كتابة الحديث - هي كتابة شخصية قام بها الأفراد من تلقاء أنفسهم ولأنفسهم ولم يلزموا بها أحدا وإن التدوين هو قيام الدولة أو المجمع العلمية أو من له صلة بهذا أو ذاك لكتابة الحديث أو حفظه بحيث يكون ذلك بينا واضحا وملزما احيانا.

بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل
مثل ذلك .

لقد كانت اجسامهم في اماكن العمل ولكن
ارواحهم كانت الى جانب رسول الله [صلى الله
عليه وسلم]، وكيف لمثل هذا العمل ان يضيع؟
وعمر ليس وحده بل هم الصحب اجمعون
فلنستمع الى البراء بن عازب الاوسي وهو
يقول . . «ما كل الحديث سمعناه من رسول الله
[صلى الله عليه وسلم] كان يحدثنا اصحابنا،
وكنا مشغولين في رعاية الابل واصحاب الرسول
[صلى الله عليه وسلم] كانوا يطلبون ما يفوتهم
سماعه من رسول الله [صلى الله عليه وسلم]،
فيسمعونه من اقرانهم، وممن هو احفظ منهم
وكانوا يشددون على من يسمعون منه .

وقد كانوا يتلقون منه أقواله وأفعاله وتقريراته
ويتذكرون ذلك فيما بينهم حتى يحفظوه . . قال
أنس بن مالك: «كنا نكون عند النبي [صلى الله
عليه وسلم] فنسمع منه الحديث، فاذا قمنا
تذكرناه فيما بيننا حتى نحفظه وكانت اقوال
رسول الله [صلى الله عليه وسلم] حكم ما يقع له
من حوادث ويفتيهم فيما يقع لهم ويقتدون
بوقائعه في العبادات .

ولا شك أن من كانت هذه سيرته لا يستطيع
أن يكتفي بحفظ الصدر أو بحفظ الكتابة وأن
قالوا ما قالوا فهما متلازمان يتم احدهما
الآخر . . من اغرب الامور عندي أن يقال أن
النبي نهى عن كتابة الحديث خيفة ان يختلط
بالقرآن مع انه اذا كان ولا بد من الاختلاط فلم لا
يختلط في الصدور . . ما كان الصحابة ليرووا
الحديث فلا تخوف من وعيد الرواية . . وكما ثبت
عندنا اهتمامهم بالحديث وبالقرآن ثبت ايضا
خوفهم من الوقوع في الكذب والانتحال على
رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وخوفهم هذا
دليل صادق على ايمانهم بالله ورسوله فهم
يسدون الذرائع حتى لا يقعوا غفلة منهم

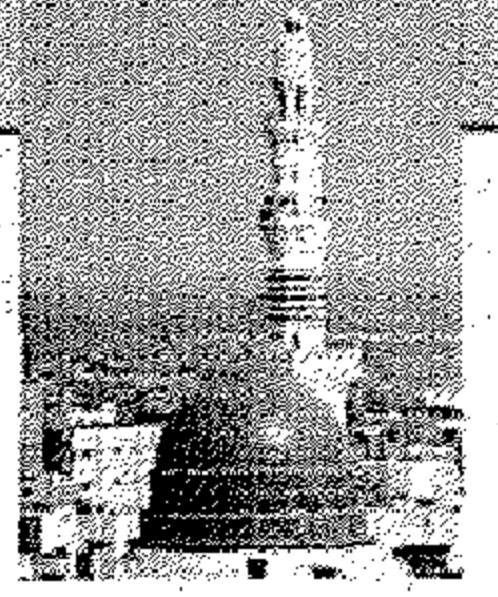
ولا غرو ان كلمة التدوين نفسها جاءت من
اصطلاح فارسي معناه اخضاع المقولات
والاعمال للادارة ومنه قولهم . . اول من دون
الدواوين عمر بن الخطاب . . وكلمة ديوان معناها
في الفارسية ادارة . اضيف اليها صفة اخرى
وهي «الرسمية» .

وسنرى ان عمل الكتابة الفردية وعمل التدوين
الرسمي كانا منذ كان رسول الله [صلى الله
عليه وسلم] وامتداداً ما يزالان الى قيام الساعة
مادام في الارض اسلام وايمان .

فالفردي يدفعه الى الكتابة الايمان بالله وحب
الجزاء الاوفى وطلب الدار الآخرة والدولة يدفعها
الى التدوين تقصي الفتاوى واستشفاف الاحكام
اذا كانت تُحكم شريعة الله والا فمن باب
المحافظة على التراث باعتباره يحمل معالم
الشخصية التي قد تمسخها اقنعة وقد تشوه
وجهها مخالب الكفر نحاسية تبدو للناظر الغير
انها قفاز ناعم، والتراث الاسلامي غير القرآن
والحديث لان معناه تفاعل المسلم مع هذا القرآن
ومع هذا الحديث .

آثار تدل على اهتمام الصحابة بالسنة

ان الحديث في اهتمام الصحابة بالحديث أو
السنة لهو حديث عن هذا القلب الذي اناره
الايمان بعد أن شمله الظلام، ظلام دامس ترتع
فيه خفافيش الشرك وتنعب فيه غريبان
الجاهلية . . حديث عن عقل سرحه الاسلام من
أصفاد الوثنية وقيود العبودية . . حديث عن قوة
ربانية توجه القلب والعقل الى الحي الذي لا
يموت الله رب العاملين . قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه: «كنت انا وجار لي من الانصار
في بني امية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا
نتناوب النزول على رسول الله [صلى الله عليه
وسلم] ينزل يوما وانزل يوما فاذا نزلت جئته



ونسيانا، فكيف بالعمل الذي حدث
ان تفشي فيمن جاعوا بعدهم
باجيال جاعوا يحملون هول
الفضيحة ويعيشون محنة الابتلاء
واستحواذ الشيطان على الاحفاد انتقاما لعجزه
امام الاجداد الصامدين العارفين.

من ذلك ما رواه عمرو بن ميمون قال: ما
اخطأني ابن مسعود عشية خميس الا أتيت فيه،
قال فما سمعته يقول بشيء قط «قال رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} فلما كان ذات عشية قال:
(قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال
فنكس، قال فنظرت اليه فهو قائم محلة ازرار
قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت اوداجه،
قال أو دون ذلك أو فوق ذلك، أو قريبا من ذلك، أو
شبيها بذلك، وهذا انس بن مالك يقول: لولا أني
اخشى أن أخطيء لحدثتكم بأشياء سمعتها من
رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وهذا ليس غريبا عن تأخذه الرعدة، ويقشعر
بدنه ويتغير لونه ورعا واحتراما لحديث رسول
الله {صلى الله عليه وسلم}.

وأخرج الامام مسلم في صحيحه الجزء الرابع
- بسنده الى مجاهد قال: صحبت ابن عمر من
مكة الى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} الا هذا الحديث: مثل
المؤمن مثل النخلة».

وآثار الصحابة في هذا الباب كثيرة وما
تخوفهم ذلك الا نتيجة ورعهم وتقواهم اذ ان
حديثه صلى الله عليه وسلم حجة كبرى لا
يتجاوزها والقرآن احد امثالا لقوله سبحانه
وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما).

ومن الغريب أن يحدثوا بهذه الالاف من
الاحاديث دون أن يكونوا قد كتبوها في عهده

{صلى الله عليه وسلم} بانه لم يكن للاحكام في
عهده {صلى الله عليه وسلم} مصدر سوى
الكتاب والسنة، ففي كتاب الله تعالى الاصول
العامه للاحكام دون التعرض الى تفصيلها
جميعا والتفريع عليها الا ما كان منها متفق مع
الاصول ثابتا بثبوتها، لا يتغير بمرور الزمن ولا
يتطور باختلاف الناس في بيئاتهم وأعرافهم.

وما كان الصحابة ليقبلوا

الحديث من راو دون أن يتثبتوا

«من سمع حديثا فرواه كما سمع فقد سلم» لم
يكن قائل هذا غير عمر الفاروق رضي الله عنه
فقد شرع للناس امر التثبت في قبول الحديث
لان قبوله حينئذ ملزم والالزام معناه العمل به
ومطالبة الناس ان يعملوا به كذلك، بل امرهم
بالعمل به ومن قبل عمر تثبت ابو بكر رضي الله
عنه بطريقته اللينة في غير ضعف فقد روي عن
النبي {صلى الله عليه وسلم} اثر جاء فيه، ارحم
امتي ابو بكر وروي ابن شهاب الزهري عن
قبيصة بن ذؤيب ان الجدة جاءت الى ابي بكر
تلتمس ان تورث فقال: ما اجد لك في كتاب الله
شيئا، وما علمت أن رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} ذكر لك شيئا ثم سأل الناس فقام المغيرة
فقال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
يعطيها السدس، فقال له هل معك احد؟ فشهد
محمد بن مسلمة بمثل ذلك فانفذه لها ابو بكر
رضي الله عنه. ومن قبل ذلك كان رسول الله
{صلى الله عليه وسلم} يوصي اصحابه بالتثبت
في رواية الحديث وقبوله، وسر المسألة يكمن في
السماع أو الاخذ الحق والحفاظ عليه طريا
وتبليغه طريا كما اخذه عن رسول الله ولذلك
رغب رسول الله في الاداء الجيد والتحمل
الحسن، أخرج الامام مسلم في صحيحه بسنده
الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال قال

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع».

كما تشدد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في قبول الرواية حتى يتثبت من صحتها فقد ثبت عنه انه كان يجلد من تبين له ان في روايته شيئاً فقد قال ابو هريرة «لقد حدثتكم احاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني عمر بالدره».

ولماذا يضربه عمر؟ لأنه قد يخطيء في الاداء وهو الصحابي الجليل الذي انقطع للرواية؟ ام لانه ذلك الذي وقف حياته على القرآن والسنة ينهل من معينهما وكان حريصاً كغيره على صحبة الصادق المصدوق {صلى الله عليه وسلم}؟ والجواب ان عمر كان يأمر بالاقلال في الرواية مخافة الفتنة . . فتنة الاداء وفتنة التحمل قبلها وفتنة التلقى وفتنة التطبيق، فهو لا يضرب ابا هريرة في شخصه بل يضرب فيه عدم الاكثار حتى يبقى العمل بالاقلال قائماً فاذا دعت الضرورة كان البحث عن الرواية وكان الاشهاد على صحتها، وهو لا يأمر بالاقلال وهو الذي روى ازيد من خمسمائة حديث في مدة وجيزة - ولكنه كان يخوف الناس في الله تعالى» ولقد «فعل ذلك عمر احتياطاً للدين وحسن نظر للمسلمين لانه خاف ان يتكلموا على ظاهر الاخبار، وليس حكم جميع الاحاديث على ظاهرها ولا كل من سمعها عرف فقهاها، فقد يرد الحديث مجملاً ويستنبط معناه وتفسيره من غيره، فخشى عمر ان يحمل حديث على غير وجهه أو يؤخذ بظاهر لفظه والحكم بخلاف مأخذه ، ونحو من هذا» وانها حق لفتنة ان تلقى الاحاديث دون قيد يبين معناها ويستنبط احكامها كما هي حال العوام في مساجدنا اليوم اذ فتنهم الفتانون وادخلوهم دروباً ملتوية لا

يدرون لها منفذا .

أسباب تثبت الصحابة وقبول الحديث في نظري

لعل الناظر الى تشدد الصحابة في رواية الحديث وفي قبوله يدرك أن لذلك اسباباً اهمها:

١ - خوف الصحابة من الوقوع في الخطأ عن غير عمد كالنسيان أو الوهم .

٢ - اتقاء فتنة الاختلاف الناجم عن عدم الفهم الشاقب لنصوص الاحاديث التي قد تبدو عند قاصري النظر متضاربة متناقضة وهم لا يعلمون ناسخها من منسوخها ولا يميزون بين مطلقها ومقيدها .

٣ - قد تسول النفس لمن يأخذ عنهم أن يزيد أو ينقص ما يظهر له انه يؤيد موقفه أو يدعم مركزه أو يقوى مذهبه فيجد في اختلاف الروايات وتنوعها وكثرة الرواة سنداً يتوكأ عليه ليلصق بالحديث الشريف رغباته واطماعه وقد ثبت أن النبي {صلى الله عليه وسلم} امر بالتثبت .

٤ - ايمان الصحابة بأن العلم يقتضي العمل وأن من بلغه الحديث صحيحاً صريحاً وجب عليه العمل به امتثالاً لقول الله تعالى {وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}، لكل هذه الاسباب وغيرها دعا الامر الصحابة الى أن يحافظوا على الحديث النبوي حفاظهم على القرآن لأن الحديث ثاني اصول التشريع الاسلامي، ولقد ثارت في زماننا هذا دعوى الأخذ بالقرآن وحده ونبذ السنة المطهرة وهي دعوى ليست جديدة فقد كانت قديمة وقد حذرنا منها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين قال: «ليوشك رجل منكم متكئاً على اريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرماناه» الا وانما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله - زاد ابو داود الا اني اوتيت القرآن ومثله معه» .

- للبحث صلة -

الجنة

تحدث عنه - فذكر الحديث - إلى أن قال: فقال الأعرابي: يا رسول الله، فيها فاكهة؟ قال نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، هي تطابق الفردوس [٢]، فقال: أي شجر أرضنا تشبهه؟ قال: ليس تشبه شيئاً من شجر أرضك ولكن أتيت الشام؟ قال: لا يا رسول الله، قال: فإنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد، ثم ينتشر أعلاها، قال: فما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لما قطعها حتى تنكسر ترقتها هрма، قال: فيها عنب؟ قال: نعم، قال: فما عظم العنقود منها؟ قال: مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يقع ولا ينثني ولا يفتر، قال: فما عظم الحبة منه؟ قال: هل ذبح أبوك تيساً من غنمه عظيماً فسلخ إهابه، فأعطاه أمك فقال ادبغى هذا، ثم افرى لنا منه ذنوباً يروي ماشيتنا؟ قال: نعم، قال: فإن تلك الحبة تشبعنى وأهل بيتى، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} وعامة عشيرتك).

وتضيف قصة عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: كنا مع عبد الله - يعنى ابن مسعود - بالشام أو بعمان، فتذاكروا الجنة، فقال: إن العنقود من عناقيدها من ههنا إلى صنعاء.

وروي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (عرضت على الجنة، فذهبت أتناول قطفاً أريكموه، فحيل بينى وبينه، فقال رجل:

في القصص النبوي

٤١

يتحدث القصص النبوي عن أشجار الجنة وظلالها الممدودة وفننها وعظم ثمارها، وكيف يرتع أهل الجنة تحتها ويستعيدون لهو الدنيا، وإن من الشجر ما يشبه شجر الدنيا، وفي الجنة أشجار عنب عظم العنقود مسيرة شهر، والحبة منه مثل ذنوب الماء تشبع عامة العشيرة، وفي الجنة نخل أصوله من الذهب وأعلاه تمر، ولكن قطوفها دانية يأكل منه أهل الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين، وفي الجنة أشجار جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ تهب عليها ريح فتحدث أصواتاً ما سمع بها السامعون ولا طرق أذانهم ألد منها وغير ذلك كثير وكثير مما سنعرض له فيما يأتي:

ففي قصة عن عتبة بن عبد [١] - رضي الله عنه - قال: (جاء أعرابي إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: ما حوضك الذي

سنة ونعيمها (د)

يارسول الله، ما ماء الحبة من العنب؟ قال: كأعظم دلو فرت أمك قط).

ويتحدث القصص النبوي عن عظم شجر الجنة الذي يحمل هذه الثمار العظيمة والتي لا مجال لعرضها على عقولنا القاصرة، بل كل ما استعظمنا ذلك وهالنا وصفها، كان

ذلك مصداق ما روي عن أبي هريرة

- رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرعوا إن شئتم: (وظل ممدود) وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرعوا إن شئتم: (فمن زُحِزَحَ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز).

فها هو القصص يصف لنا ضخامة وعظمة أشجار الجنة، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، إن شئتم فاقرعوا: (وظل ممدود، وماء مسكوب).

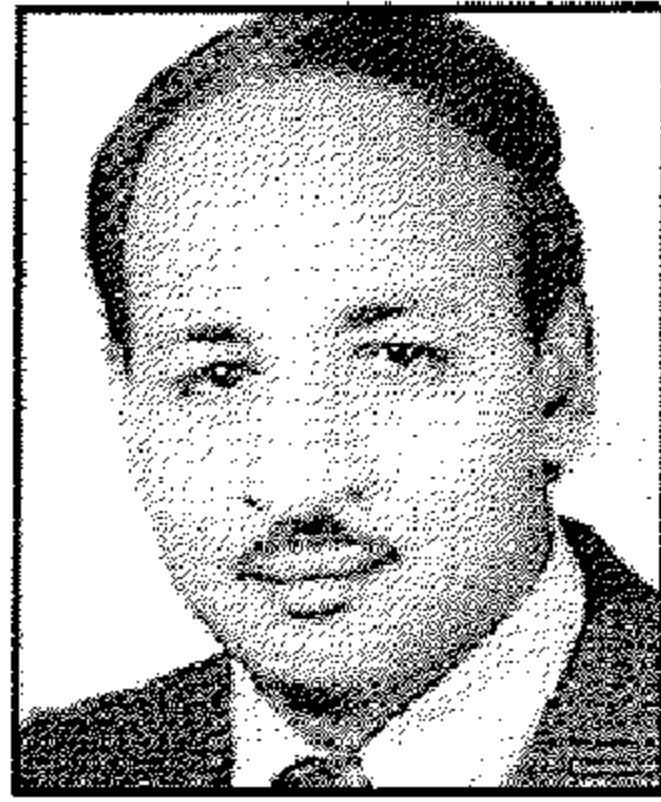
وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر [٣] السريع مائة عام لا يقطعها).

وجاء في قصة عن أسماء بنت أبي بكر -

رضي الله عنهما - قالت: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وذكر سدره المنتهى فقال: (يسير الراكب في ظل الفن منها مائة سنة أو يستظل بها مائة راكب - شك يحيى - فيها فراش الذهب، كأن ثمارها القلال).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -

قال: الظل الممدود، شجرة في الجنة على ساق، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، فيخرج أهل الجنة: أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها مائة عام في كل نواحيها، قال: فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا.



بقلم:
أ.د. عبد الباق
أحمد علي هبة
- مصر -

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فتصطفق [٤]، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألد منه).

وعنه أيضا عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب).

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: نزلنا الصفا [٥]، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس تبلغه، قال: فقلت

قال: قال رجل: يا رسول الله، هل في الجنة من نخل فإنني أحب النخل؟ قال: (أى والذي نفسي بيده لها جنود من ذهب، وكرانيف من ذهب، وجريد من ذهب، وسعف كأحسن حل يراها امرؤ من العالمين، وعراجين من ذهب، وشماريخ وكرانيف من ذهب، وأقماع من ذهب، وثمارها كالقلال، وألين من الزبد، وأحلى حلاوة من العسل).

وفي الجنة يزرع أهلها، نقل القرطبي عن البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان يوما يحدث، وعنده رجل من أهل البادية، أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: أولست فيما شئت، قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء فقال الأعرابي: يا رسول الله: لا تجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (لقيت إبراهيم - عليه السلام - ليلة أسرى بي فقال: يا محمد اقرأ أمّتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

وعن أبي هريرة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مر به وهو يغرس غرسا

للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، قال: فانطلق فأظله، فلما استيقظ، فإذا هو سلمان - رضي الله عنه - فأتيته أسلم عليه، فقال: يا جرير تواضع لله، فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري، قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت: يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاه التمر.

وفي قصة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نخل الجنة، جذوعها من زمرد خضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم [٦].

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - في قوله تعالى: {وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا} قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين.

ومن عجائب ما في الجنة - وليس ذلك على الله بعزيز - ما حكاه ابن المبارك قال: أخبر معمر عن الأشعث بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال [٧] (في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يقول الله - تعالى: {تفتقى لعبدي ما شاء، فتفتقق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيأته كما يشاء، وتفتقق له عن الراحلة برجلها وزمامها وهيأتها كما يشاء، وعن النجائب والثياب}).

وعن ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد

فقال: (يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟ قال: غرسا، قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة).

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (من قال سبحان الله العظيم ويحمده غرست له نخلة في الجنة).

ويكثر في الجنة زرع الرياحان كما جاء في القصص النبوي [٨] عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: (الحناء سيد ريحان الجنة، وإن فيها من عتاق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لما خلق الله الجنة حففها بالريحان وحفف الرياحان بالحناء، وما خلق الله شجرة أحب إليه من الحناء، وأن المختضب بالحناء لتصلي عليه ملائكة السماء إذا غدا وتقدس الأرض) قال السكري: (وتقدس عليه ملائكة الأرض إذا راح).

وعن أبي عثمان النهدي قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا أعطي أحدكم الرياحان فلا يرده، فإنه خرج من الجنة).

قال ابن قيم الجوزية [٩] قال ابن أبي الدنيا حدثني أزهر بن مروان، حدثنا عبد الله بن عبد الله الشيباني عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه، عن صفى اليماني، قال: سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهل الجنة قال: (إنهم يفدون إلى الله - سبحانه وتعالى - كل يوم خميس، فتوضع لهم أسرة، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي

أنت عليه، فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال الله تعالى: {اطعموا عبادي واخلقوا جيرانهم ووفدي، فيطعموا، ثم يقول: اسقوهم فيأتون بأنية من ألوان شتى مختمة، فيشربون منها، ثم يقول: عبادي واخلقوا جيرانهم ووفدي قد طعموا وشربوا فكهوهم، فتجيء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاءوا ثم يقول: عبادي واخلقوا جيرانهم ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهاوا فكسوهم، فتجيء ثمرات شجر أصفر وأخضر وأحمر، وكل لون لم ينبت إلا الحل فتتشر عليهم حللا وقمصا ثم يقول: عبادي واخلقوا جيرانهم ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهاوا فكسوا طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر، ثم يقول: عبادي وجيرانهم ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهاوا وكسوا وطيبوا لا تجلن لهم حتى ينظروا إلي، فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم، فتقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، فيقولون: ذلك أن الله - جل ثناؤه - تجلى لنا، فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا).

وقد عرض ابن قيم الجوزية [١٠] أقوال العلماء في قوله تعالى: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة) ونلخص هذه الأقوال في أن أهل الجنة عندما أتوا بالثمرة نظروا إليها وقالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا. وأتوا به متشابها

يعرفونه، وإن ثمار الدنيا فيها مشابهة في اللون والطعم مع ثمار الجنة؛ لما روي عن أبي موسى قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أهبط الله آدم من الجنة - عليه السلام - وعلمه صنعة كل شيء، وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أنها تغير وتلك لا تغير).

وقالت طائفة منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} متشابهة في اللون والمرأى، وليس يشبه الطعم. وقال يحيى بن أبي كثير (عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها، فيقولون: هذا الذي جئتمونا به أنفا، فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف، فهو قوله - عز وجل: {وأتوا به متشابهة}.

وتتميز ثمرة الجنة عن ثمرة الدنيا: (كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى) وأن ثمر الجنة خيار كله لا رذل فيه، أي منتقى وطيب لا رديء فيه. وإنها لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) وكذا ثمر الجنة دان قريب ممن يتناوله (قياما وقعودا ومضطجعين على أي حال شاعوا). وثمر الجنة يختلف في الحجم وغير ذلك لحديث ابن عباس [١١]، (وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم).

مطايا وخدم وغللمان أهل الجنة:

يقص النبي {صلى الله عليه وسلم} على

أُمته ما في الجنة من ألوان النعيم الذي لا ينقطع وما أعدّه الله لهم منذ خروجهم من قبورهم إلى الحشر، فيستقبلون بأنيق عليها رجال الذهب، شرك نعالهم نور يتلأأ، فيسيرون عليها حتى ينتهوا إلى باب الجنة، حيث يتحفهم بما سيأتي ذكره، وحينما يستقرون في الجنة ويريدون التزاور فيؤتون بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله - عز وجل - وعندما يشتاق أهل الجنة إلى إخوانهم يسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعا جميعا، وأحيانا يتزاورون على الجمال الملونة.

ويتحدث القصص النبوي عن الولدان والغلمان في الجنة، وعن كثرة عددهم، وجمال خلقهم وخلقهم، كما قال الله تعالى: (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) وهم يحملون الأكواب والأباريق ويسقونهم من الرحيق المختوم.

جاء في (منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) [١٢] عن أبي فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن زياد عن جرير بن سعيد عن الضحاک بن مزاحم عن الفزال بن سبرة عن علي قال: قلت لرسول الله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قلت كلهم ركبانا، قال: يا علي، والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم، استقبلوا بأنيق [١٣] عليها رجال الذهب، شرك نعالهم نور يتلأأ، فيسيرون عليها حتى ينتهوا إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوت على صفائح الذهب،

وإذا عند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان، فيشربون من أحد العينين، فإذا بلغ الشراب الصدر أخرج الله ما في صدورهم من غل أو حسد أو بغي، وذلك قول الله تعالى: (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) فلما انتهى الشراب إلى البطن طهرهم من دنس الدنيا وقذرها، وذلك قوله تعالى: (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث أبدانهم، ولا تغير ألوانهم أبدا، فيضربون بالحلقة على الصفائح، فيسمع لذلك طنين، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قدم، فتبعث بقيمها، فلولا أنه عرفه نفسه لخر له ساجدا من النور والبهاء والحسن، فيقول: يا ولي الله إنما أنا قيمك الذي وكلت بمنزلك، فينطلق وهو بالأثر حتى ينتهي به إلى قصر من فضة، شرفه الذهب، يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، فيقول: لمن هذا؟ فيقول الملك: هو لك، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لو مات أحد من الفرع لمات، فيريد أن يدخله فيقول له أمامك، فلا يزال يمر به على قصوره، وعلى خيامه، وعلى أنهاره، حتى يمر به على غرفة من ياقوته من أسفلها إلى أعلاها مائة ألف ذراع، قد بنيت على جبال الدر والياقوت، بين أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، ليس منها طريقة تشاكل صاحبته، في الغرفة سرير عرضه فرسخ في طول ميل، عليه من الفرش على قدر سبعين غرفة، بعضها فوق بعض، فرشها لون، وسريره لون، وعلى رأس ولي الله تاج، لذلك التاج سبعون ركنا في كل ركن منها ياقوتة تضيء

مسيرة ثلاث للمتعب، ووجهه مثل القمر ليلة البدر، وعليه طوق ووشاحان، له نور يتلأأ، وفي يده ثلاثة أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وذلك قوله: (يُحَلَّونَ فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) وعليه سبعون حلة من حرير مختلفة الألوان على رقة شقائق النعمان، وذلك قوله تعالى: {ولباسهم فيها حرير} يهز السرير فرحا وشوقا إلى ولي الله فاتضح له حتى استوى، وينظر إلى أساس بنيانه، يسترقه مخافة أن يلتصع ذلك النور بصره، فبينما هو كذلك إذ أقبلت حوراء عيناء، معها سبعون جارية وسبعون غلاما، وعليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الحل والجلد والعظم، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء، وكما يرى السلك في الدرة الصافية فلما عاينها نسي كل شيء عاينه قبلها، فتستوي على السرير معه، فيضرب بيده إلى نحرها، فيقرأ ما في كبدها، فإذا هو مكتوب: أنا حبك وأنت حبي، إليك انتهت نفسي، وذلك قوله: {كأنهن الياقوت والمرجان} يشبه في بياض اللؤلؤ، فيتنعم معها سبعين سنة، لا تنقطع شهوتها ولا شهوته، فبينما هم كذلك، إذ أقبل الملائكة وللغرفتين سبعون بابا أو سبعون ألف باب، على كل باب حاجب، فتقول الملائكة: استأذنوا على ولي الله، فتقول الحجة: إنه ليتعاضما أن نستأذن لكم إنه مع أزواجه، فيقولون: الملائكة بالباب يستأذنون عليك، فيقول: إئذنوا لهم، ثم تلا النبي {صلى الله عليه وسلم}: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وتلا

النبي {صلى الله عليه وسلم} (وإذا رأيتَ ثمَّ رأيتَ نعيماً ومُلْكاً كبيراً) فلا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن والأنهار تترد من تحت مساكنه، والثمار متدلية عليه، إن شاء تناولها بفيه، وإن شاء تناولها متكئاً، وإن شاء تناولها قاعداً، وإن شاء تناولها قائماً، وأنهار من ماء غير آس ليس فيه كدر، والآس الذي يتغير ماء الدنيا، وأنهار من لبن، لم يخرج من بين الفرس والدم، ولا من ضروع الماشية، وأنهار من خمر لم يطأها الرجال بآرجلها لذة للشاربين، لا تصدع رعوسهم، ولا تغلبهم على عقولهم، وأنهار من عسل مصفى من موم العسل، لم يخرج من بطون النحل، فبينما هو كذلك مرة يتنعم مع أزواجه، ومرة يؤتى بغذائه، ومرة بشرابه، ومرة تستأذن عليه الملائكة، ومرة يزور ربه فيكلمه - عز وجل - ومرة يزور الإخوان في الله فبينما هو كذلك إذ نور قد غشيه، فقال بعضهم ما هذا النور؟ والذي غشى أهل الجنة؟ فيقول الملائكة: هذه حوراء أشرفت من خيمتها فرحاً وشوقاً إليك، فما غشيك من نور فهو من نور ثغرها).

وعن أبي أيوب [١٤] (إن أهل الجنة ليتزاورون على النجائب بيض كأنهن الياقوت وليس في الجنة شيء من البهائم إلا الأبل والطير).

وعن أنس رضي الله عنه [١٥] قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا دخل أهل الجنة الجنة، فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعوا جميعاً فيتكىء هذا ويتكىء هذا، فيقول

أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم، يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا).

وعن شفى بن مانع أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب [١٦]، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله - عز وجل - فيأتيتهم مثل السحابة، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيقولون: امطري علينا، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيتهم، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية، فتتسف كثراناً من مسك عن أيمانهم، وعن شمائلهم، فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي معارفها وفي رعوسهم، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تنادى بعض أولئك: يا عبد الله أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنت ومن أنت؟ فتقول: أنا زوجك وحبك، فيقول: ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة: أو ما تعلم أن الله - تعالى - قال: {فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون} فيقول: بلى وربى، فلعله يشغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، لا يلتفت ولا يعود، وما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة).

وجاء في قصة عن أبي هريرة - رضى

الله عنه - قال: (إن أهل الجنة ليتزاوون على العيس والجون، عليها رجال الميس، ويثير مناسمها غبار المسك، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها).

وفي قصة أخرى عن علي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مد البصر فيركبها أهل الجنة، فتطير بهم حيث شاعوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: يارب بما بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل، وكنتم تنامون، وكانوا يصومون، وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون، وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون).

وعن عبد الرحمن بن ساعدة - رضي الله عنه - قال: (كنت أحب الخيل فقلت: يارسول الله هل في الجنة خيل؟ فقال: إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان، تطير بك حيث شئت).

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا سأل النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله هل في الجنة من خيل؟ فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا كان) قال: وسأله رجل فقال: يارسول الله هل في الجنة من إبل؟ فلم يقل له

ما قال لصاحبه، قال: (إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتئت نفسك ولذت عينك).

وروى أبو أيوب - رضي الله عنه - قال: أتى النبي {صلى الله عليه وسلم} أعرابي، فقال: يارسول الله إنني أحب الخيل، أفي الجنة خيل؟ قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن دخلت الجنة أوتيت بفرس من ياقوته، له جناحان فحملت عليه، ثم طار بك حيث شئت).

ونقل ابن قسيم الجوزية [١٧] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وذكر الجنة فقال: (والفردوس أعلاها سموا، وأوسعها منه محلا، ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة، فقام إليه رجل فقال: يارسول الله، إنني رجل حبيب إلى الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال: أي والذي نفسي بيده، إن في الجنة لخيلا وإبلا هفاقة تزف بين خلال ورق الجنة، يتزاوون عليها حيث شاعوا، فقام إليه رجل فقال: يارسول الله إنني حبيب إلى الإبل) وذكر الحديث.

وعن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، جاءتهم خيول من ياقوت أحمر، لها أجنحة، لا تبول ولا تروث، فقعدوا عليها، ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلى لهم الجبار، فإذا رآوه خروا سجدا، فيقول لهم الجبار - تعالى - {ارفعوا رءوسكم، فإن هذا ليس يوم عمل، إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رءوسهم فيمطر الله عليهم طيبا، فيمرون بكتبان

المسك، فيبعث الله على تلك الكتبان ريحا فتتهيجها عليهم، حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر).

وجاء في التذكرة [١٨] خرّج مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة) وذكر ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: كان الحسن البصري يذكر عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب اقرأوا إن شئتم: (وإذا رأيتَ ثمَّ رأيتَ نعيما ومُلْكًا كبيراً)).

وحكي عن عبد الله بن المبارك: خرج إلى غزو فرأى رجلا حزينا قد مات فرسه فبقى محزوناً، فقال له: بعني إياه بأربعمائة درهم، ففعل الرجل ذلك، أي باعه له، فرأى من ليلته في المنام كأن القيامة قد قامت، وفرسه في الجنة وخلفه سبعمائة فرس فأراد أن يأخذه، فنودي أن دعه، فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة، فقال له: ولم؟ قال: فقص عليه القصة، فقال له اذهب فما رأيت في المنام رأيناه في اليقظة).

ومن مطايا الجنة الاتكاء على رفرف خضر؛ والرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى كالمرجاح يمينا وشمالا، ورفعا وخفضا، يتلذذ به مع أنيسته.

وروى في حديث المعراج [١٩] أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لما بلغ سدره المنتهى جاءه الرفرف، فتناوله من جبريل وطار به إلى سند العرش، فذكر أنه طار بي يخفضني ويرفعني، حتى وقف بي على ربي، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى أدله إلى جبريل - صلوات الله عليهما - وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد، والرفرف خادم من الخدم بين يدي الله - تعالى - له خواص الأمور في محل الدنو والقربة، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء - صلوات الله عليهم - مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذي سخره الله لأجل الجنتين الدانتين، هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولى على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان.

ومن القصص النبوى الذى يتحدث عن الخدم والولدان والغلمان ما روى عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال [٢١] قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)).

وعن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من

لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية إلى صنعاء).

وجاء في قصة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، بيد كل واحد صحفتان من ذهب، والأخرى من فضة، في كل واحد لون ليس في الأخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، إخوانا على سرر متقابلين).

وروى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، وليس فيهم دنى، من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه).

وعن عبد الله بن عمرو قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه، قال: وتلا هذه الآية: (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا).

ونقل القرطبي [٢١] ما ذكره ابن المبارك عن نقل عن علي - رضي الله عنه - وجاء فيه: وتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم، كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة، يقولون: أبشر أعد الله لك كذا وكذا، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه، فيقول:

قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى في الدنيا، فتقول له: أنت رأيته؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب، ثم ترجع فتجيء فتتظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ، أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم يجلس فينظر فإذا زرابى مبنوثة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، ثم يرفع رأسه إلى سقف بنيانه، فلولا أن الله قدر ذلك لأذهب بصره، إنما هو مثل البرق، ثم يقول كما أخبرنا تعالى: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله).

- البحث صلة -

الهوامش:

- (١) الترغيب والترهيب ج٤ ص ٥٢١.
- (٢) تملأ أعلى الجنة ظلا.
- (٣) الصحيح النحيف.
- (٤) تحدث صوتا جميلا.
- (٥) مكان قرب حنين.
- (٦) نوى أو شيء صلب.
- (٧) التذكرة ص ٥٢١.
- (٨) التذكرة ص ٥٦٦.
- (٩) حادي الأرواح ص ٣١٢.
- (١٠) المرجع السابق ص ٢٠٩ وما بعدها.
- (١١) خرج صاحب كتاب (صحيح حادي الأرواح) الدخاقي ص ١٥٣.
- (١٢) هامش مسند الإمام أحمد ج ٦ ص ١١٥ وانظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣٧.
- (١٣) تختلف قليلا عما في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٩٤ وفي كنز العمال الشيخ على المتقى ج ١٨ ص ٢٥٧.
- (١٤) المرجع السابق ص ١٠٨.
- (١٥) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٥٤٣.
- (١٦) المطايا كل ما يوطيء ومنها المراكب، والنجيب الفاضل من كل حيوان.
- (١٧) حادي الأرواح ص ٢٩٨.
- (١٨) ص ٥٦٤.
- (١٩) التذكرة ص ٥٢٠.
- (٢٠) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٥٠٧.
- (٢١) التذكرة ص ٥٧٨.

انتهينا في الحلقة السابقة إلى أن سيد قطب - رحمه الله - كان يرى أن التصوير هو القاعدة المفضلة للتعبير في القرآن الكريم، حيث تُصَوِّر المعاني والأغراض والمقاصد في صورة شاخصة محسنة، وأن التصوير هو القاعدة الأولى للبيان فيه، حيث تناول بها جميع الأغراض ناقلاً إياها من صورتها الذهنية التجريدية إلى هيئة شاخصة حية نابضة. وذكرنا أمثلة لتناول القرآن للمعاني المجردة الذهنية، والحالات النفسية المعنوية والقصص التي تناول بها الأقوام السابقة، حيث تناولها بالتصوير والتجسيم في أداء معجز لا يَخْلُقُ على كثرة الرد. ونتابع في هذه الحلقة إكمال توضيح جوانب الصورة في الأداء القرآني لمختلف المعاني التي تناولها القرآن الكريم.

الإيجاز الفني في القرآن الكريم

عند سيد قطب (٢ - ٢)

قواعد التصوير الفني في القرآن الكريم

تخلع عليها الحياة [١]. وهو يرى كذلك أن التصوير الفني في القرآن لا يأتي حيثما اتفق، بل يقوم على أسس وقواعد فنية منها: التخيل أو التشخيص، والذي يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية.

ففي قوله تعالى: «والصبح إذا تنفس» (سورة التكويد/١٨) يخيل إليك هذه الإجابة الوديعه الهادئة التي تنفرج عنها ثنياه وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء، وها هو ذا الليل يسرع في طلب النهار فلا يستطيع له دركا «يفشي الليل النهار يطلبه حثيثا» (سورة الأعراف/٥٤) ويدور الخيال مع هذه الدورة

بقلم: د. أحمد أحمد غريب
- الرياض -

يرى سيد قطب أن آفاق التصوير في القرآن أوسع من أن تدرك بقيود العمل الأدبي، لأن التصوير باللغة بحكم سعة آفاقه يجتمع فيه تصوير باللون، وتصوير بالحركة وتصوير بالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملأها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان، وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة، وخطوط جامدة، تصوير تقاس فيه الأبعاد والمسافات بالمشاعير والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو مشاهد من الطبيعة

الدائبة التي لا نهاية لها ولا ابتداء [٢].

ومن هذه القواعد أيضاً التجسيم، بمعناه الفني لا بمعناه الديني، وهو لا يعني به التشبيهي بمحسوس وإنما يعني به تجسيم المعنويات لا على وجه التشبيهي والتمثيل، بل على وجه التعبير والتصوير، ومن ذلك قوله تعالى: «وسِعَ كُرْسِيهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا» (سورة البقرة/ ٢٢٥) فالتعبير في هذه الصورة الحسية قد جاء في موضع التجريد المطلق على طريقة القرآن في التعبير التصويري، لأن الصورة هنا تمنح الحقيقة المراد تمثيلها للقلب قوة وعمقاً وثباتاً وسعها سلطانه، وهذه هي الحقيقة من الناحية الذهنية، ولكن الصورة التي ترتسم في الحس من التعبير بالمحسوس أثبت وأمكن، وكذلك التعبير بقوله: «ولا يؤوده حفظهما» فهو كناية عن القدرة الكاملة، ولكن يجيء في هذه الصورة المحسوسة صورة لانعدام الجهد والكلال، لأن التعبير القرآني يتجه إلى رسم صورة للمعاني تجسمها للحس فتكون فيه أوقع وأعمق وأحسن [٣].

أو تجسيم الذنوب كأنها أحمال تحمل على الظهور زيادة في التجسيم: «وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم» (سورة الأنعام/ ٣١)، «ولا تزد وزراً وذر أخرى» (سورة الأنعام/ ١٦٤)، ومن تجسيم المعنويات مثل قوله تعالى: «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى» (سورة البقرة/ ١٩٧م) فالتقوى زاد، أو «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» (سورة البقرة/ ١٣٨) فدين الله صبغة معلمة، وكثيراً ما يجتمع التخيل والتجسيم معاً لرسم الصورة المطلوبة، التي تعرض في القرآن في إطار من التناسق الفني الذي يبلغ الذروة في التصوير.

التناسق الفني في القرآن

ويرى سيد قطب أن التناسق الفني الذي تعرض الصورة الفنية من خلاله ألوان ودرجات، ومن هذه الألوان ما تناوله القدماء، كالتنسيق في تأليف العبارات ونظمها في نسق خاص يبلغ الذروة في الفصاحة، ومنها ما أهملوه وتركوه كالإيقاع الناشيء من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص لتتناسق مع جو السياق الذي تساق فيه الآيات لتؤدي وظيفتها المرادة منها.

من ذلك الإيقاع الذي يلحظ ولا يشرح، فهو كامن

في اللفظة المفردة وتركيب الجملة الواحدة، ويدرك بحاسة خفية كما في قوله تعالى: «قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً» (سورة مريم/ ٤).

فلو حاولت مثلاً أن تغير فقط كلمة «مني» فتجعلها سابقة لكلمة «العظم» لأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر، وذلك لأنها تتوازن مع «إني» في صدر الفقرة هكذا «قال رب إني .. وهن العظم مني» [٤].

كما تحدث سيد قطب عن نظام الفواصل في الآيات وتعدد ألوان الإيقاع فيها، ومحاولته إخضاع ذلك التعدد إلى اعتبارات فنية يقتضيها السياق، ففي سورة النازعات أسلوبان للإيقاع، ينسجمان مع جوين فيهما تمام الانسجام، أولهما يظهر في هذه المقطوعة السريعة الحركة، القصيرة الموجة، القوية المبني، تنسجم مع جو مكهرب سريع النبض، شديد الارتجاف على النحو التالي:

« والنازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً، فالسابقات سبقاً، فالمندبرات أمراً، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة، أبصارها خاشعة، يقولون أئنا لمربوبون في الحافرة، أئذا كنا عظاماً نخرة، قالوا تلك إذن كرة خاسرة، فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة» (سورة النازعات الآيات/ ١ - ١٤) والثاني يظهر في هذه المقطوعة الوانية الحركة، الرخية الموجة المتوسطة الطول، تنسجم مع الجو القصصي الذي يلي مباشرة في السورة، حيث الكرة الخاسرة، والزجرة الواحدة، وحديث الساهرة على النحو التالي: «هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، اذهب إلى فرعون إنه طغى، فقل هل لك إلى أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى» (سورة النازعات الآيات/ ١٥ - ١٩) ويعقب على ذلك بقوله: «لسنا في حاجة إلى قواعد إيقاعية أو اصطلاحات فنية لنذكر الفرق بين الأسلوبين والإيقاعين، فهو واضح لا يخفى، وهو كذلك منسجم في كل حالة مع الجو الذي يطلق فيه الإيقاع، ولهذا الإيقاع وظيفة أساسية في مصاحبة المشهد المعروض في المرتين الأولى والأخري» [٥].

ومن الإعجاز أن نرى القرآن الكريم يستخدم إيقاعاً واحداً، وفاصلة على وزن واحد، ليعبر بهما عن مشهدين متباينين للنعيم والعذاب في الآخرة. حيث يقول الله جل شأنه في سورة الحاقة: «فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم أقرؤا كتابيه، إني ظننت أني

ملاق حسابه، فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية» (سورة الحاقة/ ١٩ - ٢٤) فالفواصل هنا تحمل في إيقاع رخي طمأنينة هذا العبد الفائز برضوان الله، يظهر ذلك في تلك التوكيدات التي تحمل إضافة ياء المتكلم وما التخصيص «كتابه» «حسابه» ويظهر أيضاً في رضى الله على عبده حيث ضمن له «عيشة راضية» في «جنة عالية»، «قطوفها دانية» لما قدمه في «الأيام الخالية»، ثم تجيء الفواصل في الآيات بعدها على نفس الوزن والإيقاع لتصور سخط الساخط وحسرة المتحسر لوقوعه في دائرة عذاب الله وانتقامه حيث يقول تعالى: «وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، يا ليتها كانت القاضيه، ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه» (سورة الحاقة/ ٢٥ - ٢٩) ولا يخفى ما تحمله الفواصل هنا من توقيعات الحسرة والندامة، وإن كانت هذه الحسرة لا تنبعث من الإيقاع فقط، ولكن يشارك فيها كل أوضاع السياق من لفظ ومعنى وتصوير.

وقد يكون التنوع في الإيقاع مصدراً من مصادر إثراء الصورة في الفاصلة القرآنية، فمع تنوع الفاصلة تزداد الأبعاد التصويرية التي تقوي المعنى، ومثال ذلك ما عرضت في المثال السابق من سورة الحاقة، فبعد أن يعرض القرآن صورة المتحسر لوقوعه في دائرة العذاب، وينتهي عند قوله: {هلك عني سلطانيه} تنتوع الفاصلة هكذا: «خنوه فقلوه ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعاً فاسلكوه» (سورة الحاقة/ ٣٠ - ٣٢) هكذا بصيغة الأمر المنتهية (بالواو والهاء): «خنوه - غلوه - صلوه - اسلكوه» وتتزامن هذه الفاصلة المنتهية بالواو والهاء مع السابقة المنتهية بالياء والهاء لتنوع مشهد العذاب الذي تنخلع لهوله القلوب، وتلجم معه الألسنة، ثم تتواكب هذه (السينات) في «سلسلة» و«سبعون» و«اسلكوه» مع حرف الذال في «ذرعا» و«ذراعاً» حتى لتكاد تسمعنا صلصلة السلاسل في أعناق وأرجل المجرمين، يساقون إلى جهنم سوقاً، وهي بذلك تضيف إلى جانب إيقاع الكلمات إيقاعاً بالحروف يشارك في رسم الصورة ويمنحها الحياة.

وقد ذهب سيد قطب إلى أن تناسق الصورة الفنية في القرآن الكريم قد يكون (بوحدة الرسم) في اللوحة المعروضة، بمعنى أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة المعروضة في اللوحة فلا تتنافر جزئياتها كما في قوله تعالى: «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت».

وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت» (سورة الغاشية/ ١٨ - ٢٠) يقول سيد قطب: فهذه ريشة تجمع بين السماء والأرض والجبال والجمال في مشهد واحد، حدوده تلك الآفاق الوسيعة من الحياة والطبيعة، والملاحظ هنا هو الضخامة وما تلقيه في الحس من استهوال، والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة، والاتجاه الرأسي بينهما في الجبال المنصوبة، والإبل الصاعدة السنام، وهذه دقة تأخذها عين المصور المبدع في الأشكال والأحجام، ومما يلاحظ هنا بعين المصور كذلك أن لوحة طبيعية قاعدتها السماء والأرض لا يبرز فيها من الجماد إلا الجبال، ولا يبرز فيها من الأحياء إلا الجمال أو ما هو في حجم الجمال، والجمال هو الحيوان المناسب لأنه أليف الصحراء الفسيحة التي تحدها السماء والجبال [٦].

كما نبه سيد قطب على دور الكلمة أو اللفظة، ودقة اختيارها في إحداث التناسق للمعنى المراد، أو في إحداث الإيقاع المتوازن مع السياق، مثل ذلك قوله تعالى: «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين» (سورة الأنعام/ ١٥ - ١٦) فهو يرى أن لفظة «يصرف» قد جسمت المعنى ورسمته في صورة شاخصة، فهو تصوير لحقيقة مشاعر العذاب الذي يعتبر مجرد صرفه عن العبد رحمة من الله وفوزاً مبيناً، ولكنه في الوقت ذاته جملة مزلزلة، تصور العذاب في ذلك اليوم العظيم يطلب الفريسة ويحلق عليها، ويهجم ليأخذها، فلا تصرفه عنها إلا القدرة القادرة التي تأخذ بخطامها فتلويه عنها، وإن أنفاس القارئ لهذا التصوير لتحسب وهو يتمثل المشهد في انتظار هذه اللقطة الأخيرة [٧].

- ومثل ذلك ما ترسمه لفظة (كيد) في قوله تعالى: «فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى» (سورة طه/ ٦٠) فهذا التعبير يجمع كل ما قاله فرعون وما أشار به الملأ من قومه، وما دار بينه وبين السحرة من تشجيع وتحسيس ووعد بالمكافأة، وما فكر فيه ودبر هو ومستشاروه، يجمعه في جملة ٠٠ (فتولى فرعون، فجمع كيده، ثم أتى) وتصور تلك الآية الواحدة القصيرة ثلاث حركات متواليات ٠٠ ذهاب فرعون، وجمع كيده، والإتيان به [٨].

- أو ما تصوره لفظة (مُحصنين) و(مسافحين) في قوله تعالى: «وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين» (سورة النساء/ ٢٤) (فهو إحصان للرجل، وإحصان للمرأة ففي

هذه القراءة «محصنين» بصفة اسم الفاعل، وفي قراءة أخرى «محصنين» بصيغة اسم المفعول، وكلا المعنيين يتحقق في هذه الصورة النظيفة القويمة العفيفة، وهو إحصان البيت والأسرة والأطفال... والآخر سفاح، مفاعلة من السفح، وهو إراقة الماء في المنحدر الواطيء... مسافحة يشترك فيها الرجل والمرأة، فيريقان ماء الحياء - الذي جعله الله لامتداد النوع ورقية - يريقانه للذة العابرة، والنزوة العارضة... يريقانه في السفح الواطيء فلا يحصنها من الدنس، ولا يحصن الذرية من التلف، ولا يحصن البيوت من البوار، وهكذا يرسم التعبير القرآني صورتين كاملتين لنوعين من الحياة في كلمتين اثنتين [٩].

- وفي قوله تعالى في سورة النحل: «والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون، وإن لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخزون منه سكرأ ورزقاً حسناً، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون، وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» (سورة النحل / ٦٥ - ٦٩) في هذه الآيات يكشف سيد قطب عن ظاهرة التناسق الفني في القرآن، حيث عرض لهذه النعم... إنزال الماء من السماء... وإخراج اللبن من بين فرث ودم... واستخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، والعسل من بطون النحل... إنها كلها أشربة تخرج من أجسام مختلفة لها في شكلها، ولما كان الجو جو أشربة، فقد عرض من الأنعام لبنها وحده في هذا المجال تنسيقاً لمفردات المشهد كله. يقول: وسنرى في الدرس التالي أنه عرض من الأنعام جلودها، وأصوافها، وأوبارها لأن الجو هناك - يقصد قوله تعالى في نفس السورة: {والله جعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين. والله جعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم} (سورة النحل / ٨٠ - ٨١) فالجو هنا جو أكنان وسراويل، مناسب أنه يعرض من الأنعام جانبها الذي يتناسق مع مفردات المشهد، وذلك أفق من آفاق التناسق الفني في القرآن [١٠].

وقريب من هذا التناسق لفظ الكيد في الآية الكريمة: «فبدأ بلوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء

أخيه كذلك كدنا ليوسف» (سورة يوسف / ١٧) يقول سيد قطب: فهذا هو تدبير الله الذي ألهم يوسف أسبابه، وهو كيد الله له، والكيد يطلق على التدبير في الخفاء للخير والشر سواء، وإن كان الشر قد غلب عليه، وظاهر الأمر هنا أنه شر يحل بأخيه، وهو شر يحل بإخوته لإحراجهم أمام أبيه، وهو سوء - ولو مؤقتاً - لأبيه، فلهذا اختار تسميته (كيداً) على إجمال اللفظ، بالإلماع إلى ظاهره، وهو من دقائق التعبير [١١].

وأرى أن لفظ (كدنا) لا يتبوأ جماله مما ذكره المفسر فحسب، ولكن يتبوأ جماله من تلك النكتة البليغة التي تعبر عنها الحكمة القائلة: بأن الجراء من جنس العمل، فأخوته قد كادوا له طفلاً، وها قد جاء الدور عليهم ليكيد لهم رجلاً، وإن كان الكيد هنا ليس من جنس كيدهم، لأنه كيد الله، وكيد الله التدبير، وهو لا يكون إلا في الخير، وهو لون من ألوان التناسق الذي أشار إليه المفسر.

وينتهي سيد قطب إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل إلى لفظ مُعبر إلى تعبير مصور، إلى تصوير مشخص، إلى تخيل مجسم، إلى إيقاع منغم، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، إلى تناسق في الإيقاع، إلى افئتان في الإخراج وبهذا كله يتم الإبداع ويتحقق الإعجاز [١٢].

■ البحث صلة ■

الهوامش:

- (١) التصوير الفني في القرآن ط٦ (القاهرة - دار الشروق ١٩٨٠م) ص ٤٨ وما بعدها.
- (٢) المرجع السابق ص ٦٢.
- (٣) في ظلال القرآن / الطبعة الأولى (دار الشروق ١٩٨١م) المجلد الأول ص ٢٩.
- (٤) التصوير الفني في القرآن - مرجع سابق.
- (٥) المرجع السابق ص ٩١ وما بعدها.
- (٦) المرجع السابق ص ١٠١.
- (٧) في ظلال القرآن، المجلد الثاني ص ١٠٥٥.
- (٨) المرجع السابق، المجلد الرابع ص ٢٣٤١.
- (٩) المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ٦٢٥.
- (١٠) المرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢١٨٢.
- (١١) المرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢٠٢٠.
- (١٢) التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص ١١٦ وما بعدها.

الرأي .. والرأي الآخر طه حسين

عيد التنوير العربي .. مرة أخرى

منذ بدايات هذا القرن ظهرت في بلدان الشرق الإسلامي حركات تمرد ظاهرة الانحاء على الدين والخلق والسلوك، والعادات الاجتماعية، وعلى الأدب واللغة .. وهذه الحركات قادها عدد من أبناء الشرق الإسلامي وأسماها حركاتهم تلك بحركة (التنوير والتحرير والتقدم) . وكلها كانت بتأثر مباشر، أو بإيعاز مباشر أو غير مباشر، بما وجدوه عند أهل الغرب، وظهرت حينئذ كتابات، تشكك في الدين، وأخرى تدعو للسفور، وثالثة تدعو للانتماء الكامل للغرب، أهل الحضارة، كما يسمونهم .. وتلك الحركات كانت لها خطورتها البالغة على المجتمع، وحينئذ تصدى لها العلماء وأبناؤا زيفها ومكرها .. والآن .. يأتي تلامذة تلك العقود الأولى ليذيعوا تلك الافتراءات والأباطيل .. وتعود القضية ثانية للرد عليها ومواجهتها .. حتى لا يسرى شرها بين العباد . ويبقى احترامنا وتقديرنا موصولا لكل رائد بما افاد قومه من علم وفكر ناضجين، يخدمان الدين وينشران الفضيلة ..

— المنهل —

ظلاميات طه حسين وسلامة موسى ولويس عوض انهم يصرون الان من منطلق تنصيب طه حسين عميدا للأدب من جديد غافلين تمام الغفلة عن أن كل ما قدمته حركة الغزو الفكري والتغريب قد تهدم ودُمّر وكشفت الاقلام الشريفة عن أخطائه وسمومه .

وهم ينسون ويتجاهلون موجة المدّ الاسلامي التي نشرت ألويتها في العالم كله واستمدت طريقها من القرآن الكريم والسنة المشرفة وأقامت أعمدتها في كل مكان .

ولم يعد أحد يستطيع أن يتصدر ليحمل لواء الدعوى للشك الفلسفي



بقلم :
المفكر الإسلامي
أنور الجندي
- مصر -

إن هناك محاولة فاشلة ترمي الى أن يعود التاريخ القهقري: تلك هي محاولة دعاة التغريب والغزو الثقافي الذين لا يجدون ما يقدمونه الا اعادة طبع الكتب التي صدرت في الثلاثينيات والتي قاومها الاصلاء من رجال الفكر الاسلامي وكشفوا زيفها .

وقد تصدروا محاولة فرض مفاهيم التغريب وسموم الكلمة المضللة والكلمة الاباحية والكلمة الملحدة مغلفة بغلاف خادع بغرض كسب عقل المسلم وقلب المؤمن ولكن هيهات .

اولئك الذين يحملون لواء «التنوير» المضلل والذين يلتمسون طريقهم في ظل



د. طه حسين



سلامة موسى



لويس عوض

عند الله وان التوراة المعاصرة من عند البشر، الذين كتبوها من الاحبار، ولقد عمل طه حسين على نصرة مفاهيم الاحبار والرهبان ومحاولة تطبيقها على الاسلام والقرآن.

بل لقد ذهب طه حسين الى عدم تصديق وجود سيدنا ابراهيم وابنه اسماعيل على نحو ما تجاهلته التوراه التي كتبوها بأيديهم وتجاهل اكبر حدث من احداث البشرية وهو بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الكعبة المشرفة.

ولقد ذهب العلمانيون والتنويريون - كما يسمون أنفسهم - الى أبعد حد أن أعادوا طبع كتاب (الشعر الجاهلي) الذي صادرت الجامعة وذلك ليزيعوا تلك السموم التي نزعها طه حسين اخيراً من كتابه (الادب الجاهلي) وقد قطع الادباء في عصره أن طه حسين لم يوفق في المأخذ ولم يبرأ من السقاط (كما قال المازني).

والتشكيك في نصوص كتب التاريخ والادب على النحو الذي فعله طه حسين وجماعته قبل سبعين عاماً.

ولا يُشرف الدكتور طه أو اعوانه بعد سبعين سنة صدور كتاب بديل للشعر الجاهلي (وبعد مصادرة الكتاب الاول) ذلك لان القضية الكبرى التي حاول طه حسين ان يحمل لواءها هي قضية التشكيك في مصدر أصيل من مصادر فهم القرآن الكريم وتفسيره وهي قضية الشعر الذي حمل كلمات جاءت في القرآن من بعد وفسرت مفاهيمه.

ولم تكن القضية اساساً الا محاولة من الاستشراق والتغريب الى هدم هذا النص الذي يخدم منهج القرآن الكريم بعد ما قال العرب ان الشعر القديم يناصر بيان القرآن ويخدمه فاذا جاء مرجيلوث ليشكك في هذا الاتجاه ويعتمد على بعض الكتب القديمة فان طه حسين استعان بالشعر في سبيل التشكيك في الحق.

واذا جاء اليوم من يقول ان طه حسين لم يعتمد على مرجليوث وإنما اعتمد على رينان فان الامر بالنسبة لنا نحن المسلمين واحد.

لقد بلغ بطه حسين الأمر أن دعا طلبته في كلية الاداب الى نقد النص القرآني والقول بأن هذا ضعيف وهذا غامض، وكان قد سبق ذلك بالدعوة الى دراسة الكتب القديمة وقال إن الاوربيين ينقدون التوراة وعلى العرب ان ينقدوا القرآن، فهل غفل طه حسين عن أن القرآن من

**** ديكارت اتخذ الشك موطئاً لليقين .. وطه حسين اتخذ الشك للشك ذاته**

**** التنوير حمل رايته من دعوا الهدم الدين والخلق**



مصطفى صادق الرافعي



ابراهيم المازني

اما مصطفى صادق الرافعي فقد حمل لواء الكشف عن زيف طه حسين، وفي مجلس النواب كانت كلمات النواب كلها تكشف عن جرأة طه حسين الشديدة على الدين، وقال السيد مصطفى القاياتي:

أريد أن أقول لأقوام لا يرون رأينا ويدعون ان البحث امر واجب حر، انه لا يجوز لنا ان نقيّد حرية الناس في ارائهم، نقول لهم انتا لا نقيّد حريتهم في عقائدهم ولكننا نقيّد اراء تلقن لاولادنا وتشاع على افراد الامة ما بين متعلم وغير متعلم.

ولما اتسعت دائرة الكشف عن هدف طه حسين قال سعد زعلول رئيس مجلس النواب اذ ذاك: إن مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر في هذه الأمة المتمسكة بدينها اي أثر، هبوا أن رجلا مجنونا يهذي في الطريق فهل يُغَيَّر في العقلاء شيئاً من ذلك، ان هذا الدين متين وليس الذي شك فيه

زعيماً او إماماً حتى نخشى من شكه على العمامة (الاهرام ١٩٢٦/١١/٧).

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل لقد الفت كتب كثيرة في الرد على طه حسين منها:

- نقد كتاب الشعر الجاهلي ١٩٢٦ - محمد فريد وجدي.

- نقض كتاب الشعر الجاهلي ١٩٢٦ - محمد الخضر حسين.

- تحت راية القرآن - لمصطفى

صادق الرافعي .
- الشهاب الراصد - محمد لطفي جمعة ١٩٢٦ .
- محاضرات في بيان الاخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل عليها كتاب الشعر الجاهلي - محمد الخضري .
- النقد التحليلي لكتاب الادب الجاهلي - محمد احمد الغمراوي .

وقد كشفت هذه الدراسات عن كثير من أخطاء طه حسين:

قال الاستاذ لطفي جمعه «إن منهج ديكارت خاص بالرياضيات والطبيعات والميكانيكا، ولذلك فهو بعيد كل البعد عن الغيبيات، وقال ان ديكارت اتخذ الشك وسيلة الى اليقين أما عند طه حسين فهو لذة ورضا الى ان الشك للشك، ثم اصبح يقول طه عن المجددين: - خلق الله لهم عقولا تجد في الشك لذة وفي القلق والاضطراب رضا - كما ان الشك عند طه حسين ليست غايته الاطمئنان وانما هدفه الانكار».

وقال لطفي جمعة ان الشك ليس حكماً فلا يرتاح اليه عقل الحكيم وبين لطفي جمعة ان ما يتعلق بالعقيدة لم يطبق عليه ديكارت منهجه.

وقال الخضر حسين انه يأخذ على طه حسين ثقته في القدماء واطمئنانه الى روايات ابي الفرج

الاصفهانى والنقل عنه ومعنى هذا ان طه حسين ليس جاداً في استخدام منهج ديكارت او غيره وانما كان يلتقط من الكتب والروايات التي تعزز رأيه وتخدم قضيته بصرف النظر عن الشك أو المنهج .

ومن هنا قال الرافعي ان طه حسين لا يبحث كما يدعى وكما هو الاصل في ديكارت وانما يقرر تقريراً وشتان بين بحث يراد منه

**** بداية هذا القرن**

شهدت هجوماً

شديداً على المسلمين

وأهل الشرق بعامة



عباس محمود العقاد



شوقي ضيف

المتخصصين في الفيلولوجيا والاثريين واثبت أن اللغة العربية (أي العدنانية) ظهرت على أثر اندثار القحطانية قبل ظهور الاسلام أي ان العرب كانوا يتكلمون لغة واحدة قبل البعثة النبوية. ولو كان طه يعرف هذا ما قال ان الرواة نظموا بلغه عدنان شعراً ونسبوه الى شعراء من قحطان.

وهذه النتيجة التي وصل اليها لطفي جمعة عام ١٩٢٦ قال بها العقاد عام ١٩٦٠ في (اللغة الشاعرة) حيث قال: وكانت وحدة اللغة من مقدمات الدعوة الاسلامية التي خاطبت الغرب جميعا بلسان يعرفونه من قبل عصر الاسلام كما قال ذلك شوقي ضيف تلميذ طه حسين وهكذا ضاع جهد طه حسين في هذه القضية.

وتدل كل المراجعات التي قام بها الاساتذة الكرام عن أن طه حسين لم يراجع الكتب التي انتقدته.

يقول الاستاذ احمد حسين الطحاوي: الذي نقلنا عنه هذه الشذرات) كان على الذين احتفلوا بمرور سبعين سنة على صدور كتاب (في الشعر الجاهلي) أن يحتفلوا أيضاً بالنقاد الذين تصدوا له وقوموا مادته وصححو أخطاءه.

فإذا رجعنا الى مناقشة النيابة لطله حسين وجدنا: ان الاستاذ

ما ينتجه من غير تعيين لنتيجة محتومة ومن تقرير النتيجة التي يساق لها البحث وتجمع لها الادلة.

ويرى محمد فريد وجدى أن طه حسين كان يرتب المقدمات ويتسامح في درس علل الحوادث على الاسلوب العلمى ويخالف العرف وطبيعة الاشياء لخدمة غرضه الادبى. واتهمه ناقده بانه يبتز النصوص القديمة ويلوى مسارها ويعكس مفاهيمها وقد ضرب له الخضر حسين والرافعى أمثلة تؤكد نقدهم لطله حسين.

وأخذ عليه الغمراوي كثرة الافتراضات والبناء عليها وهذا يجافى الطريقة العلمية.

وهل يمكن أن يكون الظن من مقومات الطريقة العلمية قال طه حسين: عن ابي عمرو الشيباني: «أكبر الظن انه كان يؤجر نفسه للقبائل يجمع لكل واحدة منها شعرا يضيفه الى شعرائها واتهم طه حسين الرجل وليس في يده سند او وثيقة واتخذ له وظيفة مع انهم كانوا يثقون به على حد قول الخضر حسين، لقد تحول الظن الى يقين علمى عند طه حسين.

لقد انهال النقاد على (المنهج) حتى تمزق وتهدأ وصار كالعربال به من الثقوب اكثر مما به من الخيوط، ومن أدلة طه حسين على نحل

الشعر الجاهلى ما ذهب اليه من ان اللغة الجنوبية القحطانية كانت غير اللغة الشمالية العدنانية وان الشعر الجاهلى الذى وصل الينا كله مكتوب باللغة الفصحى اي الشمالية فكيف كتب شعراء اليمن شعرهم وهم من الجنوب، ولو صح هذا التعليل لحقق طه حسين فوزاً ولكن خاب سعيه فقد أعد له لطفي جمعة عبر عشرات الصفحات بيانا علميا معززاً بالوثائق وياراء

**** المشرقون**

فَرَجُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ

مِنْ أَبْنَاءِ الشَّرْقِ مِنْ

جَهْلٍ رَأَيْتُهُمْ

محمد نور وكيل النيابة ركز على أربع مسائل أساسية:

الأولى: ان طه حسين عمد الى تكذيب القرآن الكريم في إخباره عن ابراهيم واسماعيل.

الثانية: زعم المؤلف أن القراءات السبع لم تنزل من عند الله وانما هي نتيجة لاختلاف اللهجات حيث قرأتها العرب بحسب ما استطاعت.

الثالثة: طعن المؤلف في حقيقة نسب الرسول الكريم.

الرابعة: ان الاستاذ المؤلف انكر ان للاسلام اولية في بلاد العرب وانه دين ابراهيم.

وقد ناقش محمد نور ما كتب طه حسين وعارضه ، وطالب طه حسن ان يقدم المراجع التي نقل منها هذه المفاهيم المغلوطة فكان رد طه حسين: أنا لا أقدم شيئاً.

وقد عمل محمد نور على تقديم الحجج العلمية في تحقيق النيابة واثبت من وجهة نظره خطأ ما كتبه طه حسين.

ويقول في النهاية: وجدت انه مما تقدم يتضح ان غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتصدي للدين بل ان العبارات الماسية بالدين التي اوردها في بعض المواضع من كتابه قد اوردها في سبيل البحث العلمى وحيث انه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوافر فلذلك تحفظ الاوراق اداريا.

هل يمكن ان تقدموا المصادر أو الأدلة على كل ما ذكرتم .

قال طه حسين: أنا لا أقدم شيئاً!!
ولقد كان اخطر ما في كتاب الشعر الجاهلي

مقولة طه حسين الخطيرة «التوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللانجيل ان يحدثنا عنهما وللقرآن ان يفعل ذلك ولكن هذا لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخي ولا ينهض عليه دليل».

وكان هذا اخطر ما قاله طه حسين بجوار مقولاته الاخرى.

ولقد كانت محاولة العودة الى احياء (الشعر الجاهلي) مرة أخرى بعد سبعين عاما - كانت وبالا على التقدميين فانهم لن يستطيعوا أن يدافعوا عن الاتهامات التي نشرت مرة أخرى اليوم حيث نجد أن اصحاب الاصاله اصبحوا قادرين على دحض هذا الفكر المسموم.

يقول الدكتور احمد درويش: ينبغي أن نؤكد أن طه حسين نفسه قد تراجع عما جاء في هذا الكتاب في الحواريات التي دارت بينه وبين علماء عصره.

وتبقى فكرة الجرأة في البحث الادبي امام التراث. وكانت فكرة طه حسين في الاجترار على الجانب الديني هي التي جعلت الامور اكثر وضوحا.

وقد اشار عبد الرحمن بدوي في كتابه عن اعمال المستشرقين ان كل ما اورده طه حسين عن الشعر الجاهلي كان من عمل هؤلاء المستشرقين.

والواقع ان كتاب (في الشعر الجاهلي) والادب الجاهلي الذي ظهر بعد مصادرة الاول يكشفان عن هدف أبعد كثيرا من مسألة الشعر العربي والحميرى، وانما كانا يهدفان إلى تقديم مجموعة

**** (في الشعر الجاهلي) مفاطات**

وانفتراء على القرآن واللفظة

**** قبل سبعين سنة أصدر علماء المسلمين حكمهم على**

كتابات طه حسين، فلماذا تصاد طباعتها الآن؟؟!

الربط بين الشعر الجاهلي والاسلام واصول الحكم.

أما الدعوى بأن المحقق محمد نور قد برأ طه حسين من التهمة فهو ليس صحيحاً، انما الصحيح ان محمد نور أريد منه ان يقفل الملف فقدم الاتهامات وحولها من عقوبة الاتهام الى ما يسمى (القصد الجنائي غير متوفر)، اما الاتهام فهو واضح وقد كشف محمد نور في بيانه عن كل اكاذيب طه حسن في كتاب الشعر الجاهلي ، ونص العبارة التي ختم بها وكيل النيابة التحقيق: (ان الباحث حذا في بحثه حذو العلماء من الغربيين (يقصد المبشرين والملاحدة) ولشدة تأثر نفسه بما اخذ عنهم قد تورط في بحثه حتى تخيل حقا ما ليس بحق او مازال في حاجة الى اثبات انه حق فكان يجب عليه ان يسير على مهله وان يحتاط في سيره حتى لا يضل ولكنه اقدم بغير احتياط فكانت النتيجة غير محمودة).

ومعنى هذا ان الجناية والتورط والضلال والمساس بالدين متوافر ولكن القصد الجنائي غير متوافر ويذكرني الدكتور محمد عمارة بأن طه حسين في عام ١٩٤٧ أعلن انه شكك في عقائد اسلامية جاءت في القرآن الكريم وذلك حين قال:

«لقد انتهيت الى رفض قدر كبير من الشعر الجاهلي وفي اطار هذا المسعى شككت في بعض المعتقدات التي ذكرت في القرآن او في الاحاديث النبوية وكانت الصدمة قاسية والاستنكار واسع النطاق».

من السموم من داخل البحث المسمى بالعلمي ومنها الادعاء بان العرب افادوا من اليهود ومنها مقولة ضد الرسول {صلى الله عليه وسلم} ونسبه الشريف، وخطر من ذلك كله فتح الباب امام طلاب الجامعة في نقد القرآن الكريم على النحو الذي قدمه طه حسين (راجع كتابنا محاكمة فكر طه حسين).

ومن ناحية اخرى اكد الشيخ احمد حسن مسلم عضو مجمع البحوث الاسلامية ولجنة الفتوى في الازهر ان كتاب (الاسلام واصول الحكم) ليس من تأليف الشيخ على عبد الرازق كما زعم العلمانيون والشيوعيون وانصار حركة التنوير المزعومة ولكن من تأليف طه حسين وان هذه الشهادة جاءت على لسان الشيخ على عبد الرازق نفسه، وقد أصدر الشيخ مسلم بيانا مسماه (بيان للناس) جاء فيه تفصيل كامل لهذه الشهادة مفاده انه بعد صلاة الشيخ مسلم والشيخ عبد الرازق معا وبعد الخشوع في الصلاة قال الشيخ مسلم أن الشيخ على عبد الرازق قال له بالحرف الواحد:

إنني لم اقم بتأليف هذا الكتاب وانما الذي ألفه صديقنا الدكتور طه حسين واوضح الشيخ مسلم ان الشهادة أودعها مجمع البحوث الاسلامية لتكون وثيقة للتاريخ حول كتاب الاسلام واصول الحكم.

وهذا الخبر هو في الحقيقة اضافة جديدة اريد بها اضافة حلقة جديدة من حلقات الربط بين على عبد الرازق وطه حسين وفي نفس الوقت

التقدم والانتماء في

في دراسة سابقة تناول الأستاذ
الدكتور محمد عمارة بالتحليل والنقد
مجموعة من افتراءات ومغالطات

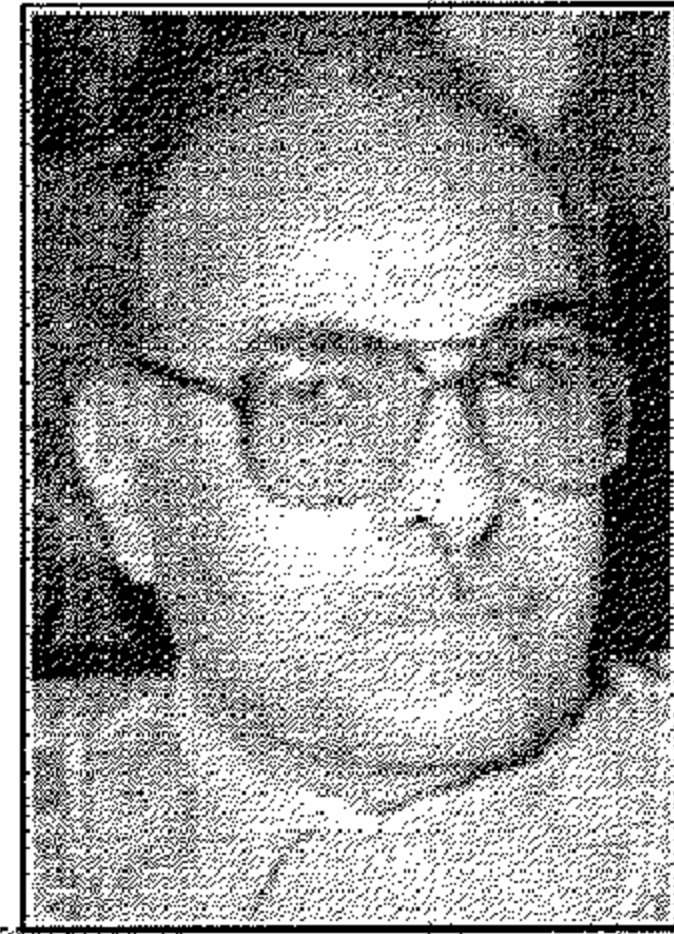
الدكتور نصر أبو زيد في كثير
من معطيات التشريع الإسلامي،
وأوضح أن الدكتور (أبو زيد)
نتاج توجه خاطيء - وهذا التوجه
على قلة أفراد - يملأ الساحة
ضجيجا.

وهذه الدراسة (في الانتماء
الثقافي) يتتبع فيها الدكتور
عمارة معالم ومرتكزات (الانتماء
الثقافي) للأستاذ عبد الله النديم
من خلال مجلته (الأستاذ) إذ
كان للنديم دوره الواضح في
تثبيت ركائز الحضارة الإسلامية
في مواجهة الغزو الاستشراقي
ومعاونيه من أبناء البلاد
الإسلامية.

والمنهل يكرر الشكر
موصولا للأستاذ الدكتور
عمارة على تواصله الفكري والعلمي
الدائم مع منهل وقرائه.

■ المنهل ■

في
الانتماء
الثقافي
(١٦)



بقلم المفكر الاسلامي:
أ.د. محمد عمارة

منذ مائة عام سنة ١٨٩٦م - توفي عبد الله
النديم (١٢٦١ - ١٣١٣هـ / ١٨٤٥ - ١٨٩٦م)
توفي - منقيا - في الآستانة، بسبب عدائه
للاحتلال الانجليزي لمصر، ودوره
في الثورة العرابية .. وعندما توفي
واراه الثرى أستاذة جمال الدين
الأفغاني - الذي لحق به بعد عام .
وفي فكر عبد الله النديم، وما
كتب عنه من دراسات، نجد
«السياسي» قد ظلم «الثقافي» ظلما
شديدا .. فالرجل كان واحدا من
أبرز مفكرى ومثقفي تيار الجامعة
الاسلامية - الذي قاده الأفغاني -
لكن دوره المتفرد في الثورة
والسياسة قد لفت الأنظار عن
اسهامه الفكري والثقافي .. حتى
إن الكثيرين لا يعرفون أنه واحد من
طلّاع مثقفينا الذين كتبوا عن
«التقدم» وعن «الانتماء» .

وعندما يكون موضوع هذه
الصفحات عن «الانتماء الثقافي
للنديم» .. فإن أول ما يجب هو
تحرير مضامين
المصطلحات.

* فالانتماء: هو
الانتساب، الذي يجسد
خيوط الولاء التي تشد
الإنسان المنتسب إلى ما ينتسب إليه، فيرتبط
به، وينجذب إليه، ويخلص له الولاء والانتماء.

* والثقافي: نسبة إلى الثقافة - التي هي
جماع المهارات التي تثمر عمران النفس

مَشْرُوعُنَا النَّمْضُوي

ولم يكن سبب الوقوف عند (الأستاذ)، دون غيرها من صحف النديم وكتبه، بسبب حجم الدراسة - الذي قد يقتضى الاقتصاد - غير المخل - في المصادر .. وإنما كان الاكتفاء بهذا المصدر - مجلة (الأستاذ) - مؤسساً على العديد من الأسباب .

١ - فمجلة (الأستاذ) هي آخر الأعمال الفكرية لعبد الله النديم، وفيها تجسد الموقف الأخير الذي انتهت إليه وختمت به رحلته الثقافية، التي حفلت بالمراحل والأطوار والمواقف والآراء .

٢ - وفيها تمثلت مرحلة نضجه الفكري، حتى إنه يسمي أعداد - أجزاء - هذه المجلة - في آخر مقالاته بأخر أعدادها - يسميها «أجزاء كتاب العبر، وباب المبتدأ والخبر» [١]؟

٣ - وعلى صفحات هذه المجلة تناثرت خلاصات تأملاته في سنوات اختفائه العشرة .. بل لقد كان نشر هذه المجلة لخلاصات موضوعات المؤلفات العشرين التي كتبها النديم في فترة اختفائه واحداً من مقاصد إصدار هذه المجلة .. يعلن عن ذلك شقيقه «عبد الفتاح النديم الإدريسي» في العدد الأول من (الأستاذ) فيقول: «والحامل لي على فتح هذه الجريدة» [٢]، «أني رأيت شقيقي الفاضل السيد عبد الله أفندي النديم، المنشيء الشهير، قد مضى مدة اختفائه مشتغلاً بوضع كتب لا تخلو من الفوائد .. فاستأذنته في نشرها .. ومع كوني اتخذت هذه المؤلفات مادة للجريدة، فإنني وكلت تحرير مطالبها وترتيب رسائلها لقلمه» [٣] .

ففي مجلة (الأستاذ) خلاصة مؤلفات

الإنسانية وتسهم في تهذيبها - تثقيفها - وارتقائها على درب المثل والمقاصد والنماذج التي صاغتها وتصوغها العقائد والفلسفات التي يؤمن بها هذا الإنسان .. فهي - الثقافة - مع «المدنية» التي تمثل عمران «الواقع» جماع الحضارة والعمران .

* والحديث عن الانتماء والانتساب والولاء الثقافي لعبد الله النديم، لا بد وأن يحدد موقع انتمائه الثقافي إزاء:

أ - الوافد الثقافي الغربي - الذي فتحت أمامه الأبواب، في عصر النديم، أكثر من ذي قبل .

ب - وإزاء موروثنا الفكري والثقافي، وتيارات هذا الموروث .

ج - وموقع النديم - ولأهـ وانتماء - من دوائر الانتماء الثقافي:

١ - الوطنية: التي كانت تمثلها مصر .

٢ - الدائرة الشرقية: والتي كانت تستخدم في أدبيات ذلك العصر، للدلالة على الدائرة الإسلامية، وما في أوطانها الشرقية من أجناس وأقوام، ومن ملك وأديان .

٣ - الدائرة الجنسية: التي تحدد حدودها الأعراق .

٤ - الدائرة العثمانية: الجامعة لأقوام وملل شرقية متعددة .

أين كانت ثقافة النديم من هذه الدوائر والمؤثرات والمرجعيات؟؟

* ولقد اعتمدت هذه الدراسة واحداً فقط من الآثار الفكرية للنديم كي يكون الديوان الذي نكتشف فيه ومنه انتماءه الثقافي .. وهو مجلة (الأستاذ) .

النديم، والآراء التي ختم بها مرحلة جهاده الفكري، بعد حقبة الاختفاء.

٤ - ويزكي هذا الاختيار لهذا المصدر، أيضا، ما تميزت به حقبة صدور (الأستاذ) من بعد عن ملابسات الهياج الفكري وثقافة الشعارات وصياغات التعبئة الوطنية الحادة التي تميزت بها وكان لابد أن تتميز بها مرحلة الثورة العرابية، ومقالات النديم أثناءها.

٥ - كذلك، كانت المواجهة - إبان صدور (الأستاذ) مع «آخر الثقافي»، والوافد الفكري الأوربي، حقيقة قائمة على أرض الواقع الثقافي - وليست مجرد احتمال - فكانت (الأستاذ) ميدانا من ميادين هذه المواجهة مع المناير الثقافية والفكرية والسياسية التي مثلت «آخر الثقافي» في ذلك التاريخ، وخاصة منبري (المقتطف) و(المقطم) اللذين تمثلت فيهما حملة التبشير بمذاهب الغرب وبالسياسة الاستعمارية.

٦ - ثم إن حجم هذا المصدر (الأستاذ) كبير، فصفحاتها تربو على الألف ١٠٣٢ صفحة . الأمر الذي يجعلها - بمادتها الثقافية - وافية كل الوفاء بتحديد معالم الانتماء الثقافي لعبد الله النديم.

٨ - ويزيد من أهمية هذا المصدر، مكانته في ساحة الفكر والثقافة الشرقية - وليس فقط المصرية - في ذلك التاريخ . فهذه المجلة الأسبوعية، التي لم يزد عمر صدورها عن عشرة أشهر [٤]، قد فاق انتشارها كل الصحافة المصرية في عصرها - جرائد كانت تلك الصحافة أو مجلات - يومية كانت أو أسبوعية أو شهرية تلك النشريات؟! فعلى حين كان توزيع (الهلal) الشهري ٧٤٠ نسخة و(المقتطف) الشهري ١٣٠٠ نسخة و(المقطم) اليومي ١٤٥٥ نسخة و(الأهرام) اليومي ٢٧٧٥ نسخة، فإن توزيع مجلة (الأستاذ) قد بلغ ٢٨٤٠ نسخة، متفوقا على سائر الصحافة المصرية في ذلك التاريخ!! فهي

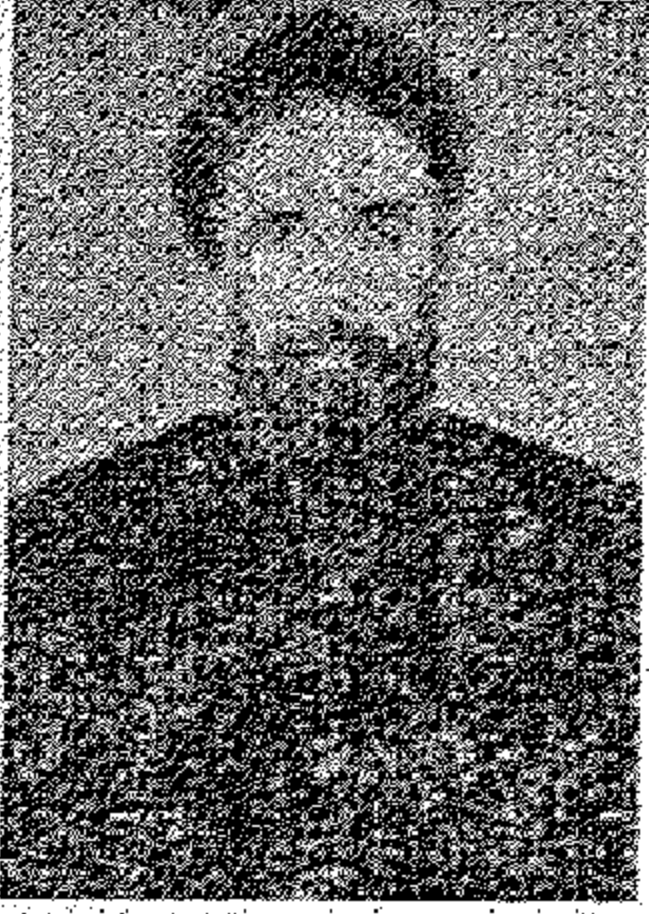
«ديوان» الانتماء الثقافي للنديم . . وهي أوسع دواوين الانتماء الثقافي - لمجتمعنا - انتشارا في تلك الحقبة المتميزة من حقب المواجهة بين ثقافتنا وبين الوافد الثقافي الأوربي . الأمر الذي يرشحها مصدرا وافيا لدراسة موضوع هذه الصفحات.

الانتماء الثقافي . . والتقدم

كانت حياة النديم معركة في سبيل الاستقلال الوطني والتقدم الحضاري، تعددت فيها الآليات، وتمايزت «نبرات الصوت»، دون أن يغيب المقصد عن هذا المفكر السياسي المناضل في لحظة من اللحظات.

وفي الحقبة التي صدرت فيها (الأستاذ) في ظل حكم الاحتلال الانجليزي . . وتحكم اللورد كرومر (١٨٤١ - ١٩١٧م) كان النديم يتحائل، كي يواصل جهاده، بالإعلان عن أنه لن يخوض في «السياسة» بمعنى «الإدارة»، . .

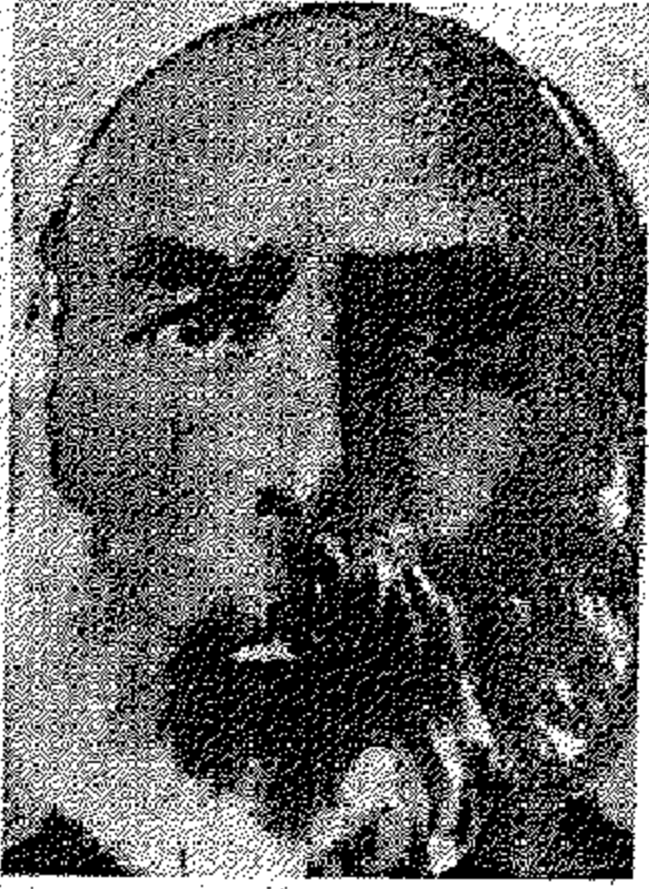
وأما فن السياسة، من حيث هو، فإنه يدخل في موضوعها العلمي، فإن علم التاريخ والأخلاق والعادات وتدبير الممالك ووحدة الاجتماع العالمي من الفروع السياسية» التي تدخل في صميم رسالة (الأستاذ) [٥] ومن هذا الباب لم تدع هذه المجلة ميدانا من ميادين المواجهة مع الاستعمار الانجليزي، ومع الوافد الثقافي الأوربي - الذي قامت له منابر ثقافية وإعلامية رعاها الاحتلال الانجليزي في مصر يومئذ - لم تدع (الأستاذ) ميدانا من هذه الميادين إلا وخاضت فيه . . ففي التصدي لسلطة الاحتلال المباشرة، استخدم النديم أسلوب «الرفق» لتحقيق الجلاء، وكتب يقول: «وبالرفق يستخرج الإنسان الحية من وكرها . . وفي الإشارة ما يغنى عن الخبر، فاعتبروا يا أولى الألباب! [٦]، أما في الفكر والثقافة، فلقد كانت أعداد المجلة صراعا بين الانتماء الثقافي للنديم وأمته وبين الوافد الغربي الذي يبشر به «الأجراء» و«العملاء»!



عبدالله النديم



جمال الدين الأفغاني



الامام محمد عبده

في تنمية الأمراض الداخلية للتراجع الحضاري، وفي إطالة عمرها، والحيلولة دون الخلاص منها... وعلى هذه الجبهة رصد تحديات الغزوة التتيرية، والحروب الصليبية... ودورها في استدعاء ودعم سلطات التغلب والاستبداد، وفي تراجع دور العلم وسلطان العلماء... فبعد أن «انبثت روح العلم في المسلمين، وظهر منهم علماء الشريعة الغراء، والآليات، والرياضيات، والطبيعات، وزينوا الدنيا بعلومهم، وملأوها بأدابهم، ومزقوا ثوب الجهالة والضلالة بسيف الدين والعلم. جاءت فتنة التتار، فقهرت سير المسلمين، وأوقفت التقدم العلمي. وأعظم

منها فتنة الحروب الصليبية، التي غرست العداوة بين الملتين الإسلامية والمسيحية، ولاشت القوة العلمية بالقوة العدوانية، فأخذ العلم في الانزواء ثم في التلاشي بموت أهله وإقفال مدارسه وإحراق كتبه ونهبها» [٩]

وبعد الرصد لأسباب التخلف التاريخي، الداخلي منها والخارجي، نبه النديم على أن التقدم إنما يمثل حركة شاملة للنهوض، لا بد فيها من تضافر «الملوك - والدول» والعلماء وأرباب الأقلام والأفكار» والأغنياء وجمعيات وشركات التجارة والصناعة والزراعة».

فإذا كان «التأخر إنما جاء من تعميم الجهالة، بإغضاء الملوك عن وسائل التعليم،

ولهذه الملابس، فإن حديث النديم عن الانتماء الثقافي للأمة، لم يكن لونا من ألوان «الترف الفكري»، وإنما كان سلاحا لمقاومة الاحتواء الاستعماري للأمة، وتحقيقا لشروط من شروط التقدم الحقيقي، الذي يخرج الأمة من مأزق «التخلف الموروث» و«الهيمنة الوافدة».

والنديم، الذي كتب دراسة ضافية عن أسباب تأخرنا وأسباب تقدم الغربيين، رغم أن «الخلق واحد» وجعل عنوانها: «بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد»؟! [٧]... ولعلها أقدم الدراسات في هذا الموضوع... كان مهموما بقضية «التقدم»، باحثا عن عوامل التراجع الحضاري، وعن شروط النهضة... ولقد امتدت بصيرته إلى الجذور التاريخية لتراجعنا الحضاري، ورصد من عوامله الداخلية:

أ - حكم التغلب وسلطان الاستبداد.
ب - وتجزئة السلطة وتشرذم الأقاليم في ديار الإسلام.

ج - وتراجع سلطان العلماء وتأثير المؤسسات العلمية والتعليمية.

د - وضيق السلاطين بالحرية الفكرية، وتضييقهم على أرباب الأفكار الحرة وأهل الاجتهاد والتجديد.

وهي أمراض التخلف الداخلي، التي طرأت على حياتنا بعد حقبة ازدهار الحضارة الإسلامية، عندما «جاءت الدولة العربية وأطلقت حرية الأفكار، وجمعت العلماء من جميع الجهات، وترجمت كتب الأوائل الحكيمة وغيرها، وفتحت بابا أغلقه الجهل قرونا طويلة. ثم انقضى دور الضخامة وتوحيد الكلمة، وجاء وقت المتغلبين، فتجزأت المملكة، وتصدى الثائرون لقتل العلماء وإحراق الكتب وهدم المدارس، فانطفأت أنوار العلوم الشرقية، وضيق ملوك الشرق على أرباب الأقلام» [٨]

وأبصر النديم دور التحديات الخارجية، التي جابهت المسيرة الحضارية لأمتنا، دورها

والتضييق على أرباب الأقلام والأفكار، وبعد الأغنياء عن الجمعيات، وتقاعدهم عن ضروب التجارة والصناعة والزراعة، ورضاهم بالبقاء تحت أسر الشهوات».. فإن التقدم مشروط «بإطلاق الملوك حرية الأفكار والمطبوعات، تحت المراقبة، وبذل الأغنياء الذهب في حياة الصناعة، وتعميم المعارف في المدن والقرى، ومساعدة العلماء على الرحلة خلف حياة العلم، واجتماع كلمة الملوك والوزراء والأمم على السعى خلف التقدم، وبذلك يمكنهم أن يوقفوا تيار أوربا شيئاً فشيئاً حتى يضارعوها قوة وعلماً» [١٠]

فلم يكن النديم داعية لمطلق «التقدم» ولا لأي «تقدم» وإنما هو هنا داعية «للتقدم الذي يوقف تيار أوربا شيئاً فشيئاً، وذلك بمضارعتها قوة وعلماً».. ولهذه الحقيقة، التي ميزت التقدم الذي دعا إليه النديم، والتي ميزت وتميز الانتماء الثقافي الذي أفاض في الحديث عنه، جاء حديثه عن ضرورة تحديد «المرجعية».. والمبدأ» الذي تبني عليه الأمة أعمالها على درب التقدم، إخراجاً لها وخروجاً بها من الحيرة التي تعانيها إزاء التعددية في مرجعيات ومبادئ التقدم والنهوض.. «فرجال الشرق، أخذوا يحاكون أوربا.. وسعوا في جمع كلمتهم، وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصنائع وتهذيب النفوس وتعميم الآداب، ولكنهم مع بقائهم على التفرق، وعدم اتخاذ مبدأ يبنون عليه أعمالهم، لا تزال الأيام تقيمهم وتقعدهم، وهم حيارى بين المقعد والمقيم» [١١]

ولم يترك النديم قارئه في حيرة إزاء الانتماء الثقافي «للمرجعية».. والمبدأ» الذي زكاه منطلقاً للتقدم الذي دعا إليه.. فهو انتماء «للجامعة الشرقية» وثقافتها.. تلك التي رآها إطاراً جامعاً يضم تحت جامعته الأكبر العديد من دوائر الانتماء الفرعي، التي تتكامل في بناء نموذج ثقافي شرقي - متميز عن النموذج الثقافي الغربي - الذي صارعه النديم على

صفحات مجلة (الأستاذ).

وقضية «التعددية» في دوائر الانتماء الثقافي، تبرز في كتابات النديم عندما يعرفنا بنفسه، فهو «عبد الله النديم، الإدريسي، الحسني، الأشعري، الشافعي، الخلوتي، الاسكندري» [١٢].. ففيه تتعدد وتتكامل دوائر الانتماء والانتماء إلى الأسرة.. وإلى آل البيت من أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.. وإلى الأشعري - في علم الكلام وأصول الدين.. وإلى الشافعي - في فقه الفروع - وإلى الخلوتية - في طرق التصوف - وإلى الاسكندرية - في الميلاد والنشأة.

وفي عناوين مؤلفات النديم تطالعنا هذه الحقيقة.. ففيها كتاب عن (وطنية الشرق) وكتاب (نحن وأنتم) عن تميز الشرق عن الغرب الأوربي.. وكتب عن التاريخ العربي والتراث الاسلامي.. ومن بين كتبه العشرين عشرة خالصة للإسلاميات [١٣].

أما مجلة (الأستاذ)، التي وصف أعدادها بأنها «أجزاء كتاب العبر، وباب المبتدأ والخبر» [١٤]، والتي كانت منبرا للرابطة الشرقية، فإنه يصفها بأنها «جريدة إسلامية»، تجاور «جرائد دينية مسيحية للبروتستانت»، وتصارع «جرائد الأجراء» المبشرين بالانتماء الثقافي للغرب - من مثل (المقطف) و(المقطم) [١٥]!!

وإذا كان النديم قد بدأ حياته الفكرية والثقافية في صحافة تيار الجامعة الاسلامية، الذي بلوره وقاده جمال الدين الأفغاني.. وختم حياته بصحبة الأفغاني في الأستاذة - حيث شيعه الأفغاني إلى مثواه الأخير - فإنه قد أعلن - في مجلة (الأستاذ) - عن انتمائه لهذا التيار التجديدي، الذي سعى إلى تجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام.. ففضلاً عن إعادته نشر بعض مقالات (العروة الوثقى) لسان حال ذلك التيار [١٦] فإن حديثه عن

الأفغاني وعن الإمام محمد عبده شاهد على هذا الانتماء... فهو يتحدث عن «السيد جمال الدين الأفغاني، الشهير، الغني عن التعريف، الرجل الذي جرب الأمور، وساح الأقطار، وخالط الأمم، وداخل السياسيين، ودرس التاريخ الحاضر والماضي، وامتد بآعاه في العقلية، فأصبح أمة وحده بين ذوي الفضل - الأمر الذي دعا مولانا الخليفة الأعظم لاستدعائه وإدخاله في لفيف العلماء الخاص بمجلسه العالي، فقد أهله المعارف والتجارب والمخالطة العامة لمسامرة الملوك والنظر في السياسات العالية، وهذا كله من فضل السيد الأعظم، حفظه الله تعالى» [١٧].

فإذا كان السلطان وأمير المؤمنين - عند النديم - هو «الخليفة الأعظم» فإن «السيد الأعظم» هو جمال الدين الأفغاني! وهو يكتب ذلك في ظل الاحتلال الإنجليزي، يوم كان الانتساب للأفغاني من كبار المحرمات!

أما تقدير النديم للإمام محمد عبده - وهو أبرز تلاميذ الأفغاني - وأعظم مهندسي صرح التجديد الإسلامي في مدرسة الجامعة الإسلامية وللكتاب والمفكرين الذين تكونت منهم مدرسة النهوض بالعربية والتجديد لأساليب التحرير بها - فإنه يتجلى من وصف النديم الذي يقول فيه: «أفضل الفضلاء، وإمام محراب الإنشاء، الأستاذ الشيخ محمد عبده، والجهابذة المتفنين، والكتبة المقتدرين: حسن بك حسني، وإبراهيم أفندي على اللقاني، وإبراهيم أفندي الهلباوي، وحسن أفندي الشمسسي، وأحمد أفندي سمير، ووفقا أفندي محمد، وسعد أفندي زغلول، والطيب الذكر أديب أفندي اسحق، وغيرهم من الفضلاء الذين عرفتهم الأقلام بما أودعوها من أسرار الإنشاء وضروب التحرير» [١٨].

وهي أوصاف شاهدة على موقع فكر أعلام

هذه المدرسة من مدارس الإحياء والتجديد الإسلامي في الانتماء الثقافي لعبد الله النديم. ففي إطار «الجامعة الإسلامية» والتي كثيرا ما سميت «الجامعة الشرقية» و«الرابطة الشرقية»، كان الانتماء الثقافي للنديم.

وفي إطار هذا «الجامع الأكبر... والأول... والأشمل» رأى النديم تعدد وتكامل دوائر الانتماء الثقافي، إن على مستوى الفرد... أو الوطن... أو الجنس... أو الأمة... أو دولة الخلافة، التي كانت تجمع، يومئذ، العديد من دوائر الانتماء.

«لدراسة صلة»

الهوامش:

- (١) الأستاذ - العدد الثاني والأربعون ص ١٠٣١
- (٢) كان عبد الله النديم «محرر الجريدة» وكان شقيقه «مدير الجريدة».
- (٣) الأستاذ - العدد الأول ص ٣.
- (٤) صدر العدد الأول: الثلاثاء، أول صفر سنة ١٣١٠هـ - ٢٤ أغسطس ١٨٩٢م - وصدر عددها الأخير - الثاني والأربعون يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة ١٣١٠هـ - ١٣ يونيو ١٨٩٢م.
- (٥) الأستاذ - العدد الأول ص ٢، ٣.
- (٦) المصدر السابق - العدد الثاني والعشرون ص ٥٢٨، ٥٢٩.
- (٧) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٢٢٧ - ٢٥٢.
- (٨) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٢٤٨.
- (٩) المصدر السابق - العدد الحادي والثلاثون ص ٧٣٠.
- (١٠) المصدر السابق - العدد الخامس عشر ص ٢٥٢.
- (١١) المصدر السابق - العدد العشرون ص ٤٦١، ٤٦٢.
- (١٢) المصدر السابق - العدد الحادي والأربعون ص ٩٩٩.
- (١٣) المصدر السابق - العدد الثاني والأربعون ص ١٠٢٥، ١٠٢٦.
- (١٤) المصدر السابق - العدد الثاني والأربعون ص ١٠٣١.
- (١٥) المصدر السابق - العدد الرابع والثلاثون ص ٧٩١، ٧٩٢.
- (١٦) المصدر السابق - العدد الثامن والثلاثون ص ٨٩٧، ٩٠٥.
- (١٧) المصدر السابق - العدد السادس والثلاثون ص ٨٦٨، ٨٦٩.
- (١٨) المصدر السابق - العدد التاسع والثلاثون ص ٩٣٨.

إعلام مفهوم الإعلام ف

وهو المعبر عن الصورة الحقيقية للرسالة الإسلامية، وهو الذي يحمل القيم والاخلاق الإسلامية، ويحمل النظرية والنموذج، والمثل الأعلى إلى العالم، يدل على صدقها، ويثير الاقتداء بها بمختلف الوسائل ويحاول أن يفيد من كل التقنيات الإعلامية الحديثة، ويضبط مضامينها بالقيم الإسلامية، ويحسن توظيفها لخير البشرية والحق الرحمة بالناس استجابة لقوله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

فالإعلام الإسلامي قضية أشمل من صفحات دينية معزولة ومحكومة في جرائد ودوريات أو أحاديث وخطب رتيبة في إذاعة وتلفزيون. وتكتسب المطالبة بإيجاد البديل الإسلامي في ميدان الاعلام بجانيه النظري والتطبيقي أهمية بالغة لما تتمتع به وسائل الاتصال اليوم من مكانة خطيرة في توجيه عقليات الناس، وتشكيل سلوكهم في الحياة، في عالم تحوّل الى قرية كونية قصرت وسائل الاتصال الإلكترونيّة المسافات بين أجزائه، وربطت شبكة معقدة من الاتصالات بين دوله وشعوبه بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الانسان كله.

من هذه المقدمة نخلص إلى بعض التساؤلات

الحيوية حول الاعلام الاسلامي

ومفهومه ودوره ومسؤوليته في وقت نحن في أمس الحاجة إلى جلاء صورته وتحديد معالمه، والكشف عن كنوزه ونخائره، والتخطيط من أجل تحويله الى واقع حي يتعاقب

إن المهتم بالإعلام الإسلامي من خلال الخطاب القرآني يجد أن هذا الأخير قد وضع المبادئ والأصول والقيم، وهي لا تغني عن البرامج والخطط التي تبصر المتغيرات، وتدرك أبعاد الخطاب ومقاماته في كل زمان ومكان.

وقد نكون اليوم أكثر من أي وقت مضى في حاجة إلى القيام بالمراجعة للخطاب الإسلامي في الدعوة والإعلام، وخاصة في هذه المرحلة بالذات حيث السقوط الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي للمقولات العالمية التي كانت تشكل أمل الفقراء، والتي تولدت نتيجة الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي فجاءت لتعالج أزمة الإنسان فعالجت الانحراف بانحراف أشد.

فالاعلام - كما هو معلوم - هو إيصال المعلومة، وعملية التوصيل هذه تتركب من مجموعة من العناصر: عنصر يتعلق بالمعلومة نفسها من حيث صحتها وخطئها، وعنصر يتعلق بالناقل المُعلم: خصائصه وصفاته وقدرته على الإبانة، واستشعاره المسؤولية تجاه ذلك. وعنصر يتعلق بالمتلقى: تاريخه، وثقافته وواقعه وعمره الثقافي ومدى ملائمة المعلومة لعمره العقلي إلى جانب السياسة المرسومة وعملية التحكم التي تخضع لها العملية الإعلامية [١].

لا يوجد إعلام بدون رسالة يحملها إلى العالم، بل الإعلام هو الرسالة في الحقيقة التي تؤمن بها الأمة، وتجتهد في إبلاغها، فالاعلام هو السفير،

بقلم:

د. عبد السلام بنهروال

شعبة الدراسات الإسلامية

- الجزائر -

في المنظومة الإسلامية

فيه القول مع الفعل، وتتلاحم فيه النظرية بالتطبيق وهي كالتالي:

لماذا نحتاج إلى الاعلام الاسلامي؟ وما هو الاعلام الاسلامي الذي نريد؟ وكيف نصل اليه؟ تستند المطالبة بأسلمة الاعلام وصياغته صياغة إسلامية إلى المبررات الآتية:

١- مبرر منطقي:

وهو أن الاسلام جاء ليكون منهاجاً شاملاً للحياة كلها بجميع جوانبها ومجالاتها وقد رسم الاسلام للانسان معالم لنظمه الاجتماعية المختلفة لتتوافق هذه النظم مع الغاية الرئيسية لوجوده، وهي خلافته عن الله في الارض لعمارته. وارتباط المسلم باسلامه ليس ارتباطاً عاطفياً روحياً وحسب، بل هو ارتباط واقعي عملي من خلال تطبيق شرائع الاسلام وهدية وتعاليمه السامية، وتوجيهاته

الربانية في مجموعة من النظم الاسلامية التي حكمت حياة المسلمين في شؤونهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية والعسكرية.

٢- مبرر واقعي:

ويتجلى في كون المسلمين يواجهون في مختلف الاقطار غزواً فكرياً وثقافياً، وحضارياً رهيباً، ولم يعد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصوراً على

الوسائل التقليدية للغزو من كتب استشراقية، أو مذاهب هدامة، أو مؤامرات استعمارية مكشوفة، وإنما أصبح يستخدم وسائل جديدة أو أساليب جديدة تعبر إلى الاجيال الصاعدة بل إلى العقول المثقفة عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء، والتحليل السياسي أو الاقتصادي الذي تكتبه

الصحيفة، والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة، وعن طريق الافلام المدهشة، وتعبر كذلك عبر النظريات المدسوسة في مناهج التربية والتعليم معللة بدعوى العلم والتقدم، والاكتشافات الحديثة [٢].

إن هذا الغزو الحضاري الرهيب - بمختلف صورته - يعمل على زعزعة مبادئ الاسلام وقيمه، وهدم اخلاقياته ومثله في نفوس أبناء المسلمين لينشأوا في غربة عن دينهم وحضارتهم وتراثهم ويصبحوا فريسة سائغة للأفكار الغربية،

ولنمط الحياة الغربية بكل ما فيها من انحرافات عبر مجموعة من الصور، ولا مفر من مواجهة هذا الغزو مواجهة صحيحة، وذلك بتطوير استراتيجية محكمة تعتمد على هدفين اثنين:

الأول: توجيه الإعلام في الدول الاسلامية نحو الأصالة والذاتية النابعة من قيم الاسلام ومبادئه، وتوفير الجو الملائم، والدعم المناسب لصنع

الارسل الفضائي أصبح متافاً في كل بيت بكل ايجابه وسالبه منهجية الاسلام في السلوك والخلق ينبغي ان تبصمها منهجية مهائلة في الاسلام

البدائل الاسلامية التي تقف في مواجهة ما يقدمه الغرب.

الثاني: تنقية الاعلام - الى جانب التعليم - من المؤثرات العلمانية والاحادية وتفنيد ما تقدمه وسائل الاعلام الغربية من انحرافات. وهذه المواجهة الواقعية للغزو الفكري والثقافي في صورتها الشاملة المتكافئة لن تتحقق إلا عندما تتبلور في أذهان المسلمين الصورة الحقيقية للاعلام الاسلامي.

ما هو الإعلام الإسلامي الذي نريده؟

تختلف نظرات الناس حول الاعلام الاسلامي

ما بين النظرة الجغرافية، والنظرة التاريخية، والنظرة الواقعية التجزيئية.

فالنظرة الجغرافية تفهم الاعلام الاسلامي على اعتبار أنه صادر عن دول العالم الاسلامي، أو الجهات التي تنتسب إلى الاسلام، وتكاد تكون هذه النظرة هي السائدة في الدراسات الأجنبية عن الاعلام الاسلامي، ولذلك تصنفه في إطار العالم الاسلامي

بمفهومه الجغرافي الرسمي دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة.

والنظرة التاريخية للإعلام الاسلامي تكاد تحصره في إطار زمني ضيق، وترى أنه مفهوم تراثي وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة مثل تلك الدراسات التي تتناول الاعلام ووسائله في عهد النبوة، أو الخلفاء الراشدين.

أما النظرة الواقعية التجزيئية للاعلام فتستند الى صور الممارسة الواقعية لبعض جوانب الاعلام الاسلامي في حدود الصفحات الدينية، وركن المفتى، والخطب المنبرية في الصفحات

اليومية والاسبوعية، ورغم أن هناك بعض جوانب الصحة في هذه النظرات المختلفة للاعلام الاسلامي، فإنها لا تعبر عن حقيقته وشموله وتكامله، ولا تمثل جوهره الاصيل.

والحق ان الاعلام الاسلامي ليس مرتبطا بفترة زمنية معينة وليس محدودا ببقعة مكانية محدودة، بل هو منهج يتجاوز حدود الزمان والمكان ويحمل في طياته بذور الملازمة لكل زمان ومكان [٣].

ومما يشكل خطرا على الاعلام الاسلامي الازدواجية والتناقض في الوسيلة الواحدة فضلا عن وجودهما في الوسائل

المتعددة، حيث تستمع مثلا إلى برنامج ديني يحث على الفضيلة، فيعقبه مباشرة برنامج آخر يغري بالرديلة، أو أغنية ماجنة تزين السقوط بصورة جذابة مشوقة، وتشاهد في التلفاز مثلا برنامجا دينيا يبني في نفوس المشاهدين معاني الرجولة والصلاح والخير، ثم لا تلبث أن تصطدم في الوسيلة نفسها بشريط مثير ينقض كل ما بناه البرنامج الديني ويهدمه [٤].

ولو نظرنا الى واقع النشاط الاعلامي والنظم الاعلامية في المجتمعات التي لا تدين بالاسلام لوجدنا أن النشاط الاعلامي فيها ينبع أصلا من التصورات العقدية والايديولوجية للمجتمع، وينطبع بالقيم والتقاليد والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة فيه، ولوجدنا أيضا أنه يخدم - عبر قنواته وصوره - الغايات والاهداف البعيدة والقريبة التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها. وللإسلام فلسفته الاعلامية الخاصة به، وفي ضوء هذه الفلسفة المستقاة من المصادر الاصلية للمنهج الاسلامي نجده قد وضع أصولا

**التطابق بين الإعلام
ومنهجية الإسلام
ضرورة لازمة
قوة التأثير الإعلامي
في عالمنا اليوم لا
تدانيها قوة أخرى**

إعلام الدول الإسلامية يشمل من المتناقضات ما يدعو للدهشة

وتكامله لن يكون ولن يتم إلا بالعمل الدؤوب والإعداد للكفاءات المتخصصة وتأهيلها فكرياً، وخلقياً، وعلمياً، ومهنياً، وذلك من خلال:

أ - **الاعداد الاصولي والفكري:** حيث يتعرف الطالب على الاصول العقديّة والفكرية والتشريعية للإسلام من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن والحديث والتوحيد والفقه والثقافة الإسلامية.

ب - **الاعداد اللغوي:** لأن اللغة هي وسيلة الاعلام؛ بل هي وعاء الفكر والثقافة، وأن يسعى إلى التمكن في فنون القول والبيان، والاسلوب، والتعبير، والتذوق الادبي.

ج - **الامام الشامل بقضايا المجتمع الذي يعيش فيه،** من حيث قضاياها، ومشاكله واحداثه، وتياراته.

هذه باختصار شديد نظرة حول الاعلام الاسلامي ومتطلباته ومكانته بين الاعلام الدولي والمهمة المنوطة به، والدور المنتظر منه القيام به في إبراز قضايا الدعوة الإسلامية وأسسها وبيانها وتوضيحها بالعقل والمنطق الذي يتطلبه العصر حتى يؤدي رسالته على أحسن وجه كما تنتظرها منه منظومته الإسلامية.

هوامش:

- (١) مقالات في الدعوة والاعلام الاسلامي لمجموعة من المؤلفين (سلسلة كتاب الأمة) ص ٢٢.
- (٢) عبد القادر طاش في المرجع السابق ص ٢٠ بتصرف.
- (٣) نجيل القارئ الكريم الى كتاب «الاعلام والقرآن» لعبد القادر حاتم ط ١٩٨٥ حيث يجد فيه مسيرة الاعلام الاسلامي والاهتمام الذي حظي به في القرآن والحديث.
- (٤) وبإستطاعة القارئ الكريم أن يلاحظ هذا التناقض فيما تقدمه بعض القنوات التلفزية من برامج.

عامة وقواعد كلية لكافة جوانب العملية الاعلامية، وهي مبنوثة في المصادر الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف وفي اجتهادات فقهاء المسلمين وعلمائهم عبر العصور المتعاقبة وذلك من خلال:

١ - **فلسفته الأساسية** واطاره الفكري العام المبني على التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان، وغاية الوجود الانساني.

٢ - **غايته الكبرى** ومنهجه الاصيل في تحقيق تلك الغاية.

٣ - **وظائفه العامة والخاصة**، ومدى ارتباط هذه الوظائف بالحاجات الواقعية لأفراد المجتمع، ومقدار استجابته للظروف المحيطة بهم.

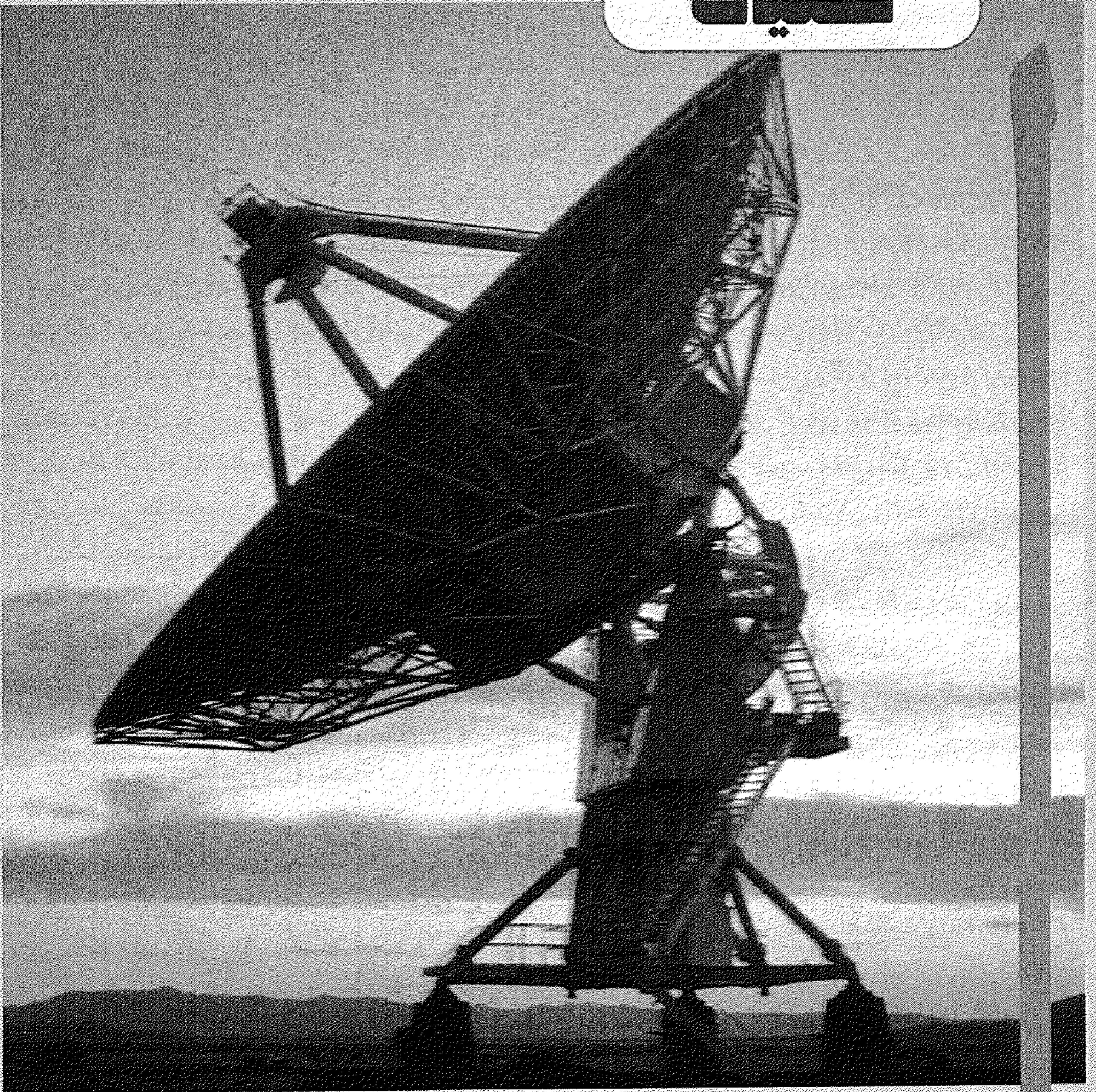
٤ - **أساليبه وطرقه** في تقديم المضمون إلى الناس، ومدى مراعاة هذه الأساليب لخصائص الجمهور المتلقي للرسالة الاعلامية وكيفية تعامله معه.

٥ - **وسائله وقنواته المتنوعة: تقليدية وعصرية.**

وهذا العمل الذي يستهدف صياغة منظومة اعلامية اسلامية للمجتمع الاسلامي لن يتحقق إلا من خلال اجتهاد عصري يقوم به متخصصون يمتلكون زادا متينا من العلم الإعلامي في جانبيه النظري والتطبيقي، ولا بد أن يعتمد هذا الاجتهاد على تلاحم عنصرين هامين:

أولاً: دراسة المصادر الأساسية للإسلام دراسة اعلامية علمية لاستنباط الأسس والقواعد التي تنظم العملية الاعلامية أو ترشد إليها.

ثانياً: دراسة نتائج البحوث والدراسات والممارسات الاعلامية المعاصرة، وتحقيق ثمرة هذا التصور النظري للاعلام الاسلامي بشموله



الاستشراف

لقد خلق الباري عز وجل الإنسان ووهبه ما يمكنه من العيش على هذه الأرض واستغلالها لينعم هو وأبناؤه بخيراتها . إن اعتراف الإنسان بفضل القدرة الإلهية عليه يجعله يحاسب نفسه ويفكر بنتائج أعماله قبل أن يقدم عليها باندفاع وبلا ترو، مقدراً بذلك نعمة الله سبحانه وتعالى عليه وعلى أجياله، فكثير من الوسائل والتقانات الحديثة التي يستمتع بها الإنسان في الوقت الحاضر تمتلك وجهين، الأول مفيد لتطور الإنسان مادياً ومعنوياً والثاني وجه شرير مدمر للقيم الروحية والاجتماعية . ولا يختلف الإنترنت وهو أحدث وأوسع وسائل الاتصالات في العصر الحالي، عن بقية الوسائل والمخترعات التي عمت الأرض خلال هذا القرن الذي أوشك على الانصراف، لذلك يجب توخي الحذر الشديد عند استغلال

هذه الوسيلة، فكما تحمل معها بذرة المعرفة والخير فإنها يمكن أن تستغل لشتى أنواع الشر والفساد والرنيلة، خصوصاً وأنها أصبحت وسيلة يستخدمها العالم والمدرس والطالب

بقلم: أ. د. د.

شذى الدركزلي

- المملكة المتحدة -

والمحامي والطبيب والصناعي والمؤرخ والتاجر والكاتب والاداري الحكومي والعاملون في شتى المهن والحرف والصناعات، فلم تعد هناك حاجة لأي من هؤلاء أن يكون متخصصاً بالحاسوب ليستطيع استغلاله، وكل ما يحتاجه هو تدريب بسيط لتعلم كيفية استخدامه واستكشاف الإنترنت للحصول على ما يحتاجه من المعلومات .

والسؤال الملح هو هل الإنترنت عدو أم صديق؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من التعرف على الإنترنت وأصله أولاً .

في البدء كانت الأصابع

عندما بدأ بحث الإنسان عن وسائل تساعد على الحساب كانت أصابع يديه ورجليه أول معداد أو حاسوب استخدمه الإنسان للعد، ثم تلا ذلك استخدامه للحصى والنوى . واستخدم الإنسان الكتابة بوضع رموز الأعداد؛ فكان الخط المستقيم رمزاً

للوحد، ولا يزال كذلك في معظم لغات العالم، والخطان للاتنين وهكذا . ولم تكن الأرقام الرومانية تعرف الصفر، وعندما

أضاف العرب الصفر الى الأرقام سهل تعداد الأرقام الكبيرة وكتابتها، بعكس الأرقام الرومانية المزعجة .

عدو أم صديق

العربية	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	٢٠	٣٠
الرومانية	I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	IX	X	XI	XII	XX	XXX

العربية	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨
الرومانية	XXXI	XXXII	XXXIII	XXXIV	XXXV	XXXVI	XXXVII	XXXVIII

العربية	١	٥	١٠	٥٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠٠
الرومانية	I	V	X	L	C	D	M

يبين الجدول التالي بعض الأرقام الرومانية ومقابلها من الأرقام العربية ويزداد تعقيد الأرقام وطولها بزيادتها الى المئات والآلاف.

وتطورت الأدوات التي تساعد على حساب الأرقام الكبيرة: مثل أداة الحساب (المعداد) التي تستخدم لتعليم الأطفال الى المسطرة الحاسبية slide rule في النصف الأول من القرن العشرين، الى الحاسبة الإلكترونية calculator في النصف الثاني من القرن العشرين.

في أربعينيات هذا القرن ظهرت لأول مرة أجهزة الحاسوب الضخمة Main Frame Computer التي يمكن استخدامها آنياً من قبل المئات من العاملين، إلا أن استخدام الترانزستور في دوائرها الإلكترونية، وبسبب سهولة عطب بعض هذه الترانزستورات، أدى الى عدم الثقة المطلقة في نتائجها. فقامت ثورة التطور في الحاسوب على يد شرائح السيليكون silicon chips لتأخذ مكان الترانزستورات في السبعينيات. فشريحة سيليكون محفور عليها دوائر الكترونية مجهرية تحل محل آلاف الترانزستورات. أدى هذا التطور الى اختراع ما يسمى بالمعالج المجهرى microprocessor في عام ١٩٧١

الذي هو أساس عمل الحاسوب الشخصي Personal Computer (P C).

وتطورت في السبعينيات صناعة شرائح السليكون لانتاج المعالج المجهرى في شركتين أمريكيتين شهيرتين هما إنتيل وموتورولا. وكان انتاج الحاسوب الشخصي من نوع أي بي إم من معالجات إنتل وحاسوب ماكنتوش Apple Macintosh من معالجات موتورولا، (والأول أكثر شيوعاً الآن في الاستعمال من الثاني).

في ١٩٨١ صنع الحاسوب الشخصي من نوع أي بي إم من شريحة إنتيل المرقمة ٨٠٨٨ ثم تطور باستخدام شريحة رقم ٨٠٨٦ ثم رقم ٨٠٢٨٦ التي أصبح الحاسوب يسمى باختصار ارقامها أي ٢٨٦ وتلاه ٣٨٦ و٤٨٦ وتوقف عند ٥٨٦ الذي لم يكتسب انتشاراً بسبب ظهور البنتيوم عام ١٩٩٦. كما أن حاسبات أي بي إم الشخصية الحديثة أصبحت تسمى Windows Machines (الشبابيك) بسبب إمكانية الحصول على أكثر من «نافذة» في آن واحد ولأن شركة أي بي إم لم تعد تصنع الآن سوى جزء قليل من أجزاء الحاسوب الصلبة hardware وكان هدف اختراع الآلات الحاسبية وأجهزة الحاسوب الأول هو إجراء الحسابات الطويلة والمعقدة



توفيراً للجهد والوقت
ولتفادي الخطأ في
الحسابات، وتطورت
الآن الى أهداف أكثر
تعقيداً وفائدة.

الحاسوب الشخصي:

يتكون الحاسوب
الشخصي من جزأين
رئيسين هما:

١ - الجزء الصلب
hardware ويضم
الأجزاء الكهربائية
والإلكترونية
والميكانيكية
للحاسوب.

٢ - البرمجيات softwares ويشمل على
البرمجيات التي تُشغله.

وباستخدام برمجيات خاصة بالاتصالات
الخارجية يمكن للحاسوب الشخصي الارتباط
بشبكة أجهزة حاسوب محلية Local Area
Network (LAN) ترتبط بها مجموعة أجهزة
حاسوب شخصي بجهاز مركزي. فيمكن بذلك
تبادل الاتصال بين أعضاء هذه الشبكة المحلية
واستغلال كفاءة الذاكرة في الحاسوب المركزي
والاشتراك باستخدام برمجياته أو أجهزته
الفرعية مثل الطابعة Printer والراسم scan-
ner كما يمكن لهذه الشبكة المحلية الإتصال
مع شبكات خارجية أخرى، وهو ما يسمى
بالإنترنت internet وهو مختصر Inter-
network أي شبكة لشبكات أجهزة حاسوب.

الإنترنت

صُمم الإنترنت لأول مرة في عام ١٩٦٩
لغرض استغلال المعلومات المتوفرة في

حاسوب وزارة الدفاع الأمريكية من قبل
أقسام الوزارة المتعددة والمتخصصة بالأمور
الأمنية للبلاد، وتطورت هذه المنظومة من
الإنترنت خلال السبعينيات والثمانينيات قبل
توقفها عن العمل في عام ١٩٩٠. وفي عام
١٩٨٦ أنشأت مؤسسة العلم القومية الأمريكية
National Science Foundation شبكتها
ليستفيد منها الباحثون في شتى التخصصات
العلمية. ثم تطور ذلك الى تنوع شامل لتوزيع
المعلومات التي تستخدمها المؤسسات العلمية
والمكتبية لغرض تعميم فائدتها على أكبر عدد
ممكن من الباحثين وعموم الناس.

وأصبحت الإنترنت الآن مكتب بريد وسوقاً
تجارياً ومكتبة ومخزن برمجيات ووسيلة تعليم
 وثقافة وقراءة صحف ومجلات ومراكز حوار
فكري وعلمي بين الفئات المختلفة في عدة
أماكن من العالم، كل ذلك باستخدام النص
الكتابي والصوري والصوتي (أو ما يسمى
بالاوساط المتعددة multimedia) من على

الرسائل الاعتيادية كما ابتدعت بعض الرموز الخاصة والتي يمكن تبيانها عندما ينظر إليها بزاوية ٩٠ درجة. فالرموز (-: تعني الابتسام والرموز) :- ترمز الى وجه حزين والرموز ٨-) لعينين متسعيتين من الدهشة والرموز (-B لمن يلبس نظارات وغير ذلك. ويتكون العنوان في رسائل الإنترنت من اسم الشخص في شبكته (رمزاً أو كاملاً) ويليه رمز الارتباط @ ويعني (at) يفصله عن عنوان الشبكة التي يرتبط بها والذي يتكون من عدة أسماء يربط بينها نقطة، مثل: sar-ab@dur.ac.uk حيث يمثل الرمز الأخير اسم البلد مختصراً فالرمز uk يعني المملكة المتحدة lb لبنان bh البحرين.

٢ - بروتوكول نقل الملفات أو الوثائق File Transfer Protocol (ftp) ويتم خلال هذه الوسيلة نقل الملفات من حاسوب الى آخر، وتبادل التقارير والبحوث وقواعد البيانات بين الباحثين بالإضافة الى البرمجيات. وتصنف البرمجيات الى ثلاثة أنواع: المجانية - free-ware والمشاركة shareware (وهي التي يمكن نقلها وتجريبها لمدة قصيرة قبل دفع ثمنها) والتجارية commercial (وهي التي يمكن نقلها بعد دفع ثمنها).

وتصنف الملفات الى نوعين

الأول هو American Standard Code for Information Interchange (ASCII) (أسكي) وهو القياسي الأمريكي الخاص بنقل الملفات الاعتيادية غير المرتبة بنسق محدد.

والثاني: هو الثنائي Binary وهو خاص بنقل ملفات خاصة مثل الملفات المكبوسة أو



شكل الجلوس الصحي على الحاسوب

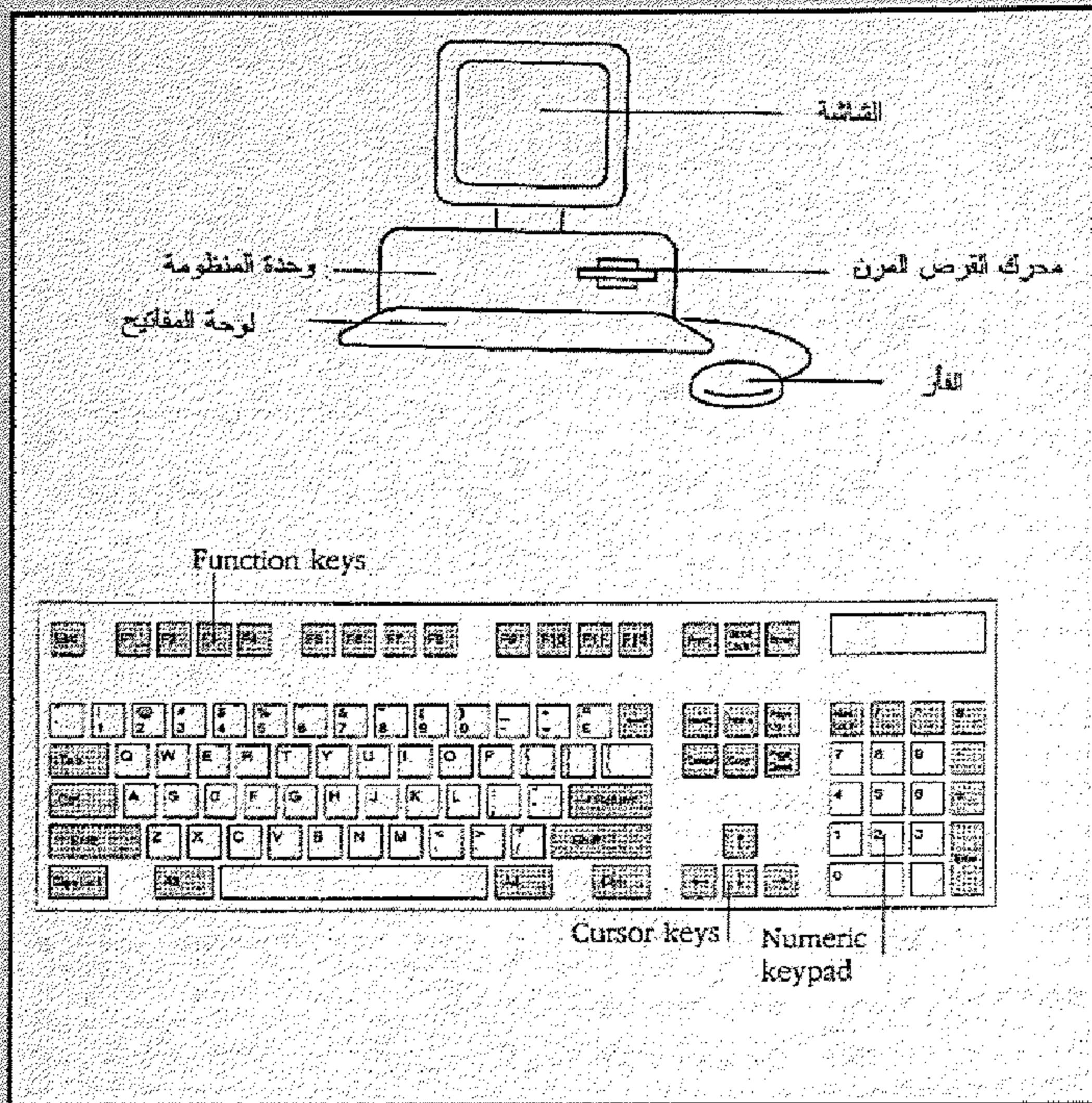
شاشة مرئية تشبه شاشة التلفاز.

أهم وسائل الإنترنت الحالية هي

١ - البريد الإلكتروني Electronic Mail (E-Mail).

ويعد هذا من أكثر وسائل الأنترنت استخداماً، ففيه يتم تبادل الرسائل بين مستخدمي الإنترنت وفي كافة أنحاء العالم المرتبطة بشبكة الإنترنت، ويتميز عن البريد المألوف بأنه لا يستغرق أكثر من بضع دقائق ليصل الى أقصى بقاع العالم، إن لم تكن هناك مشكلة فنية في أحد الأطراف. كما تطور مؤخراً إرسال الفاكس بواسطة البريد الإلكتروني أيضاً.

وبداً نوع من النسق الخاص لهذه المراسلات يميزها عن المراسلات الاعتيادية، فليس هناك ما يبدأ به المراسلة من الجمل التقليدية مثل: «عزيزي فلان» أو «أشكركم على رسالتكم» وغير ذلك؛ بل أصبحت الجمل مختصرة وأقرب الى كتابة البرقيات منها الى



مخطط لأجزاء الحاسوب الرئيسية

الثقافية وشبكات الاتصال. وتتنوع الملفات، والنصوص أو جداول البيانات، وتبدأ معظمها بملف خاص يشرح محتوياتها يسمى عادة «إقرأني» readme أو «الأسئلة كثيرة التكرار» Frequently Asked Questions (FAQ) يساعد الباحث في استحصال المعلومات من الملفات المنقولة بكفاءة.

وترتبط العديد من المؤسسات العلمية والصناعية والحكومية والجامعات بعضها مع بعض، فتوفر كل مؤسسة لباحثيها أجهزة الحاسوب للحصول على النصوص والصور. أما الافراد فيمكنهم الحصول على الارتباط بالإنترنت في بيوتهم من خلال استخدام جهاز ارتباط خاص يربط عادة مع خط الهاتف يسمى الموديم modulator - demodulator (or modem)، وتكون لاتصاله بالإنترنت كلفة تقدرها الشركة المجهزة أو شركة الهاتف، إما شهرياً أو حسب عدد ساعات الاستخدام.

البرامج التنفيذية. ومن الضروري الاهتمام بتدقيق سلامة الملف المنقول من الفيروسات قبل استخدامه.

٣ - شبكة أو نسيج العالم بكامله World Wide Web (WWW) وتعد هذه الشبكة من أهم ما يصدر في الإنترنت فهي تشمل حقلاً واسعاً من المعلومات التي تستحصل مما يسمى hypertext transfer protocol (http) أي بروتوكول نقل النص متعدد الطبقات. يتم الربط بين صفحات الانسجة المختلفة بما يسمى Uniform Resource Locator (URL) أي محدد المصدر المتناسق،

ويتكون هذا من قسمين هما طريقة الإتصال وعنوان خزن المعلومات فمثلاً عنوان خزن المعلومات للصفحة التعريفية لجامعة درم - UK ham في المملكة المتحدة هو: http:// www. dur.ac.uk حيث يمثل الرمز AC مختصر كلمة أكاديمي academic التي تشير الى الجامعات. فقد تكونت رموز خاصة للعناوين مثل com للمراكز التجارية وgov للمراكز الحكومية وهكذا. وللوصول الى هذه الشبكات لابد من استخدام منقب أو متصفح browser معين وهو برنامج خاص للتنقل بين الشبكات للبحث عن المعلومات.

وهناك نوعان من هذه البرامج: إما لمتابعة النصوص فقط، مثل برنامج لينكس Lynx، أو لمتابعة الأوساط كافة أي نصوص وصور وصوت، مثل برنامج Netscape نيتسكيب أو برنامج Mosaic موازيك. وأصبحت تسمية سيبرسبيس cyberspace تطلق على نشاطات الإنترنت واتصالاتها بالاضافة الى الاحداث

الدوريات وخلال سنين عديدة. فمثلا تحتوي قاعدة المعلومات بيدز Bath Information and Data Services (bids) التي أنتجتها جامعة باث البريطانية على البحوث المنشورة في الفروع العلمية والإنسانية والاجتماعية والفنية ومنذ عام ١٩٨١. وتشمل المعلومات التي يزودها البرنامج على اسم البحث والباحثين وعناوينهم وتفاصيل الدورية التي نشر فيها البحث. ومنذ عام ١٩٩١ شملت المعلومات ملخص البحث والمراجع المذكورة فيه، وفي النصف الثاني من عام ١٩٩٦ تم إضافة النص الكامل للبحث أيضاً.

كما تساهم مجموعات النقاش في الإنترنت في مساعدة الباحث للاتصال بالمتخصصين والمهتمين بموضوع بحثه وطرح ما يشغله أو يحيره من أمور غامضة في بحثه وتبادل الآراء حولها.

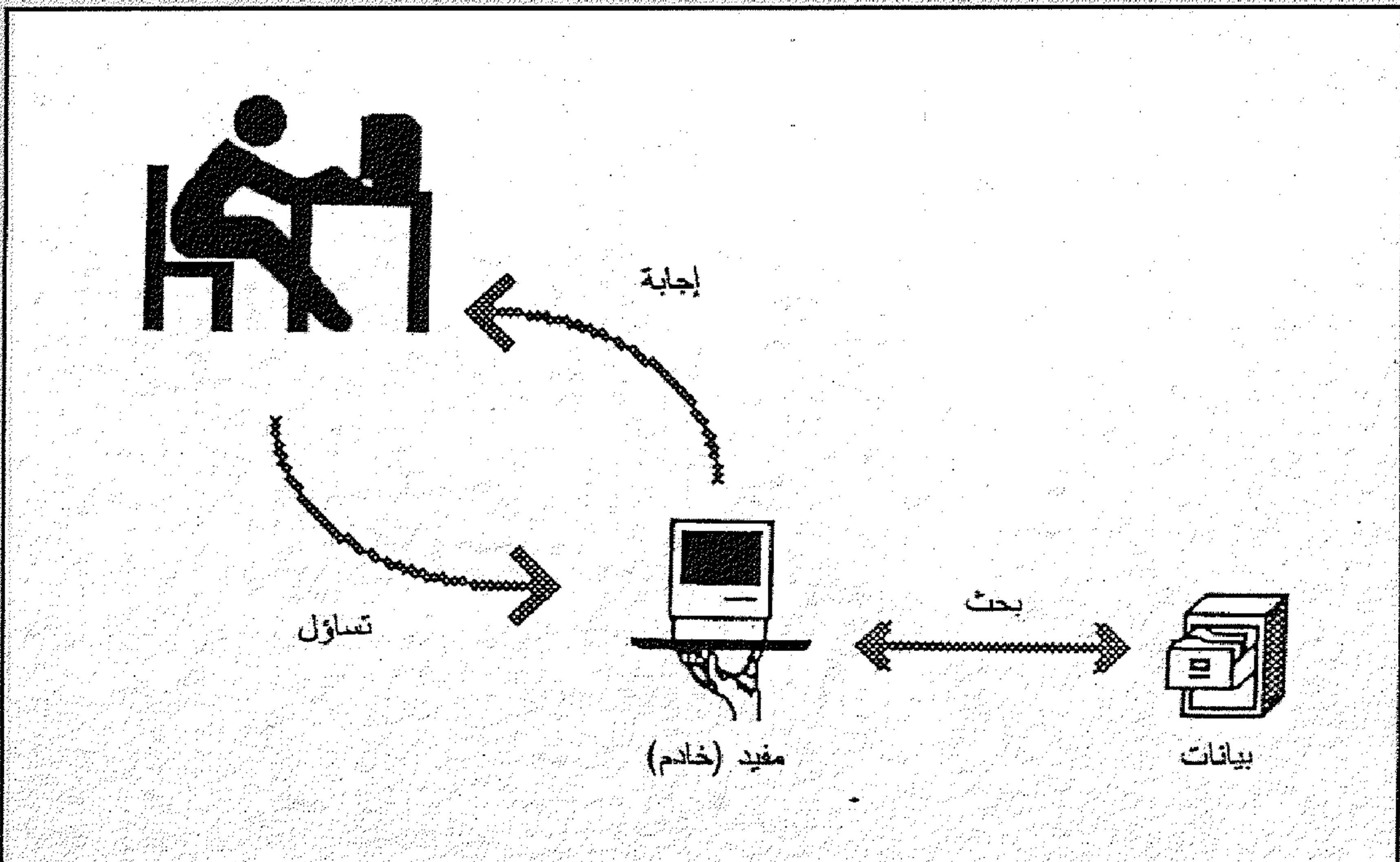
وأصبحت بعض المؤسسات توفر الملفات التقليدية في الفن والأدب، مثل صور متاحف

وتوجد أنواع عديدة من الموديم بسرعات مختلفة، مثل السريع والبطيء وعندما يتم تبادل الاتصال بين موديمين أحدهما سريع والآخر بطيء فإن سرعة انتقال الاتصالات تعتمد سرعة البطيء.

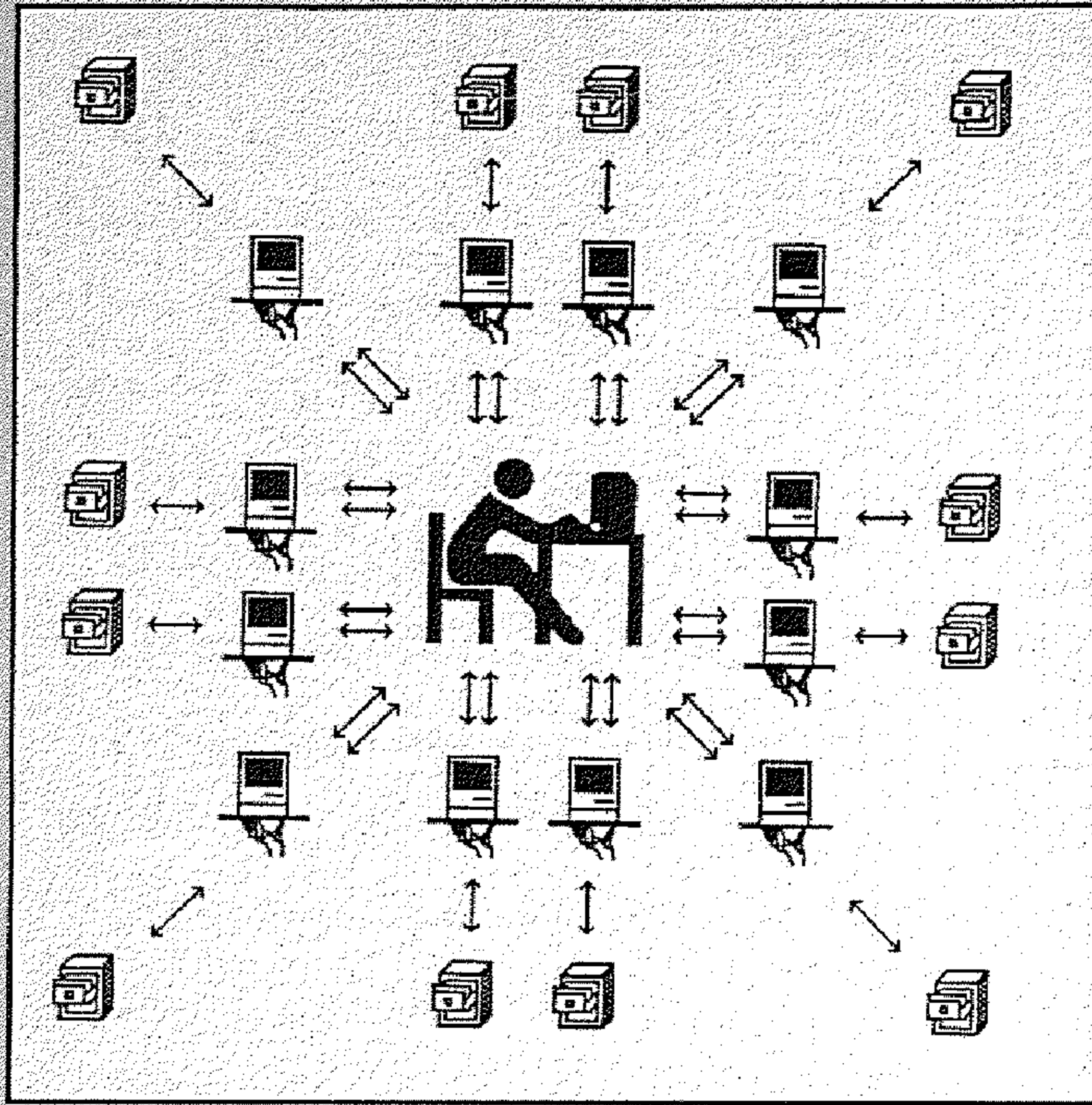
وبسبب استخدام الموديم كثر العمل من البيت بدلاً من مكتب العمل في الجامعة أو مركز البحوث، موفرًا بذلك الكثير كمصاريف التنقل من المكتب واليه، وتخصيص أماكن عمل وكلفة الكهرباء وغيرها في مواقع العمل.

ثروة البحث العلمي في الإنترنت

إن أول ما يحتاجه الباحث، من كافة التخصصات العلمية والإنسانية، في بدء عمله هو المراجع المتوفرة عن موضوع بحثه؛ فينطلق نحو مكتبة لبحث في فهرسها الموجودة في الإنترنت. ولقد أصبحت قواعد معلومات المراجع في مكتبة معينة أو في المكتبات العالمية أمراً شائعاً، كما طورت برمجيات للبحث عن موضوع تخصصي محدد، وما نشر عنه في



نموذج شبكة حاسوب صغيرة



أنموذج شبكات حاسوب متعددة الخدمات

أنية تساعدهم في تحسين وتطوير عملهم . كما أن هناك فرعاً ترفيهياً من خلال اللعب العديدة التي يشترك بها أكثر من لاعب مثل الشطرنج والطاولة وغيرها من الألعاب الفردية أو الجماعية .

وأصبح مصطلح النص متعدد الطبقات hypertext والأوساط المتعددة multimedia يطلق على الطرق التي يستخدمها الباحث في التنقل بين الملفات المختلفة الموجودة في الإنترنت ومن خلال النصوص بأشكالها المتعددة، أي نص كتابي وصوري وصوتي وفيديوي وصور متحركة على شاشة الحاسوب .

السلامة الصحية

توجد، كما في أي مجال من مجالات العمل في العالم، قواعد صحية محددة لاستخدام الحاسوب تساهم في المحافظة على صحة الفرد الجسمية والنفسية . فجهاز الحاسوب يمكن أن يجعل الفرد مرتبطاً به ارتباطاً تاماً

العالم وكتب مشاهير المؤلفين مثل شكسبير وتشارلز ديكنز وقواميس اللغات . كما تتوفر ملفات كتب الأديان المختلفة، وما يميز هذه الملفات عن الشكل التقليدي المطبوع هو إمكانية البحث الدقيق فيها من خلال استخدام برنامج «بحث» ملائم يساعد الباحث ويوفر عليه وقتاً كثيراً وحيزاً مكانياً، فالموسوعة البريطانية بأجزائها الضخمة التي يزيد عددها على الثلاثين جزءاً جمعت في عام ١٩٩٢ في اثنين من Compact Disk - Read Only Memory (CD-ROM) أي قرص مكثف بذاكرة قراءة فقط، لا يحتلان إلا حيزاً

صغيراً جداً . ولقد فاقت مبيعات القرصين مبيعات الموسوعة المطبوعة على الورق .

كما تتوفر على الإنترنت ومن خلال مراكز البحوث الشهيرة مثل وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) وغيرها ملفات البيانات الخاصة بالعديد من نتائج تجارب الفضاء التي تُطلق للباحثين لكي يستفيدوا منها . فالكثير من بحوث الفضاء والفلك المنشورة لا تتطلب من الباحث سوى معرفة المبادئ العلمية وكيفية استحصال البيانات من الإنترنت واسلوب تحليلها . أي أن الكثير من الباحثين لم يعد بحاجة إلى استخدام المراصد للحصول على البيانات .

وبالإضافة إلى البحوث العلمية فهناك الوسائل الثقافية لمستويات التعليم كافة والتي يستخدمها أيضاً العديد من الأخصائيين، مثل رجال الأعمال والتجار والمحامين والأطباء والصحفيين والكتاب والطياريين وحتى المزارعين، لمعرفة ما يحتاجونه من معلومات

لا يتركه طوال اليوم، ليلاً أو نهاراً، لذلك يجب الاهتمام بطريقة الجلوس الصحيحة للفرد أمام الجهاز وتركه بين الحين والحين لراحة الجسم والعينين من الإرهاق. وقواعد الجلوس الصحيحة على الكرسي هي:

(١) أن يكون أسفل الظهر مستنداً.

(٢) أن تكون الركبة بمستوى الورك.

(٣) أن تستقر القدمين على الأرض.

(٤) أن يكون مستوى العينين مع أعلى

الشاشة ويمكن إمالة الشاشة لذلك.

(٥) أن تكون الشاشة مواجهة للجالس

وليست على زاوية منه.

(٦) أن يكون مستوى الرسغ والزند على

خط مستقيم وفوق مستوى لوحة المفاتيح.

ويجب الانتباه الى أن شاشة الحاسوب مثل أي شاشة أخرى تنطلق منها أشعة كهرومغناطيسية تؤثر في المدى البعيد على صحة الفرد من خلال الجرعة الإشعاعية الواطئة والمتراكمة في الجسم. وتوفر بعض الشركات المصنعة غطاءً شفافاً واقياً فوق الشاشة، يمتص جزءاً كبيراً من هذه الأشعة، ينبغي على مستخدمي الحاسوب لفترات طويلة استعماله.

كما يجب ترك الحاسوب لمدة عشر دقائق لكل ساعة عمل متواصلة. خلال فترة الراحة هذه يمكن إجراء تمارين للعينين بالتحديق على مناظر بعيدة وفتح العينين وإغماضهما بسرعة عدة مرات مع بعض التمارين الرياضية للجسم.

ويجب مراعاة الحذر المعروف من كافة الأجهزة الكهربائية المصاحبة للحاسوب مثل الطابعة، فلا يجوز الانحناء عليها عندما يكون

المشغل مرتدياً رباط عنق أو تكون المشغلة مرتدية ربطة شعر (إيثارب) أو عقداً طويلاً أو ذات شعر طويل غير مربوط.

ولا تقل السلامة النفسية أهمية عن السلامة الجسمية وعلى الفرد مراعاة ذلك وتقبل نصائح الخبراء في هذه الأمور وعدم التعنت في الرأي، لكي لا يصبح المرء مهووساً بشكل مرضي بالحاسوب ويقع تحت تأثيره فيسيطر عليه الحاسوب بدلاً من أن يسيطر هو عليه. وعلى الوالدين متابعة الصغار والأحداث ونصحهم عندما يلاحظون انهماكهم غير الطبيعي مع الحاسوب.

مستقبل الإنترنت

لقد كان الهاتف (التلفون) أهم وسيلة اتصالات انتشرت في بداية القرن العشرين وتلاه التلفاز (التلفزيون) في منتصفه والإنترنت في أواخره. ولم يكن مخترع الهاتف يتصور أن جهازه سيكون واسطة المحادثة بين أنحاء العالم كافة وفي أي مكان بهاتف جوال mobile يمكن ربطه بالحاسوب. وتشبه حالة الإنترنت اليوم حال التلفاز في بدايته، فقد كان جهازاً عالي الكلفة وبرامجه بدائية وبسيطة، فاستخدام الإنترنت اليوم مازال قاصراً على أمور تعد بسيطة نسبياً مقارنة بما يؤمل له من التطور في المستقبل ليشمل مختلف الخدمات. وأهم ما يؤمل للإنترنت، وهو ما وجدت في البدء لأجله، هو نشر العلم والثقافة والتعليم. ويستخدم التلفاز، الذي وجد للتسلية والترفيه، في التعليم والثقافة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، إلا أن ذلك يبقى محدوداً بسبب سعة انتشار برامجه الترفيهية التي تستقطب اهتمام الناس عامة.

عن الإنترنت من العنوان التالي:
ftp://rtfm.mit.edu/pub/usenet/
news.answers/internet-services/book-
List

أما قضية حقوق النشر فتحمل الكثير من المشاكل مثل السرقات العلمية أو الأدبية أو التجارية، بسبب عدم وجود قوانين حقوق موحدة، وصعوبة تطبيق قوانين هذه الحقوق بصورة فاعلة. فسرقه البرمجيات على المستوى الفردي أو الدولي منتشرة بكثرة، وكانت إحدى مشكلات الولايات المتحدة الأمريكية مع الصين مؤخراً هو استخدام الصين للكثير من البرمجيات الأمريكية وإعادة إصدارها دون دفع ثمن شراء حق إعادة الإصدار من أصحابها الأصليين. وتعاني من هذه المشكلة أوساط أخرى أيضاً، مثل التسجيلات الصوتية وأشرطة الفيديو وطبع الكتب وغير ذلك، حيث يتم إعادة إصدارها دون الحصول على موافقة أصحابها الأصليين. وبدأت مؤخراً فرنسا وبريطانيا في منح صلاحيات خاصة للشرطة في التداخل على خطوط الشبكات التجارية الخاصة كرادع للغش والخداع الذي يمكن أن يتفشى في المستقبل كأسلوب «الوقاية خير من العلاج».

وبسبب تنوع وسائل العنف والجريمة والإرهاب الداخلي في الدول الصناعية فقد دعا أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي إلى تشديد المراقبة وحماية مراكز المعلومات في البلاد من الإرهاب الداخلي الذي قد يقوم به أحد خبراء الحاسوب مشكلاً بذلك تهديداً خطيراً قد يؤدي إلى توقف شبكات الحاسوب وخطوط التلفونات ومحطات إنتاج القدرة. وتشكلت لجنة من وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ومكتب التحقيقات الفدرالي

يمكن تصنيف مستقبل الإنترنت إلى نوعين الأول إيجاد الحلول للمشكلات الآنية قبل تفاقمها والثاني ابتداء أمور وتطورات جديدة متنوعة.

أولاً: حلول المشاكل الآنية

من أهم مشاكل الإنترنت، التي تتطلب حلاً عاجلاً في المستقبل القريب، هو نشر الكتب دون تصنيف موحد فالتصنيف يساعد الباحث في العثور على الكاتب بيسر ودون الاضطرار للبحث المضني بين آلاف المواقع، إذا كان للإنترنت أن تستوعب نصوص كل ما ينشر حالياً، فمعدل النشر السنوي للكتب المطبوعة في الولايات المتحدة الأمريكية يصل إلى حوالي ٤٥ ألف كتاب وفي اليابان إلى حوالي ٤٠ ألف، بالإضافة إلى آلاف الدوريات والصحف والنشرات. ويتميز نشر الكتب المطبوعة بالتوثيق العالمي الموحد Inter-national Standard Book Number (ISBN) وهو الرقم القياسي العالمي للكتب. أما ما ينشر الآن من كتب على الإنترنت، من قبل شركات عديدة ومتنوعة، فيفتقد إلى التصنيف الموحد مما يجعل الباحث يعاني من مشكلتين: الأولى صعوبة تقصي المواقع العديدة على الإنترنت للعثور على ما ينبغي، فالكتب على الإنترنت تتزايد بنسبة ٢٩٠٪ سنوياً، والثانية الاطمئنان إلى موثوقية النص المعروض. ومستقبل المكتبات العامة ليس أمامه سوى الاستعانة بالنصوص المتعددة hypertext عاجلاً أو آجلاً ولا بد لهذه أيضاً من أسلوب تصنيف خاص مثلما تصنف الكتب بالنظام العشري أو نظام ديوي. ويمكن الحصول على قائمة الكتب الحديثة

ووكالة الأمن القومي للاستعداد واتخاذ الإجراءات اللازمة. فقد حكم على أحد البريطانيين في بداية شهر نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٩٦ بعد اكتشافه محاولاً التداخل على أنظمة شبكات البنوك الحاسوبية، بغية سرقة الأموال من حسابات المودعين، وكان يمكن أن يؤدي عمله إن نجح في انهيار المنظومة المصرفية في بريطانيا. فأي خلل في منظومات الحاسوب سيكون تأثيره أسوأ من أي تفجير لقنبلة في مكان ما.

ومن المشكلات الأخرى المتوقعة لزيادة انتاج النصوص المتعددة الطبقات هو ان انتشار المعلومات المفيدة يصاحبه انتاج النصوص المنحرفة وصعوبة السيطرة عليها وتحديدتها أو منعها، فما هو منحرف للبعض يعتبر اعتيادياً لآخرين في المجتمعات الصناعية التي لا اعتبار عندها للمبادئ القويمة من الأدب والأخلاق السوية. ولن يكون الفساد والريزلة هو ما تخشى منه المجتمعات على صغارها وشبابها، وإنما تفشي وسائل الارهاب مثل كيفية صنع قنبلة من مواد المطبخ أو كيفية سرقة مصرف وفتح الأقفال والدخول على خطوط وشبكات المؤسسات المغلقة. لقد أعلنت سنغابورة في صيف عام ١٩٩٦ عن تطبيقها لاستخدام شبكة حاسوب حكومية وسطية لغرض منع الدخول الى شبكات حكومية وأخرى خاصة بالشبكات التي تتخصص بنشر الفساد والريزلة وأصبحت بذلك أول دولة تصدر منعاً على الإنترنت.

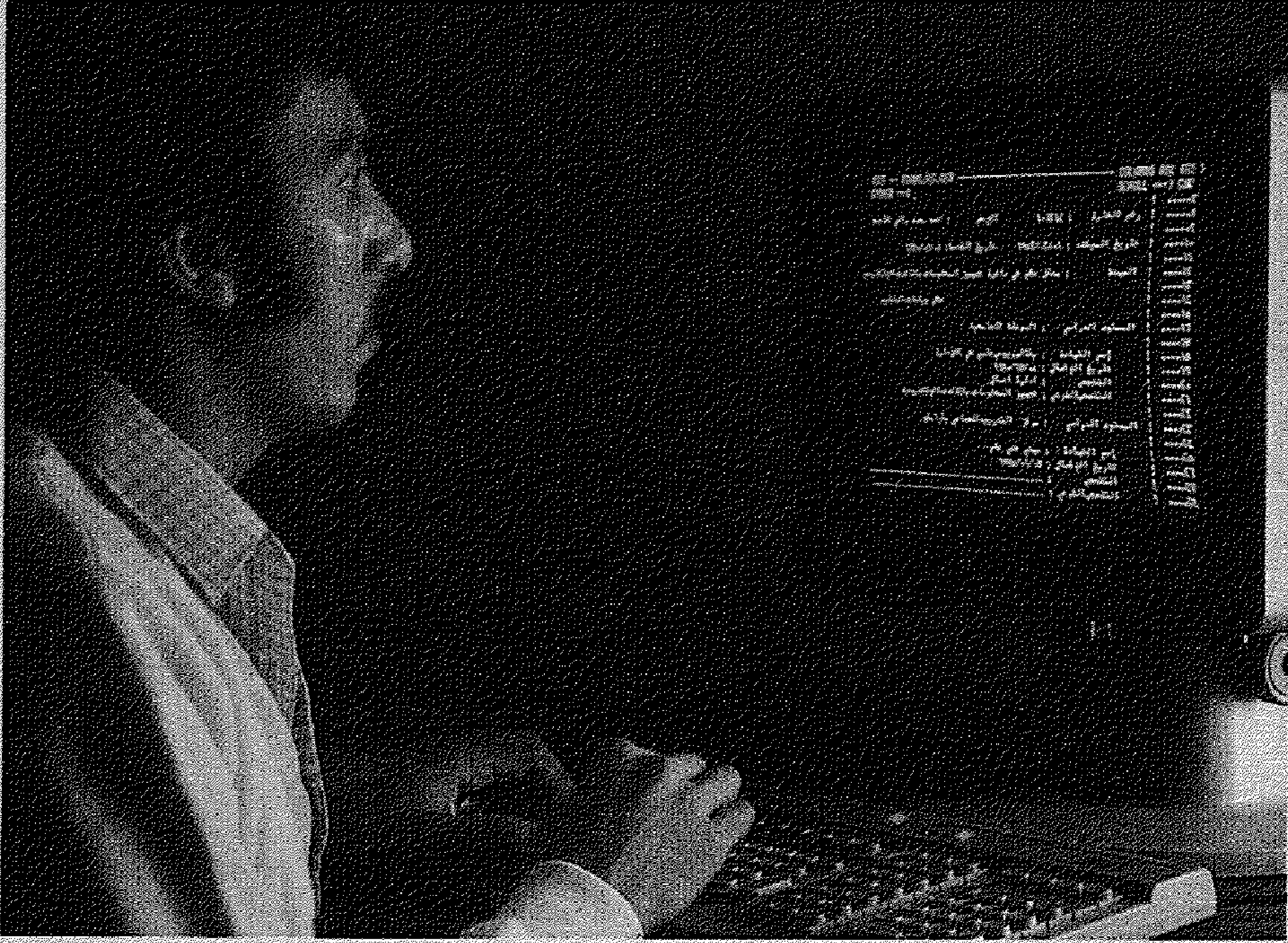
ومن الانتشار الكبير والسريع للنصوص المتعددة الطبقات ستكون مهمة اختيار الموقع والنص من المشكلات التي سيواجهها المستخدم للإنترنت. في الوقت الحاضر تكسب الشركات التجارية الضخمة، بسبب

قدرتها الواسعة في الدعاية والاعلان، الكثير من الزبائن. لذلك يتوقع أن تستمر الشركات الاحتكارية الكبرى في السيطرة على ميدان بيع البرمجيات والأجهزة، فقد ارتفع استخدام برنامج نيتسكيب Netscape من ٠.١٪ الى ٦٤٪ خلال أربعة أشهر من ظهوره وهبط مقابل ذلك البرنامج الذي سبقه، موزاييك Mosaic، من ٧٣٪ إلى ٢١٪ خلال الفترة نفسها، بين آب/ أغسطس الى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤. وهناك من يعتقد أن الشركات الصغيرة ستستمر في ضخ البرمجيات الى «السوق» مسببة نوعاً من الفوضى في الميدان يصعب السيطرة عليه.

ثانياً: التطورات المستقبلية:

من الصعوبة بمكان التنبؤ بما يمكن أن يصل اليه اكتشاف أو اختراع ما في المستقبل، فكثير من الأمور التي بُنيت الآمال الكثيرة عليها انتهت نهاية غير متوقعة بسبب ظهور أمور جانبية أزالَت أهميتها أو أوضحت مساوئها أو كلفتها العالية. ففي الستينيات ومع ابتداء عصر الفضاء انتشرت التنبؤات بأن قاعدة أمريكية على القمر ستكون جاهزة لاستقبال الزوار من عموم الناس قبل عام ٢٠٠١، وتكونت شركات تستحصل من الناس اجور حجز للسفر مقدماً! ولا تختلف الأنترنت عن غيرها في مجال التنبؤ. ويعتقد المتفائلون بأن ثروة المعلومات التي انطلقت لا يمكن أن يوقفها شيء بعد اليوم، وأن العلم والمعرفة والثقافة أصبحت كلها على الأبواب ولا حاجة للخروج للبحث عنها، وليس علينا سوى فتح الباب لإدخالها من خلال شاشة الحاسوب.

وما سيأتي به المستقبل من تطورات جديدة للإنترنت يمكن تصنيفه الى ثلاثة اتجاهات: تقانية وثقافية وتجارية. إن تقانة الإنترنت



الحالية أعلى
بكثير من
مستوى
استخدامها
لذلك فانه يؤمل
ان تتطور
أجهزة
الحاسوب
والبرمجيات
الى مستوى
يستغل التقنية
بكفاءة أفضل.
أما التطورات
الثقافية

والتجارية فالتنبؤ بما سيأتي منهما في
المستقبل القريب أسهل من غيره.

أما التطورات الثقافية:

أن أهم استخدامات الإنترنت التي يخمن
لها الانتشار الواسع بما يجلب فوائد كبيرة
للإنسانية هو استغلالها في التعليم والثقافة وهو
استخدام موجود الآن ولكن بحدود ضيقة.
ويعد ارتباط الإنترنت مع التعليم أهم ارتباط
تقني مع الثقافة خلال القرن العشرين. فقد
استخدم التلفاز للتعليم ونشر الثقافة بصورة
محدودة بسبب انتشار استخدامه في برامج
الترفيه والتسلية، وهو ما وجد له في البدء،
ويتطلب استخدام الإنترنت للتعليم المتفاعل In-
teractive learning بناء قاعدة أساسية in-
frastructure له توفر للطالب إمكانية التعلم
المثمر الحقيقي. فكل وسيلة تعليمية جديدة
تمر في مرحلة اختبارية مبدئية تستنتج بعدها
المشكلات الناتجة منها، ويتم إيجاد الحلول
لتفاديها في المستقبل. فتعلم الطلبة استخدام
الحاسبات الالكترونية calculator حرهم

من قدرة إجراء الحسابات الرياضية البسيطة
بدونها. كذلك يخشى من أن يؤدي استخدام
الإنترنت الى حرمان الطلبة من محفزات
الطرق التعليمية التقليدية، لذلك يجب إقناع
اختصاصي التعليم التقليدي بفوائد التعليم
بالإنترنت ولن يكون ذلك سهلاً أو بمدى زمني
قصير. فثقافة الإنترنت وتعلم معالجة
النصوص wordprocessing أو معالجة
البيانات spreadsheet وطرق الرسم graph-
ics والمحاكاة simulation قد تبهر الطالب عن
استيعاب المعارف الأساسية من اشتقاق أو
استنتاج أو تأليف. وسيكون من الصعب
التحكم بمن سيتعلم وماذا سيتعلم من
الإنترنت دون قواعد محكمة لترتيب الشبكة
التعليمية.

ومن فوائد استغلال الحاسوب في التعليم
تميزه على الإنسان بالصبر وعدم الملل والتعب
من الإعادة عندما يطلب منه المتعلم ذلك. ولكن
في الوقت نفسه ليس للحاسوب قدرة إقناع
المتعلم على تكرار ما لم يتعلمه، فالعامل

الإنساني له تأثير مختلف على المتعلم ويتوجب مصاحبته، في البداية على الأقل، لضمان تصحيح أسلوب التعلم عند المبتدئين.

كذلك يمكن لعديد من الطلبة الاشتراك ليس فقط بنفس المدرس والدروس ولكن أيضاً بالكتب والمراجع التي يؤمل توفرها على الإنترنت، وبذلك ينتشر «التعليم عن بعد» وخصوصاً التعليم المتفاعل حيث يمكن للطلاب أن يسأل ليحصل على إجابة المدرس على سؤاله كما يستطيع إجابة أسئلة المدرس مباشرة من شاشة الحاسوب.

ومما يؤمل أيضاً أن استجابة الطلبة، وبكافة الأعمار، الى استخدام الحاسوب هو تعودهم على متابعة «الشاشة» من خلال برامج التلفاز أو السينما. فلن يجدوا صعوبة في متابعة دروس من على «شاشة» الحاسوب، بل ستكون أكثر إمتاعاً بسبب التفاعل الإيجابي، من إدخال الأسئلة أو الإجابة، بعكس التلفاز الذي يعتمد على التفاعل السلبي أي المشاهدة فقط، وإن كان هناك من يشير بقلق الى أن توافر أجهزة الحاسوب سيكون للمدارس أو المعاهد التي تتمكن مادياً من توفير الأجهزة لطلابها، مما سيزيد الهوة بينها وبين تلك التي لا تمتلك القدرة المالية على ذلك.

ومن خلال برامج التعليم يمكن للجميع التعلم في البيت بعد معرفة طرق استخدام الإنترنت، كما يمكن زيادة اتصال أساتذة الجامعات مع طلابهم من خلال الإنترنت بالحوار وتصحيح الاجابات دون الحاجة الى تحديد مكان وموعد للقاء، ويضع بعض الأساتذة حالياً مواد محاضراتهم في الإنترنت ليستفيد منها الطلبة، فمشكلة الطلبة الاولى

هي تسجيل الملاحظات قبل الانتباه لاستيعاب المادة، ويوفر وجود مادة المحاضرة في الإنترنت تركيز الطالب على فهم المادة واستيعابها أثناء إلقاء الأستاذ لها.

فهناك من يعتقد أن انتشار النصوص المتعددة الذي بدأ عام ١٩٨٦ لأول مرة ارتفع بنسبة ٢٥٪ عام ١٩٩٠ ويتوقع وصوله الى ١٠٠٪ عام ٢٠٠٢. ولكن هناك من يأخذ عوامل جانبية يمكن أن تؤثر في انتشارها، فيعتقد أنها ستصل الى ٥٠٪ عام ٢٠٠١ وإلى ٨٠٪ عام ٢٠٠٥.

إن معظم مستخدمي الإنترنت الحاليين من الباحثين هم من متخصصي العلوم البحتة والفروع الهندسية بصورة عامة، مع ان باحثي العلوم الاجتماعية والإنسانية والفنية لهم الكثير من طرق الاستفادة، فوسائل المحاكاة simulation العديدة تمكن المؤرخ مثلاً من دراسة الكثير من الأحداث التاريخية من خلال إعادة «إحيائها» على الحاسوب، كما يمكن لعلماء الآثار اكتشاف أسرار الحضارات القديمة. فقد تمكن مؤخراً فريق من علماء الآثار والحاسوب في جامعة بريستول البريطانية من إعادة تشكيل الهندسة المعمارية والداخلية لمواقع أثرية قديمة يعود تاريخها الى خمسة آلاف عام. وربما سيتمكن أخيراً حل رموز اللغات المندثرة والتي لا تزال تطالب بحلها. فلكافة فروع المعرفة مواقع عديدة من الفائدة والتطور على صفحات الإنترنت والتردد في استخدامها الآن له أثر سيء على مستقبل الباحث وخلال فترة قليلة.

وستستمر وسائل التسلية الذهنية المتعددة، والتي تأخذ شكل الألعاب الفردية والجماعية مثل الشطرنج والطاولة وغيرها، في الانتشار

لما توفره من راحة ومتعة ذهنية لمستخدمي الحاسوب.

ب - التطورات التجارية

أما الجانب الثاني الذي يتوقع له انتشار واسع، يفوق التطورات الثقافية بمراحل عديدة، فهو الأعمال التجارية من بيع وشراء للمؤسسات والافراد من خلال الحاسوب والإنترنت، وهو ما يحدث فعلاً الآن في الدول الصناعية على نطاق محدود. ويعزى نجاح البيع من خلال الإنترنت الى تطوير إمكانية استخدام طرق المصارف الحديثة في تحويل الاموال من خلال البطاقات المصرفية Bank Card المتنوعة لحساب المشارك.

تستخدم البنوك العالمية حالياً بطاقات عديدة محوسبة computerized يستخدمها الفرد في العديد من التعاملات المالية مثل الشراء وتسديد الضرائب أو قوائم متنوعة، للكهرباء أو الهاتف أو الطبيب وغير ذلك. وتحمل هذه البطاقات الرقم الشخصي للفرد ويتم نقل الأموال مباشرة من حساب الفرد الى الجهة المعنية، حيث يمكن للمشتري دفع ثمن مشترياته من خلال إدخال رقم البطاقة في طلب الشراء. وبذلك فإن عرض البضائع وكل ما تحتاجه عمليات البيع والشراء من تحويل أموال يمكن الآن أن يتم بالإنترنت ليستلم المشتري بالبريد ما تم شراؤه.

ويمكن التوجه، من شاشة الحاسوب وباستخدام الإنترنت، نحو أحد المحلات التجارية والدخول الى أحد أقسامه المختلفة واختيار البضائع المطلوبة ودفع الثمن من خلال شاشة الحاسوب فقط. كذلك يمكن تنظيم شراء بطاقة السفر والتنقل وحجز مقاعد في الحفلات الموسيقية أو السينمائية. حتى زيارات الناس لبعضهم يمكن أن تكون

من خلال زيارة «صفحة البيت» home page لمعرفة أحوال أعضاء البيت وتطوراتهم.

المخاطر الصحية

لا تختلف الإنترنت، كوسيلة اتصالات حديثة، عن غيرها في اكتساب حماس مستخدميها ومحاولتهم تهوين مخاطرها المرئية والخفية. فالهاتف الجوال مثلاً اكتسب الشهرة والانتشار التجاري الكبير بسبب فوائده الجمة، وبالرغم من تكرار التحذير من مساوئ الاستخدام الكثيف لهذا الهاتف. فقرب الجهاز المستلم لموجات كهرومغناطيسية، من مدى معين للطول الموجي، من الآن والدماغ قد يسبب على المدى البعيد تلفاً لخلايا الدماغ. وكما يحصل بسبب تراكم الجرعة الواطئة للأشعة الكهرومغناطيسية، بأمداء أخرى مثل الأشعة السينية وأشعة غاما أو الأمواج فوق الصوتية المستخدمة للفحوص الطبية.

فجهاز الحاسوب يتكون من شاشة لا يبعد المشغل عنها إلا بمسافة تقرب من ثلاثين سنتيمتراً، بعكس شاشة التلفاز التي يجلس المشاهد بمسافة لا تقل عن مترين أو ثلاثة بعيداً عنها. والقرب من شاشة الحاسوب يعرض الفرد الى جرعة من الأشعة لمدة طويلة مقارنة مع تلك الناتجة عن مشاهدة التلفاز. كما أن جلوس المشغل يتضمن استخدامه ليديه، وجلوسه ولمدة طويلة أمام الجهاز يسبب على المدى البعيد الكثير من المشكلات الصحية التي قد يغفل أو يتغافل عنها المستخدم.

كنا أن لتوحيد «الشاشة» لكل من الحاسوب والتلفاز، فتصبح شاشة واحدة يربط اليها التلفاز مرة والحاسوب مرة حسب الحاجة، خطورة تكمن في أن الكثير سيرتبط مع «الشاشة» لمدة طويلة لأنها ستوفر لهم التعليم والتسلية والتسوق وتبادل الرسائل



والحوار
ومشاهدة
الأفلام وقراءة
الكتب. وما
سيتبقى من
يوم الفرد
سيقتصر على
النوم والأكل،
الذي سيتحول
الى النوع
السريع أو
الذي يتم
شراؤه من
الإنترنت ليصل
الى الباب

وبرمجيته بالإضافة الى أجرة استخدام
الإنترنت عائق لذوي الدخل المحدود من
الاستفادة منه وبذلك ستكون طبقة جديدة في
المجتمع تميز مستخدمي الإنترنت من غيرهم.
وسيكونون شريحة مفيدة لعلماء الاجتماع
والنفس البشرية ليجروا عليهم بحوثهم
ودراساتهم في المستقبل.

الإنترنت في العالم العربي

لا يزال عدد الدول العربية التي تستخدم
الإنترنت قليلاً ومحدوداً، وارتباط الدول العربية
بهذه الوسيلة النافعة محتوم إن لم يكن اليوم
فسيكون في الغد القريب إن شاء الله تعالى.
ولا خوف من تأخر الاستخدام ففي ذلك فائدة
تفادي المشاكل الأولية التي تصاحب عادة كل
اختراع أو اكتشاف جديد. ولكن السعي
الحثيث للاستخدام واجب تمليه ضرورة مواكبة
التطورات العلمية في كل حين.
ويتوجب الإعداد الجدي لإيجاد الترجمة

فيأكله المشغل وعيناه على الشاشة. أي
سيتحول الإنسان الى منفذ لما تقوله له
الشاشة بعد أن يرمج حاسوبه حسب
حاجياته: مثل توقيت النوم والأكل وغيره وكل
ذلك سيكون له ثمن من خلال قوائم سيدفع
ثمنها.

بالإضافة الى المخاطر الصحية التي يمكن
تجنبها وتقليل أثارها، هناك مخاطر اجتماعية
تشمل استغلال الإنترنت في نشر الرذيلة
والفساد الاخلاقي بين الصغار والشباب والتي
يصعب تحديدها والسيطرة عليها.

كما ان قضاء المرء جل وقته أمام
«الشاشة» سيغير من العلاقات الإنسانية التي
تربط البشر فيما بينهم. وبالرغم من أن العمل
المشترك مع الآخرين من خلال الإنترنت
يختلف عن العمل في موقع واحد، إلا أن الأمل
في أن يكون التعاون خلال الإنترنت أقوى
إنسانياً وأقل تعصباً وعدوانية مما سبق من
تاريخ البشرية.

إن كلفة جهاز الحاسوب وملحقاته

الانسان القويم، الذي تربى على المبادئ
السمحاء، بسبب من فساد بعض من بني
جنسه.

References:

Nielsen, J. (1995). Multimedia and
Hypertext: The Internet and Beyond,
Boston: AP Professional

Rzepa, H.S. (1996). Science and the
Internet: The World- Wide Web. Sci-
ence Progress,
79(2), 97-117.

Snell, N. (1995). Curious About The
Internet?, Indiana: SAMS Publishing.

Zielinski, T. J and Shubata, M,
(1996) The Education Internet Con-
nection: What shall it be?, TrAC/ Internet
Column, Elsevier Science bv. ([http://
www.elsevier.nl/freeinfo/trac/
intntcol.htm](http://www.elsevier.nl/freeinfo/trac/intntcol.htm))

ملحق جمعيات ومجلات وعناوين مفيدة:
تتوافر العديد من المجالات العامة
والتخصصية التي تبحث مع عامة الناس
والمختصين في موضوع الإنترنت ويمكن
الحصول على قائمة الكتب الحديثة عن
الإنترنت من العنوان التالي:

[ftp:// rtfm.mit.edu/pub/usenet/
news.answers/internet-services/book-
List](ftp://rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.answers/internet-services/book-List)

كذلك يوجد دليل تعريفى للإنترنت من
العنوان التالي:

[ftp://ftp.eff.org/pub/Net info/Big
Dummy/Other versions/big-dummys-
guide.sea.hqx.](ftp://ftp.eff.org/pub/Net info/Big Dummy/Other versions/big-dummys-guide.sea.hqx)

الدقيقة للمصطلحات والاتفاق عليها بين
المختصين بعد المناقشة المستفيضة وكما
يحصل لترجمة المصطلحات العلمية كافة.
ويتوجب تهيئة الكوادر التعليمية لتوفر للناشئة
ومن عمر مبكر تعلم استخدام الحاسوب
ليسهل عليهم الاستفادة من الثورة المعلوماتية
القادمة. كما يتحتم الاستفادة من تجارب
الدول التي قطعت شوطاً في استخدام
الإنترنت من ناحية تفادي مشكلات انتشار
وسائل الفساد والجريمة. فقد تكونت
للإنترنت، مثل أي تقنية أخرى جمعيات
ومؤسسات عديدة ولأهداف مختلفة، واحدة
للتأكيد على حرية الاستخدام والثانية للتأكيد
على «نظافة» الإنترنت من الفساد والرذيلة
وغير ذلك. كذلك تتوافر العديد من المجالات
العامة والتخصصية التي تبحث مع عامة
الناس والمختصين في موضوع الإنترنت.
ويمكن الحصول على قائمة الكتب الحديثة
عن الإنترنت من العنوان التالي:

[ftp://rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.
answers/internet-services/book-List](ftp://rtfm.mit.edu/pub/usenet/news.answers/internet-services/book-List)

كذلك يوجد دليل تعريفى للإنترنت من
العنوان التالي:

[ftp://ftp.eff.org/pub/ Net info/Big
Dummy/Other versions/big-dummys-
guide.sea.hqx](ftp://ftp.eff.org/pub/Net info/Big Dummy/Other versions/big-dummys-guide.sea.hqx)

ولإجابة سؤال «عدو أم صديق؟» لابد من
التذكر أن الإنترنت وسيلة لا تختلف عن باقي
الوسائل والمخترعات الحديثة، فالكل صديق ما
دام استخدامه محدوداً بالإستغلال الصحيح
ويتحول الى عدو عكس ذلك. وقد يشير
البعض الى الصعوبة الفعلية للسيطرة على
هذه القناة، إلا أن الفوائد الثقافية والعلمية
والعميمة للإنترنت لا يجوز أن يحرم منها

وَفِي أَنْفُسِكُمْ
أَفْلا تَبْصُرُونَ

النفس الانسانية

في المنظور الاسلامي

التكوين النفسي للإنسان وذلك في ضوء الآيات سالفة الذكر... يشير ابن كثير - بصدد تفسيره سورة الشمس إلى أن: قوله {ونفس وما سواها} أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، يقول تعالى {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله}، وقال النبي {صلى الله عليه وسلم} «كل مولود يولد على الفطرة» وفي الحديث القدسي في صحيح مسلم يقول المتعال «إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم» وقوله

سبحانه {فألهمها فجورها وتقواها} أي أرشدها إلى فجورها وتقواها؛ أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها. وفي الحديث: أن رجلا من مزينة أو جهينة أتى

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيء قضى عليهم من قدر قد سبق، أم شيء مما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم {صلى الله عليه وسلم} واكدت به عليهم الحجة؟ قال: «بل شيء قد

يقول تبارك وتعالى في محكم آياته «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها» {الشمس / ٧: ١٠}. ويقول عز وجل {إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً} {الإنسان / ٢ و ٣}. ويقول سبحانه وتعالى {ألم نجعل له عينين، ولساناً وشففتين، وهديناه النجدين} {البلد / ٨: ١٠}.

الآيات السابقة رسمت - على نحو خاص - حقيقة التكوين النفسي للإنسان،

وهي مرتبطة ومكملة للعديد من آيات الرحمن، كما في قوله جل وعلا {إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين، فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي

فقعوا له ساجدين} {ص / ٧١ و ٧٢}، وقوله {إن النفس لأماراة بالسوء} {يوسف / ٥٣}، وقوله تبارك {النفس المطمئنة} {الفجر / ٢٧}.

والحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هو أول من تحدث في طبيعة

بقلم:

د. رضا عبد الحكيم
اسماعيل رضوان

- مصر -

الكاتب في سطور:

- دكتورة في العلوم الجنائية من أكاديمية الشرطة.
- رئيس قسم الشؤون القانونية والبحوث.
- * له عدة مؤلفات منها:
- البث المباشر وتأثيره في تكوين السلوك الإجرامي.
- جرائم التقدم التكنولوجي في السياسة التشريعية المعاصرة.
- التهرب الضريبي بين الاسلام والفكر المعاصر.
- المسؤولية الجنائية عن جرائم الافراد بالبيئة.
- الجريمة الارهابية وحقوق اللجوء السياسي.

أحسن
عملاً
فجعلناه
سميعاً
بصيراً
أي جعلنا
له سمعاً
وبصراً
يمكن
بهما من
الطاعة
والمعصية،
وقوله جل
وعلا:
{وهديناه
السبيل}
أي بيناه له
ووضحناه
وبصرناه

به كقوله تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، وكقوله تبارك {وهديناه النجدين} أي بينا له طريق الخير وطريق الشر، وفي قوله «إنا هديناه السبيل» تقديره: فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد. كما جاء بالحديث الصحيح «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها» (أخرجه مسلم في صحيحه)، وقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عن لسانه إما شاكراً وإما كفوراً».

قضى عليهم» قال: ففيم نعمل؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها؟ وتصديق ذلك «ونفس وما سواها، فآلهمها فجورها وتقواها» (رواه أحمد ومسلم) . . . وقوله تعالى {قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها} المعنى قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الاخلاق الدنيئة والرزائل، كقوله: «قد أفلح من تزكى». وذكر اسم ربه فصلي» «وقد خاب من دساها» أي دسساها أي أخلها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل. سمع ابو هريرة رضي الله عنه النبي {صلى الله عليه وسلم} يقرأ: «فآلهمها فجورها وتقواها» قال: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها» (أخرجه ابن ابي حاتم).

روى الامام أحمد: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: «اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل، والهزم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم انى اعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها» (أخرجه أحمد ومسلم).

والرحمن القائل وقوله الحق {إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبئليه فجعلناه سميعاً بصيراً. إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً} . . . قوله «نبئليه» أي نختبره كقوله جل جلاله {ليبلوكم أيكم

يقول «يا أيها الناس انهما النجدان: نجد الخير، ونجد الشر، فجعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير» (اخرجه ابن جرير).

ذاتية التكوين الانساني

النفس تضم داخل كيائها - طبقا لآيات الذكر الحكيم وأحاديث المصطفى {صلى الله عليه وسلم} شيئين متقابلين، هما: الفجور والتقوى .. والنفس الانسانية على اطلاقها مستعدة استعداداً طبيعياً للهدى والضلال، قابلة للخير والشر .. هكذا صاغها الخالق تعالى، من نفحات السماء ومن تراب الارض .. والسعيد من الناس من زكى نفسه وطهرها فخلصها من تراب الارض .. واطلق روحه من أسر المادة، فحلقت به في عالم الحق والنور .. اما الشقي فهو من دس نفسه، اى اخفاها، وغطى عليها بكثافة المادة وظلامها ..

فالكيان البشرى كيان مزدوج الطبيعة. لذلك يتفرد الانسان عن سائر مخلوقات هذا الكون .. فالحيوان من جانب والملك من جانب - هما المخلوقان اللذان تجمعهما بالانسان صلات - كلاهما ذو طبيعة واحدة ووجهة واحدة.

فالحيوان: حتى في اعلى درجاته التى تشابه الانسان في تركيبه الجسماني مخلوق ذو طبيعة واحدة، تتحدد بحدود جسده وتصرفاته الغريزية .. جسمه هو مصدر طاقته، توجهه غرائزه .. وسلوكياته الغريزية هى عالمه بأكمله .. يأكل ويشرب ويؤدى الجنس بدافع جسدى بحت، لا

يقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «ما من خارج يخرج الا ببابه رايتان: راية بيد ملك ، وراية بيد الشيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وان خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته» (اخرجه الامام أحمد) .. ورب العزة حين يقول: «ألم نجعل له عينين» أى يبصر بهما و«لسانا» أى ينطق به فيعبر عما فى ضميره «وشفتين» يستعين بهما على الكلام، واكل الطعام وجمالاً لوجهه وفمه .. يقول {صلى الله عليه وسلم}: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم ، قد انعمت عليك نعماً عظاماً، لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك ان جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء ، فانظر بعينيك إلى ما احللت لك، وان رأيت ما حرمت عليك، فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً، فانطق بما أمرتك، واحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً، فأصّب بفرجك ما احللت لك ، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يا ابن آدم انك لا تحمل سخطي، ولا تطيق انتقامي» «وهديناه النجدين»: الطريقين، قال ابن مسعود: الخير والشر، سمع ابو رجاء الحسن يقول: «وهديناه النجدين» قال: ذكر لنا أن نبى الله {صلى الله عليه وسلم} كان

الفذة المميزة... هذا عن حقيقة تكوين الانسان.

تحليل الميل الذاتى

للنفس الانسانية

يتحكم في السلوك البشرى مجموعة من الغرائز، كغريزة القتال والدفاع، وغريزة الاقتناء، والغريزة الجنسية. غريزة القتال والدفاع: هى الميل الفطرى إلى الاقدام تارة والاحجام تارة أخرى، سواء اكان الاقدام في شكل قول أو فعل... وغريزة الاقتناء: وهى ميل فطرى إلى الاحراز والتملك... والغريزة الجنسية: هل ميل فطرى للرجل إلى المتعة بالمرأة أو للمرأة إلى المتعة بالرجل.

عموماً الغريزة فطرة في الانسان تولد لديه الشعور بحاجة مادية او معنوية، ويكون هذا الشعور مصحوباً بألم تحس به النفس طيلة بقاء تلك الحاجة معلقه دون اشباع، ويقطع الألم لدى الانسان اتزانه الشعوري، فيصاب بالانفعال، ويصبح حرص الانسان على رفع هذا الألم عن نفسه هو المحرك إلى السلوك اللازم للخلاص من الألم.

والنفس الانسانية مكونه من ثلاثة عناصر هي: الفكر والشعور والارادة... وأي عيب قد يصيب أي عنصر من العناصر سائلة الذكر، يؤدي مردوده في السلوك الناشئ عن أي غريزة من الغرائز السابقة... والعيب يأخذ إحدى صورتين، اما خلل كمى أو شذوذ كيفي... يقصد بالاول: أن يكون مقدار الشعور المتولد من

ادراك فيه لهدف، ولا تصرف فيه فى وسيله، يأكل حين يدفعه الجوع. ويمسك حين تقرر له الغريزة حد الاكتفاء. وينشط جنسيا في موسم معين محدد، ولا يختار وقته، ولا يحدد هدفه ولا يدركه، ولا يختار فيه سلوكا معيناً غير ما توحى له غريزته. ثم يكف عن هذا النشاط جملة في موعد كذلك محدد، لا يختاره هو ولا يدرك سره، ولا يملك كذلك مخالفته. فتصرف الحيوان نابع من غريزته لا يملك مقاومتها، ولا يفكر في مقاومتها كذلك... فهو بحكم تكوينه مستسلم لما تمليه عليه غريزته. انه مخلوق ذو طبيعة واحدة وتعمل في اتجاه الجسم وغرائزه المخصوصة.

والملك: من وصفه الذى نعرفه به وان كنا لا نراه، مخلوق ذو طبيعة واحدة كذلك، وذو اتجاه واحد. مخلوق يعيش في نطاق روحه ويطيع توجيهاتها بلا ارادة ذاتية ولا تصرف ذاتي. فالملائكة مخلوقات مفضورة على الطاعة المطلقة، يقول العليم الحكيم «لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون» (التحریم/٦)... والملك ذو غرائز روحية تعمل بوحياها في كل امر دون تفكير أو اختيار... أي أنه مخلوق ذو طبيعة واحدة ويعمل في اتجاه الروح.

اما الانسان، فهو وحده - فيما نعلم من الكائنات - الكائن المزدوج الطبيعه القادر على اكثر من اتجاه... وهذا الازدواج هو طابع كيانه كله. وهو متغلغل في كل اعماقه، فلا يوجد عمل ولا تصرف ولا شعور ولا فكر لا تبدو فيه هذه الظاهرة

الغريزة متجاوزاً القدر الواجب توافره لدى الانسان السوي العادي، كالطمع في غريزة الاقتناء، والتهور في غريزة القتال والدفاع، والشراسة في تشهي الجنس في الغريزة الجنسية. وقد يتخذ الخلل الكمي صورة النقصان لا الافراط، يعنى ان يكون مقدار الشعور المتولد من الغريزة اقل من القدر الواجب توافره لدى الشخص السوي، كالتبذير في غريزة الاقتناء، والجبن في غريزة القتال والدفاع، وضعف القدرة الجنسية في الغريزة الجنسية، والزهد في الحياة مما قد يؤدي إلى الانتقاص في غريزة الكيان والبقاء. . . في حين يقصد بالثاني وهو الشذوذ الكيفي: ان يتبع صاحب الغريزة في سبيل اشباعها اسلوبا يغير ذلك الذي يستخدمه الشخص السوي العادي، كالتظاهر بأكثر من الحقيقة في غريزة الكيان والبقاء، واستحلال مال الغير في غريزة الاقتناء، والقتال من اجل الباطل افتراء وتجنياً وهذا في غريزة القتال والدفاع، والساديزم اي استئثار اللذة في تعذيب الآخر.

والحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم} هو الانسان الوحيد الذي سواه رب العزه ولا يكمن في تكوينه البشرى - عليه الصلاة والسلام - اي عيب او نقيصة . . تصديقاً لقوله تبارك وتعالى {الذى خلقك فسواك فعدلك في اى صورة ما شاء ركبك} (الانفطار / ٧ و ٨) . . اما سائر البشر فإنهم مهيوون لإرتكاب الشر والعصيان متى سنحت الفرصة . . وهنا

. . هنا فقط تبرز قيمة تقوى الله ليحظى الانسان بالفلاح بتزكيتها، فلا يسقط في الهاوية، يقول جل شأنه {كل نفس بما كسبت رهينة} (المدثر/ ٣٨).

فالنفس الانسانية مخصوصه - بحكم خلقتها - بالشر الداخلى الكامن المتوارى، يقول رب العرش الكريم {ان النفس لأماره بالسوء} (يوسف/ ٥٣) . . هذا الشر يتحرك في شكل معصية من المعاصي المردية الناشئة عن الخلل الكمي او الشذوذ الكيفي في غريزة من الغرائز . . فنجد هناك القتل والسرقة والزنا وغير ذلك من أشكال ومظاهر الاثم والذنوب والافتئات على حقوق الآخرين.

يرى اصحاب المذاهب المادية التى استصغرت حقيقة الروح وحقيقة ارتباط الروح بالجسد في اى نشاط يقوم به الانسان - ان هناك غرائز ثانوية سامية . . تلك الغرائز هى التى تحول دون جنوح الانسان إلى الشر والاجرام . . تفرز هذه الغرائز في نفسية صاحبها الفضيلة ، فيحرص على كيان الآخرين ويسلك سلوكاً مستقيماً - بفعل هذه الغرائز - فيكون ذا لطف مع غيره في غمرة اشباع غريزة الكيان والبقاء متزناً في ممارسته غريزة القتال والدفاع، ميالاً إلى البذل بالاضافة إلى النيل، وإلى العطاء إلى جانب الاخذ في استخدام غريزة الاقتناء، ومعتدلاً غير متبذل في ارضاء غريزة الجنس .

ويقرر الفكر المثالي أو الواقعي - كما ترى الفلسفة الاوروبية الناقصة - ان تلك

الغرائز الثانوية المهدبة انما هي ناتجة عن العقل والتربية والتهذيب... الا ان هذه الفلسفة لم توضح مصدر الخير الحقيقي ومنبعه في الشخصية الانسانية... والذي يلعب دوره الاكيد في منع طغيان الغرائز الاساسية... فالفلسفة الوجودية قد قامت على خطأ منهجي وحيث فشلت فشلا ذريعاً في بيان اساس النزعة الخيرية في النفس الانسانية... ذلك انها اخفقت في تحديد قوى النفس الخارجية، فارتد مدلولها إلى الجسد مرة أخرى.

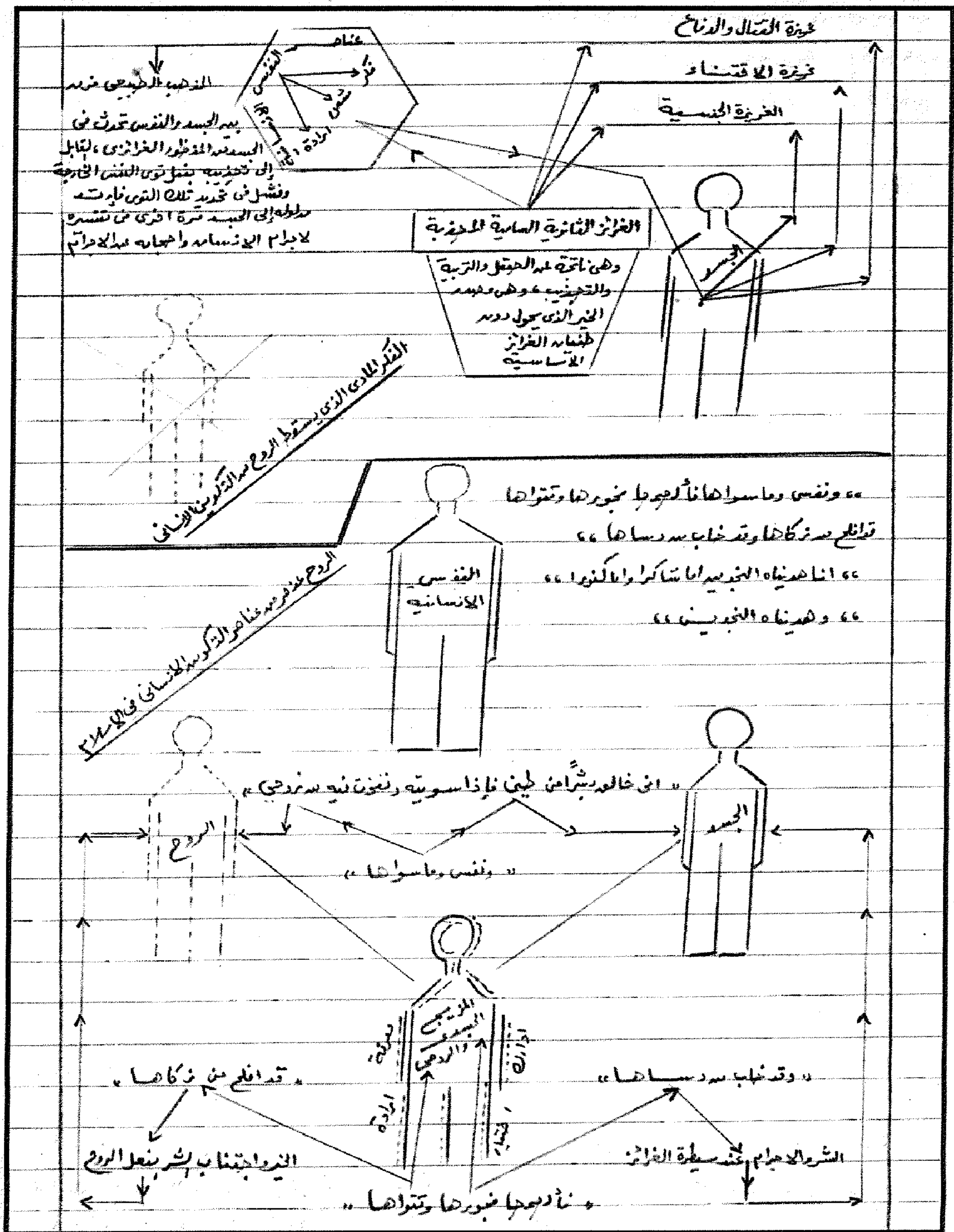
يقول الحق جل وعلا {إِذْ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (ص ٧١، ٧٢). فالانسان قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، قبضة من طين الارض تتمثل في الجسد بتفصيلاته العضوية، ونفخة من روح الله تتمثل في الجانب الروحي للإنسان... وهي منبع الخير والبر والرحمة والتعاون والاخاء والمودة والحب والصدق والعدل والايمان بالله وبالمثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع الحياة... كل هذا نشاط روحي، او نشاط قائم على قاعدة روحية... فالنشاط الجسماني والنشاط الروحي يؤديهما الانسان بكيانه المزدوج الموحد، لا بأى عنصر من عنصريه منفصلا عن الآخر ومستقلا عنه... فالانسان يستجيب لنفس الدافع القهري الذي يدفع الحيوان لتناول الطعام، ولكنه - فيما بين الدافع والاستجابة - يعبر طريقا

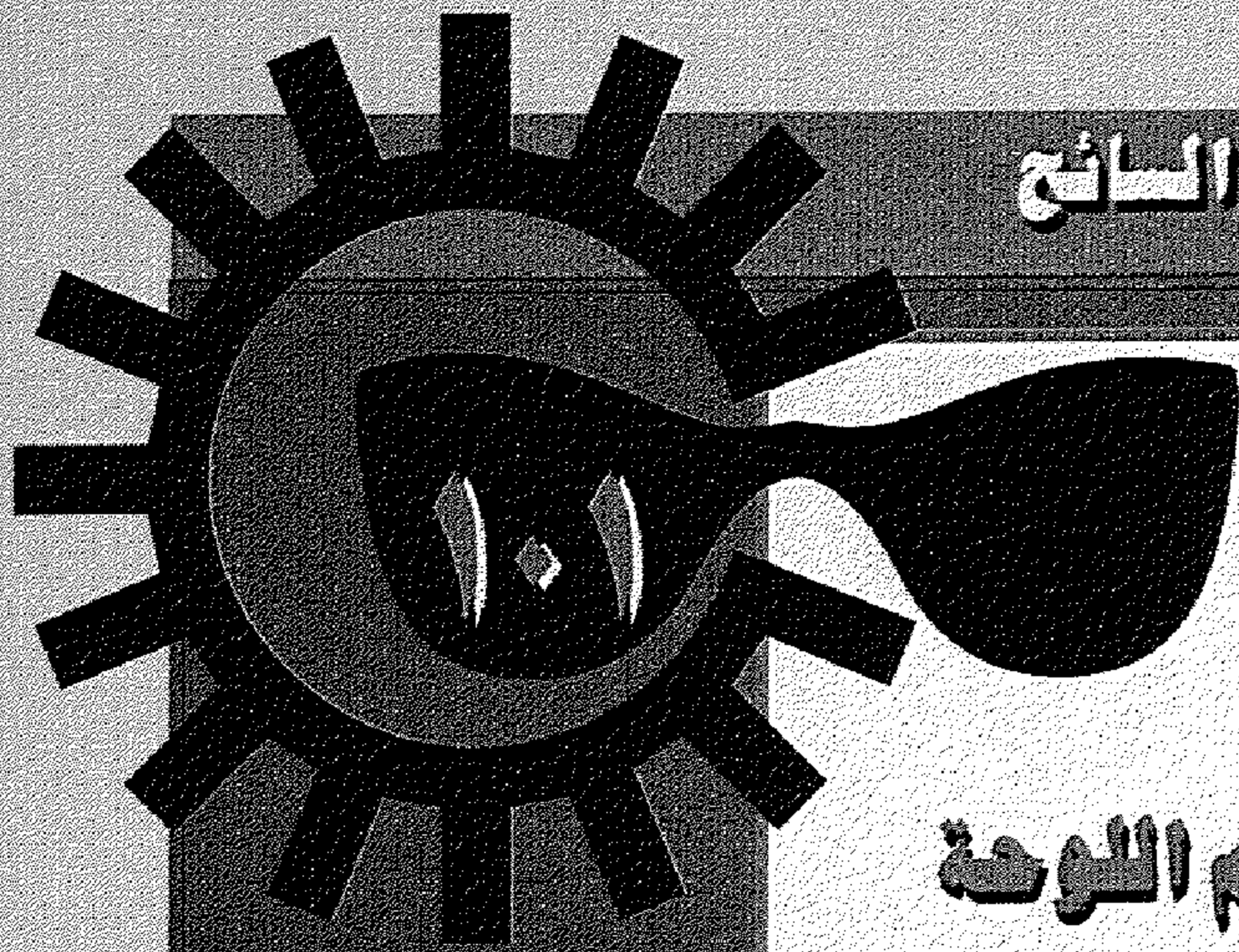
طويلا مملوءا بالاختيارات... نشأ عن وجود الروح وامتزاجها بالطين وتلبسها به «فالارادة» و«الاختيار» صفتان من صفات الروح، تتمثلان في صورتهم المحددة المقيده في الانسان، بمقدار ما تطبق قبضة الطين ان تقتبس من روح الله.

ان قيمة الانسان نشأت حين تلبست نفخة الروح بقبضة الطين فغيرت طبيعتها فَشَقَّتْ بالمعرفة والادراك والارادة والاختيار... هذا المزاج المجتمع المترابط من الطين والروح اذا كانت الغلبة فيه لحكم الجسد طغت الغرائز وظهر الشر وتجسمت الجريمة، ذلك ان من دس نفسه انما قد طمس على روحه بعتامة الطين فخنقها وكبت اشعاعها وهي التي تمنح اساساً الطين خفة وشفافيه وانطلاقاً... وهذا هو مصدر الشر في النفس الأمانة بالسوء كما وصفها الحق جل وعلا... اما حين تحكم الروح هذا الكيان المجتمع المترابط - بفعل تقوى الله - مؤدى ذلك ضبط النشاط الانساني... فسيطرة الروح هي التي تدفع إلى البذل والايثار، لأنها هي المنوطة بالخير... فروح الله لها تكون الا خيراً... تسوى ميزان الانسان الذي يحمل الامانة... وخير ختام قول الله المتعال:

{قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا. وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} (الاسراء/ ٨٨ و٨٩).

النفس الإنسانية في المنظور الإسلامي





مجلة السائح مجلة السائح مجلة السائح

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطع وجوه الناس
السائح يستقرىء الملامح ويرسم اللوحة

لقطات

على

المروضة



الديار الحبيبة

مشاهدات

من فتيان

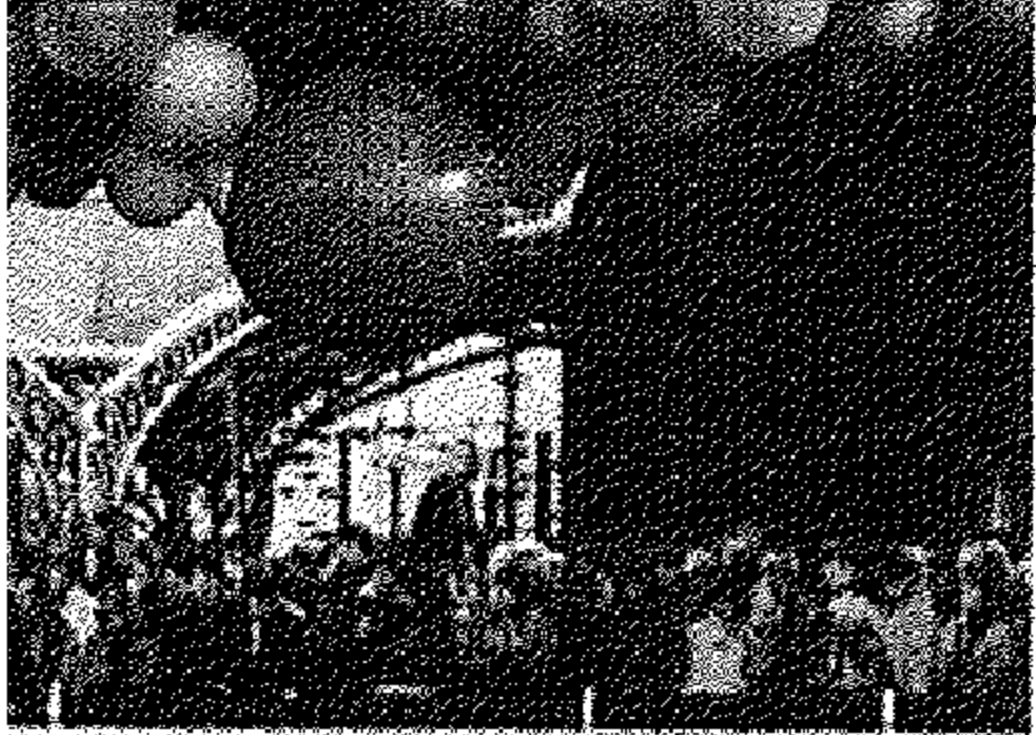
في



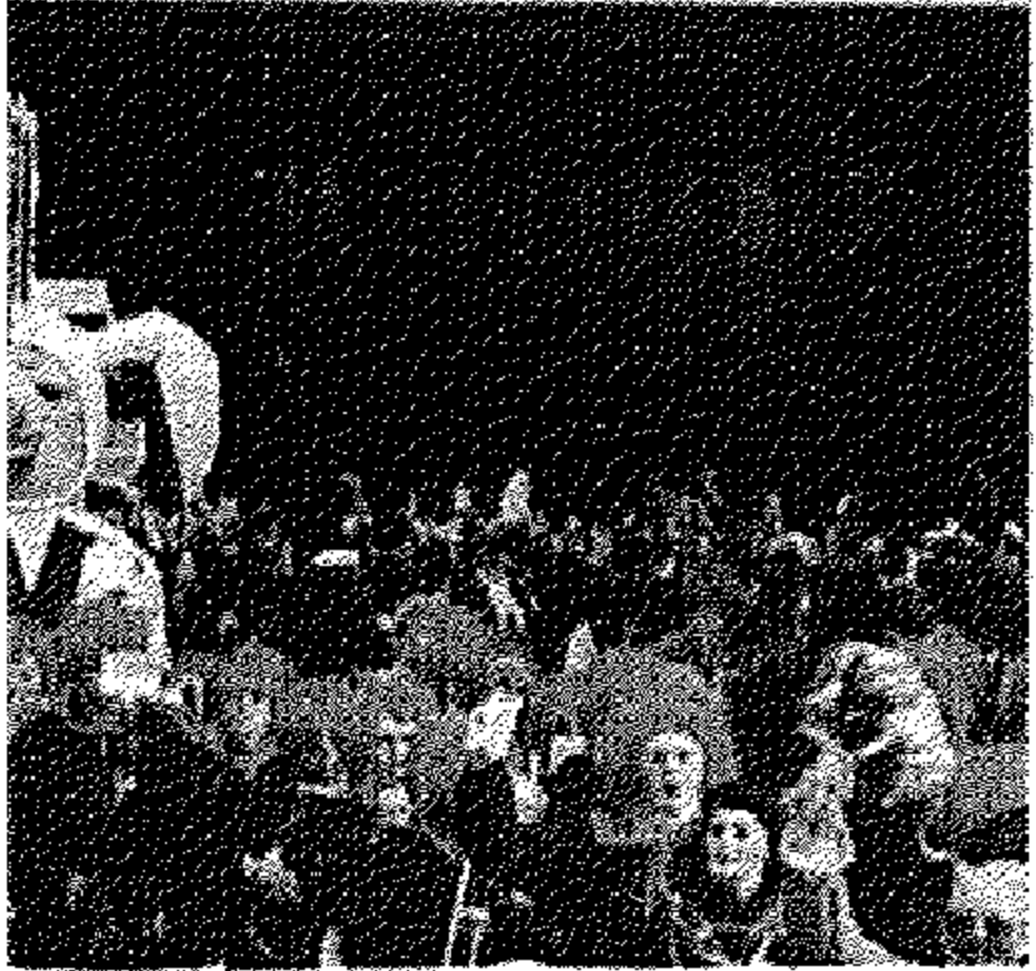
في هذا العدد من



على الموضة



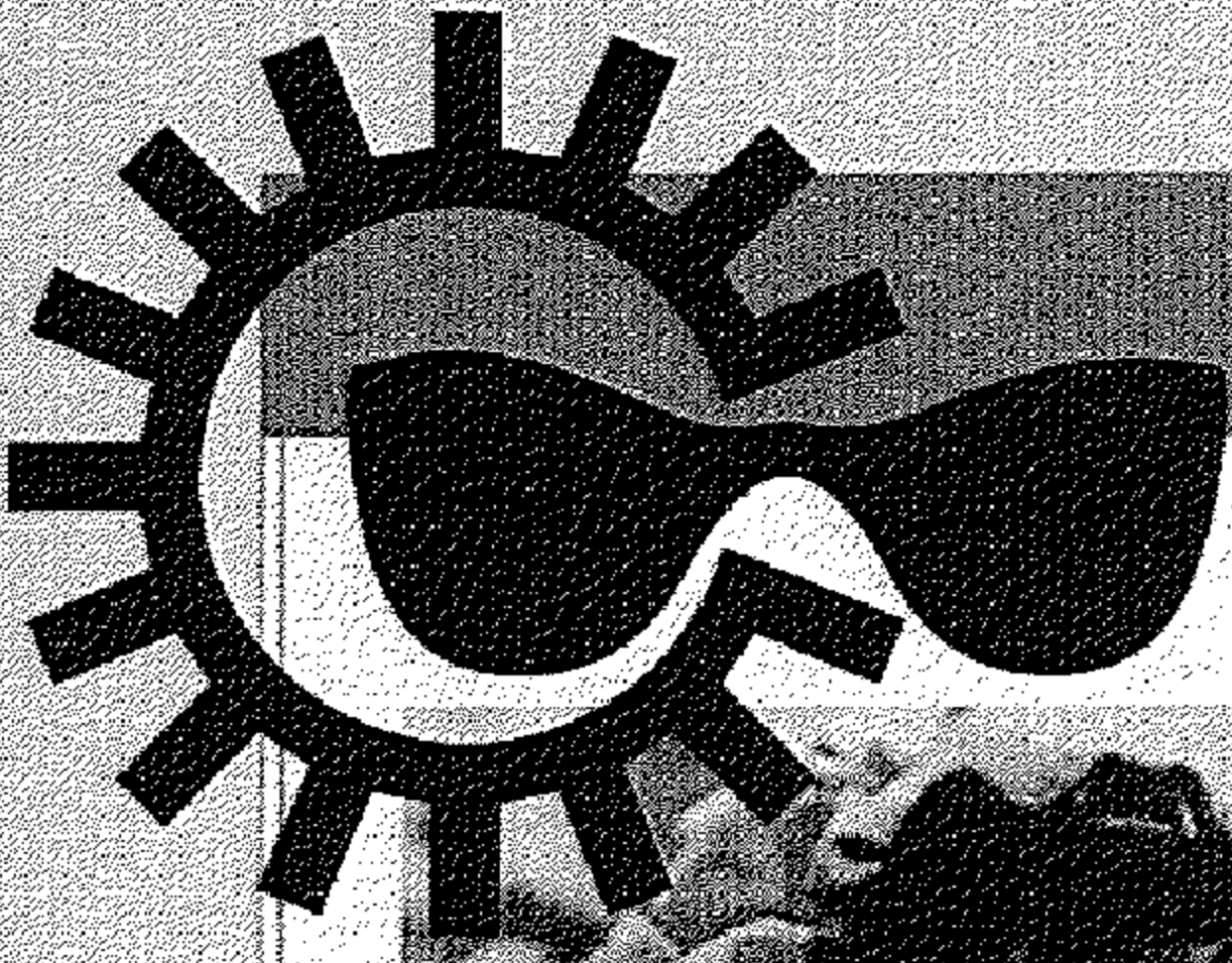
WIE ET ES



هذا العالم المشحون بالغرابة .. فيه من السلوكيات ما يدعو للعجب .. رغم ما يلف العالم اليوم من دمار وكوارث ومصائب، تجد أناساً هناك لهم هموم لا تخطر على بال أحد .. كائنك بهم من عالم آخر غير عالمنا هذا .

(بيتسي) و(توبي) كلبان مدللان جداً لرجل وامرأة من فرنسا .. لقد أعياهما الهم والغم، وركبهما البؤس والشقاء من عدم وجود ملابس تليق بكليهما المدللين في السوق .

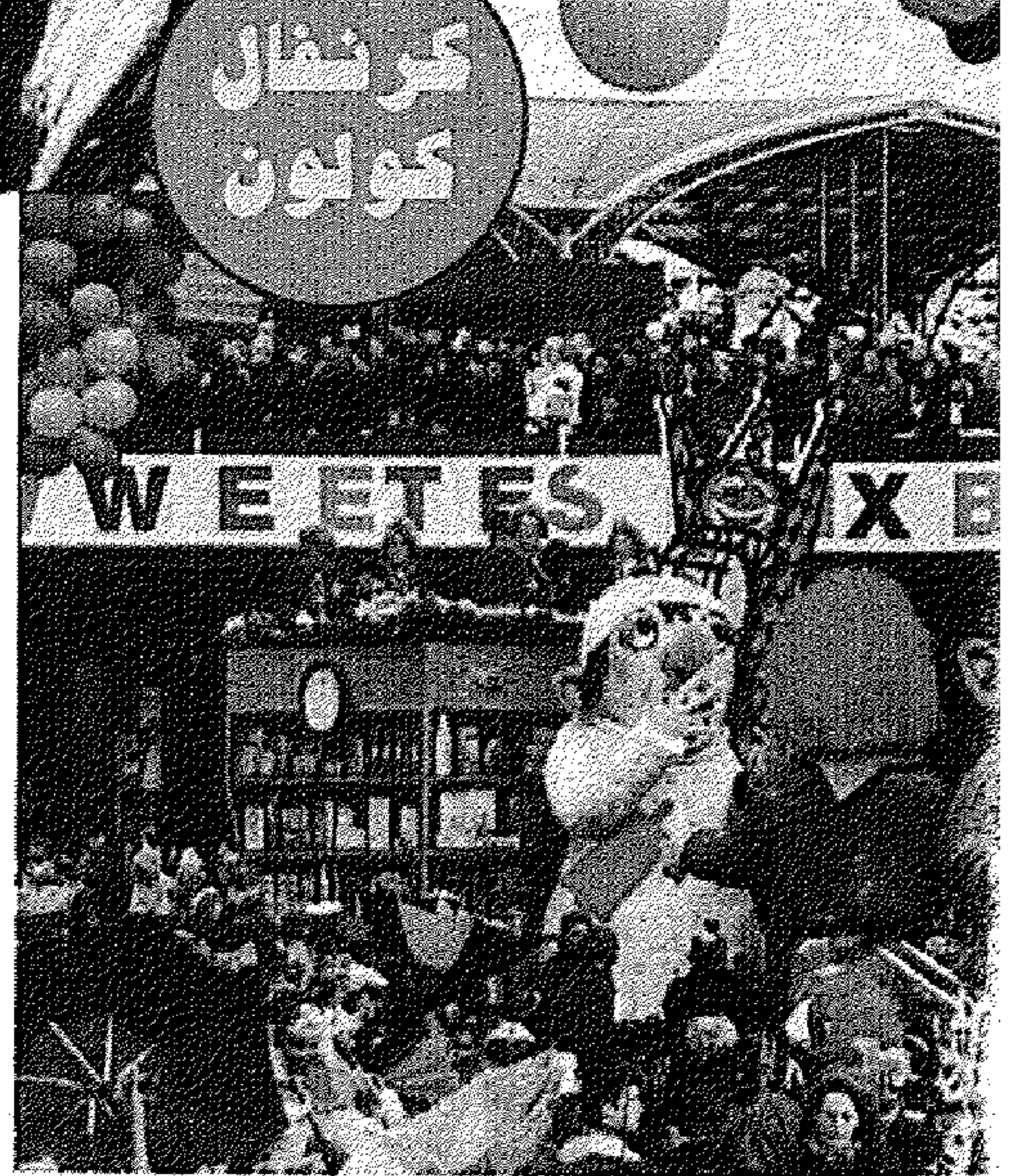
وأخيراً توصلا إلى تصميم موضة خاصة بكليهما .. وابتهجا بالتصميم الرائع، وقررا حل مشكلة الأزياء لكل الكلاب المماثلة . وكانت النتيجة أن أسسا مصنعاً خاصاً لأزياء الكلاب و(مافيس حد أحسن من حد) .

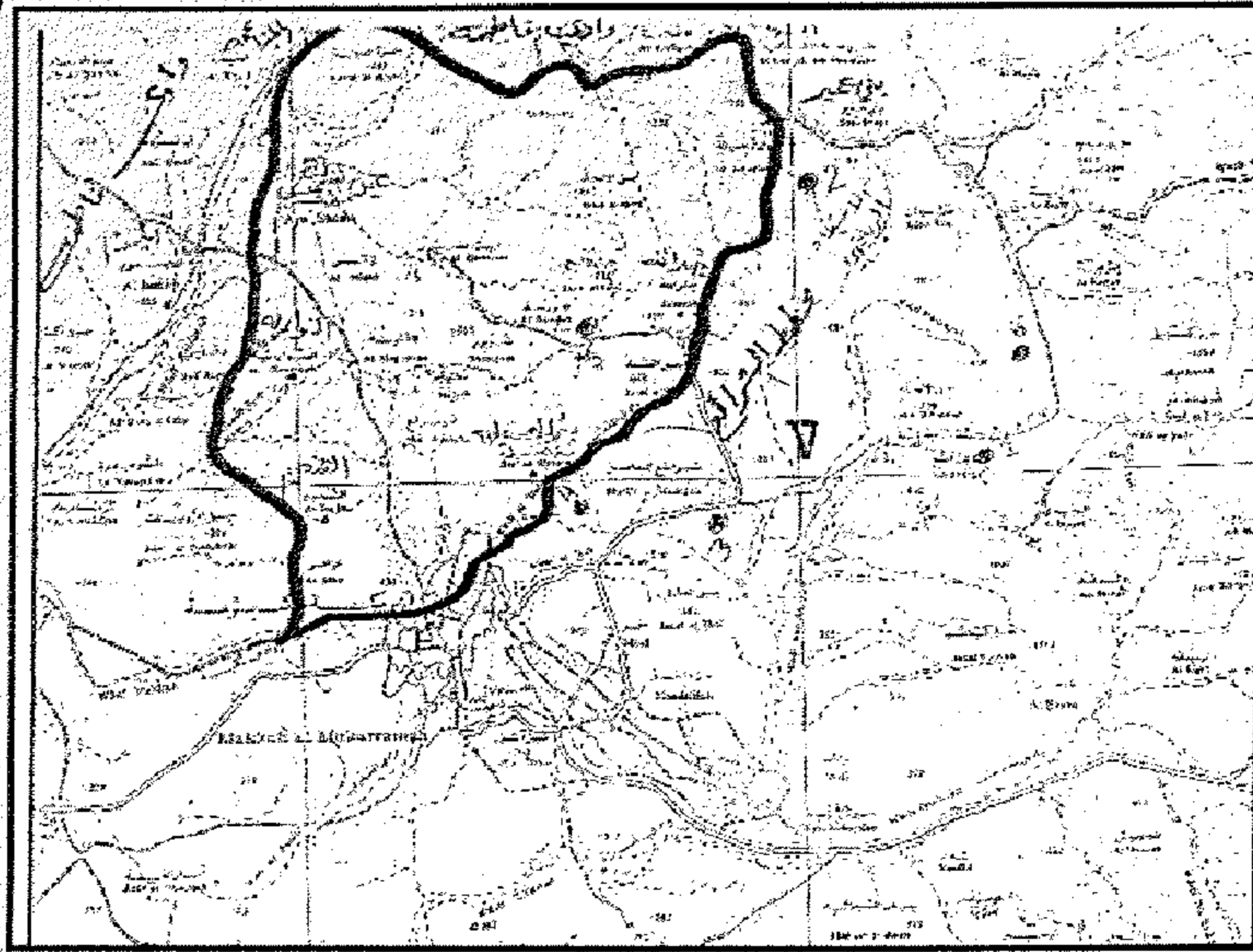
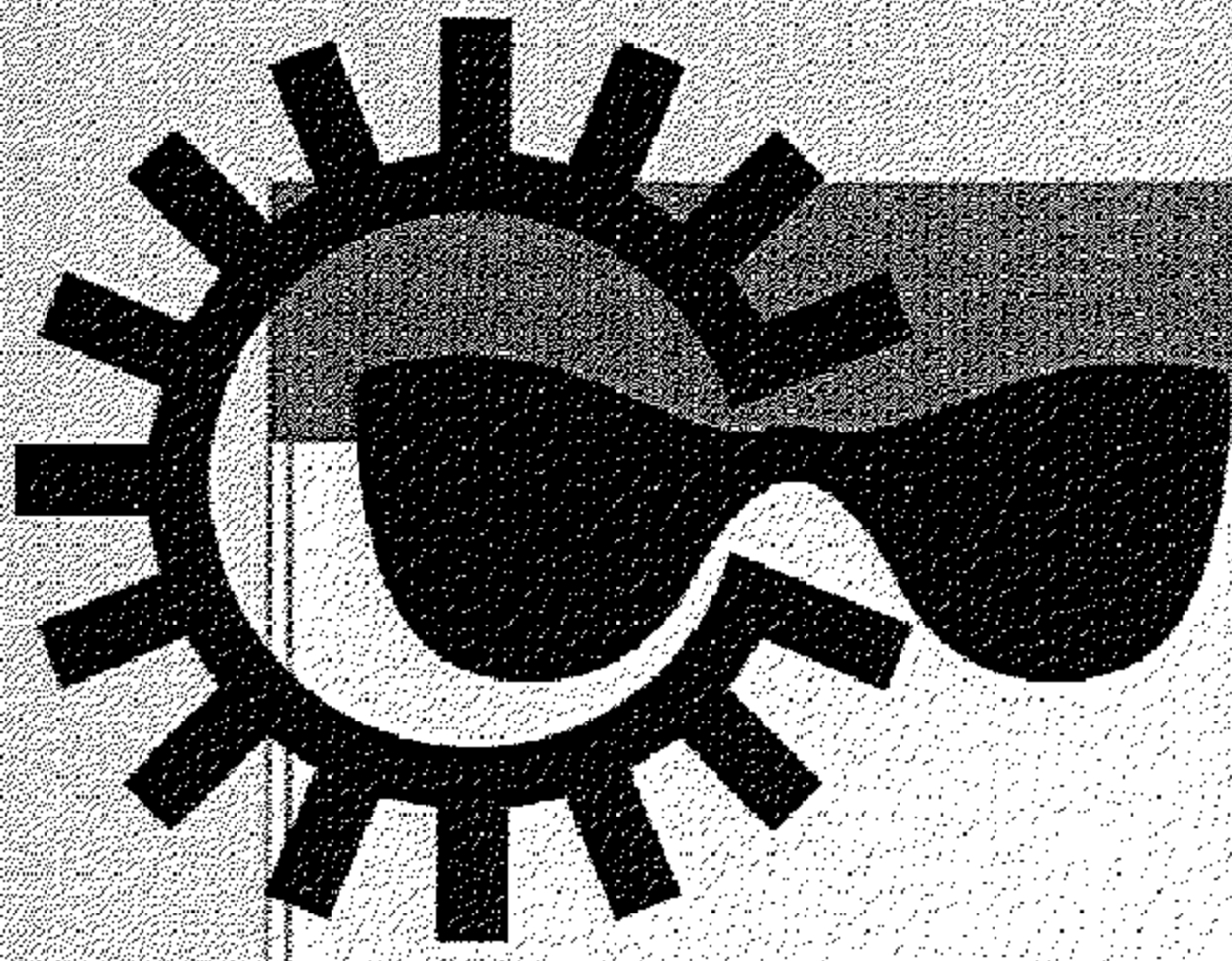


في المدة الممتدة من نهاية شهر فبراير وإلى بداية مارس من كل عام، تمتد احتفالات ومهرجانات الفرح والزهور والمرح في مدينة كولون القديمة الشهيرة بـ (الكولونيا) المهرجان تنظمه (١٢٠) جمعية، على أنغام ثمانية آلاف عازف، و٣٥٠ ألف باقة ورد... الكل يرتدي الأقنعة ذات الأشكال الجذابة والمدهشة المثيرة.

يطوف الموكب أنحاء المدينة ناثراً في أرجائها كل معاني البهجة والسرور والحبور... والمهرجان يغلب عليه الشكل الاجتماعي.

ولعل أطرف ما في هذا المهرجان أن النساء قد خصص لهن يوم يدخلن فيه قصر الرئاسة حيث يصبح الأمر والنهي بيدهن في هذا اليوم.





- خريطة لمكة المكرمة توضح حدود قبيلة لحيان.

٢ - توزيع

غنائم

غزوة

حنين:

في قرية
تعرف اليوم
(بجعرة) (بجعرانة)
تبعد عن مكة
المكرمة
بحوالي
٢٥ كم، وبها
قسم رسول

رضي الله عنهما .
وهناك قول بأن قبره
بالخرمانية مما تلي ربيع
الحجون [١١].

٧ - مبرك الناقة

الناحية:

يقع بمنطقة
الرشيدي في مكان يعرف
باسم (القنبة) يسار
الذاهب الى السيل وتبعد عن مكة المكرمة بحوالي
٢٥ كيلا وسط واد يتسع عندها ويضيق كلما
انحدرا غرباً، ويروي سكان تلك الناحية أن
صخرة تشبه الناقة وهي جالسة ورقبتها على
الأرض قيل أنها ناقة رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} بركت هناك عندما كان عليه السلام عائداً
من غزوة حنين وهو في طريقه الى الجعرانة لتوزيع
الغنائم فرفضت القيام فدعا عليها [١٢].

٨ - محبس أبي سفيان:

يقول صاحب (المناسك) وبعد الجناز بميل،
خشونة وصعوبة، وطريق ضيق بين الجبلين، يقال
إنه الموضع الذي أمر رسول الله {صلى الله عليه
وسلم} العباس أن يحبس ابا سفيان حتى تمر به
الجيوش [١٣]، وعن ابن عباس قال: فلما نزل
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بمر الظهران،
وكان من قصة أبي سفيان ما كان تلك الليلة قال
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} للعباس حين
اسلم أبو سفيان: انصرف يا عباس، واحبس عند
خطم الجبل، بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود
الله [١٤].

قلت هذا المكان يقع بين جبلين صغيرين
تجدهما بعد مدخل قرية عين شمس الرئيسي على
طريق مكة المدينة السريع عندما تتعداه تشاهد

الله {صلى الله عليه وسلم} الغنائم بعد غزوة حنين
والطائف [٨].

٤ - غوطة الصحابي عبد الله بن الزبير:

بستان كان به ثمر وزرع للصحابي عبد الله بن
الزبير يقع الآن شمال شرق النوارية ويعرف باسم
(الروضة) بجوار بلاد السنوسي ويبعد عن
الجعرانة من ٤ - ٥ كم تقريباً. كانت تعرف باسم
(ثري) [٩].

٥ - قبر أم المؤمنين ميمونة

بنت الحارث رضي الله عنها:

يوجد هذا القبر بحي النوارية يسار الذاهب
الى المدينة المنورة محاط من كافة جوانبه بسور
يبلغ ارتفاعه ما يقارب ٥١م. ويبعد عن المسجد
الحرام بستة عشر كيلا وأحد عشر كيلا من عمرة
التتعيم [١٠]، ومن المصادف أنها توفيت في المكان
الذي بنى بها رسول الله فيه.

٦ - قبر الصحابي

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

يقع بحي الشهداء بالزاهر يبعد عن طريق مكة
المدينة السريع بحوالي ٥٠٠م تقريباً، وهو عبارة
عن قبر عليه سور بعض اجزائه متهدمة ويزعم
المجاورون له بأنه قبر الصحابي عبد الله بن عمر

شبيبة قالت: حدثتنا عائشة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يُعمرها من التنعيم. وهو دون مكة بأربعة أميال [١٧]. قلت منه الآن يعتمر أهل مكة ومن أتى من خارجها ماراً بالتنعيم، وقد جدد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها فأصبح مسجداً رائعاً فريداً من نوعه.

١١ - منزل قيس بن ذريح الكناني صاحب لبني:

يقول صاحب المناسك: ويسرف منزل قيس بن ذريح الكناني صاحب لبني وفيه يقول قيس بن ذريح، ونقل لبني حين تزوجت [١٨]:

الحمد لله قد أمست مجاورة
أهل العقيق، وأمسينا على سرف
حي يمانون، والبطحاء منزلها
هذا - لعمرى - شكل غير مؤتلف
قد كنت آليت جهداً لا أفارقها
أف لأكثر ذاك القول، والحلف

حتى تكفني الواشون فافتلت
لا تأمن بدار لات مكتنف

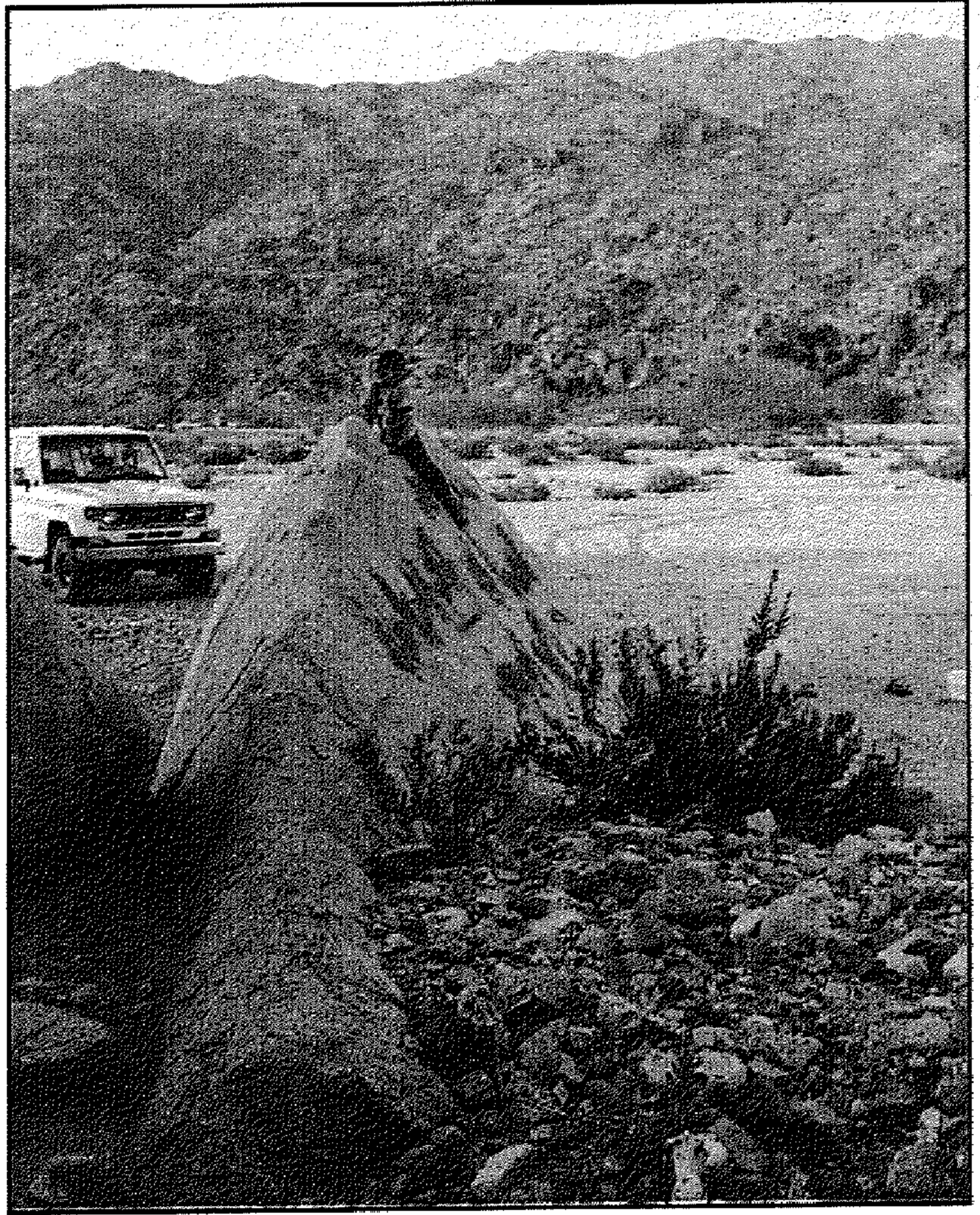
١٢ - نقوش إسلامية:

تقع هذه النقوش في وادي العسيلة الذي يبعد عن مكة المكرمة بحوالي اثني عشر كيلاً تقريباً. ويبلغ عدد هذه النقوش ما يزيد عن ستين نقشاً ترجع إلى الفترة الواقعة ما بين بداية العصر الأموي والفترة العباسية المبكرة، وجميع هذه النصوص كتبت لطلب المغفرة والعفو والرحمة والجنة والقبول للشخصيات المسجلة اسمائها في النقوش.

ومن أهم تلك الشخصيات، صفية بنت شبيبة بن عثمان، ومحمد بن عبد الرحمن بن هشام [١٩].

١٣ - نقوش قديمة:

تقع في مكان يُعرف باسم الدودية أو الدويدة



- مبرك الناقة العاصية.

محافظة الجموم ويبعد عن مكة المكرمة بحوالي اثنين وعشرين كيلاً ويعرف في تلك الناحية بوادي الضيق.

٩ - مسجد الجعرانة:

يقع بقرية الجعرانة التي تبعد عن مكة المكرمة بحوالي ٢٤ كيلاً، وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد اعتمر منها بعد غزوة الطائف (حنين) وخرج منها ليلاً وعاد من ليلته [١٥].

ويروي الأزرق أن رجلاً من قریش بنى مسجداً هناك، ولا زال معموراً يعتمر منه أهل مكة، وهو مبني من الاسمنت [١٦]، قلت: المسجد لا زال موجوداً وقد جدد بناؤه في عهد الدولة السعودية الحديثة.

١٠ - مسجد عائشة رضي الله عنها:

يقع بالتنعيم وهو المكان الذي اعتمرت منه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن صفية بنت



- نقوش قديمة عثر عليها بالنويدة.



- نقوش اسلامية عثر عليها بالعسيلة.

١٨٨ - ١٨٩.

- (٨) راجع الرحيق المختوم، المباركفوري، ٤١٩.
 (٩) راجع معجم معالم الحجاز، البلادي، ج/٢، ص ٨١.
 (١٠) راجع على طريق الهجرة، البلادي، ص ٩ - ١٠.
 (١١) أخبار مكة، الازرقعي، ٢٨٩/٢.
 (١٢) روى لي هذه القصة الشيخ/ حماد بن محمد الضبيبي
 الحياني.

- (١٣) أي جيوش فتح مكة.
 (١٤) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٤.
 (١٥) راجع الرحيق المختوم، المباركفوري، ص ٤٢٢.
 (١٦) معالم مكة التاريخية والأثرية، البلادي، ص ٢٧٠.
 (١٧) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٧.
 (١٨) المناسك، تحقيق الشيخ/ حمد الجاسر، ص ٤٦٦.
 (١٩) كتابات اسلامية من مكة المكرمة، الراشد، ص ١٥٧.

١٥٨.

إضاءة

- عقيد/ مساعد بن منشط الحياني
 ١ - عضو الجمعية السعودية للعلوم التربوية
 والنفسية بالرياض.
 ٢ - عضو متعاون مع هيئة التدريس باكاديمية
 نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض.
 ٣ - عضو الاتحاد الدولي لرجال الاطفاء
 المتطوعين باليابان.
 ٤ - عضو الجمعية الوطنية للحماية من الحريق
 بالولايات المتحدة الامريكية.
 * المؤلفات:
 ١ - التطوع في الدفاع المدني ١٤١٤هـ.

على الطريق المؤدي الى الجعرانة، وتبعد عن الخط
 السريع بحوالي كيلين على يمين الداخل الى شعيب
 ضيق، ويحتوي هذا الجبل على نقوش قديمة
 لحيوانات وكتابات بخط يشبه خط المسند الشمالي
 ونقوش اسلامية بالخط الكوفي.

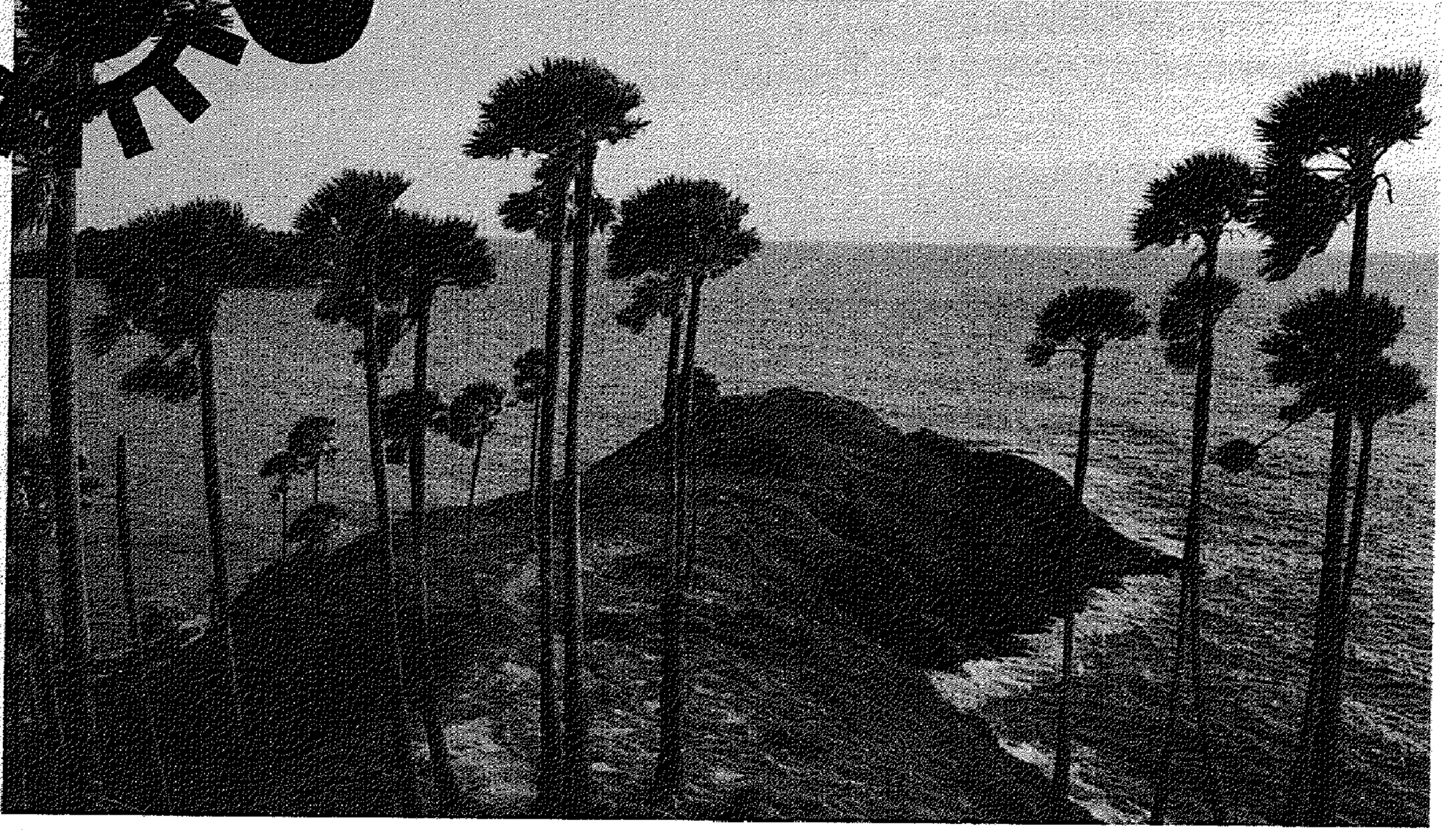
قامت بزيارة لهذا المكان لأول مرة بتاريخ
 ١٤١٥/١٠/٤ هـ مع مجموعة من أبناء القبيلة.

١٤ = النورة تبني الكعبة:

النورة عبارة عن حجارة بيضاء تستخرج من
 مناجم جبلية تشرف على وادي سرف (النوارية) ثم
 تطحن حتى تصبح ناعمة، وتستخدم في اعمال
 البناء مثل الإسمنت، ويقال أنه بنيت بها الكعبة في
 عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ويمكن مشاهدة
 ذلك في الخطوط البيضاء التي بين حجارة الكعبة،
 في حين أن أغلب بيوت مكة القديمة بنيت منها.

الهوامش:

- (١) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص ١٩٦ - ١٩٧.
 (٢) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج/٣، ص
 ١٠١٠.
 (٣) الانباه على قبائل الرواه، ابن عبد البر القرطبي ص
 ٧٣.
 (٤) معجم قبائل الملكة العربية السعودية، حمد الجاسر،
 ق/٢، ص ٦١٠ - ٦١١.
 (٥) معجم قبائل الحجاز، البلادي، ج/٣، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.
 (٦) معجم معالم الحجاز، البلادي ج/١، ص ١١٠ - ١١٢.
 (٧) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، البلادي، ص



الخنزيرة وجمال الطبيعة

الخنزير الصغير. فقلنا: ما رأينا إحساناً يُعْتَذِرُ
منه كهذا.

في السفارة المصرية:

ذهبنا إلى السفارة المصرية في هانوي وقابلنا
السفير الأخ/ مصطفى شنيف، ويعرف عنه
اهتمامه بالشؤون الإسلامية هنا وبخاصة العناية
بجامع هانوي فهو رئيس لجنة المسجد المؤلفة من
سفراء الدول الإسلامية. وقد وجدنا أنه بالفعل
مهتم بأمور المسلمين قائم بما يستطيعه من ذلك.

جمعية المسجد:

لا يوجد تجمع للمسلمين من أهل فيتنام في
هانوي كما تقدم، لذلك لا توجد لهم جمعية إسلامية
رسمية ولا جهة منهم تتولى شؤون جامع هانوي
الذي هو المسجد الوحيد المفتوح في هذه المدينة
الكبيرة.

إسلامياً كما وجدناه في (سايقون)، فإنه سوف
يأكل طعاماً لذيذاً ذا نكهة خاصة بما يشبه
المجان.

أما في (هانوي) هذه فإنه لا يوجد فيها مطعم
للمسلمين وذلك لقلّة المسلمين فيها من أهلها وقلّة
من يترددون عليها من المسلمين من غيرهم، أما
العاملون المسلمون في سفارات الدول الإسلامية
فإن لهم في طعامهم حديثاً قد يأتي بعد ذلك.

أفطرنا في مطعم الفندق هذا الصباح، وقال
لنا الموظف: إن الطعام مجاني داخل ضمن أجرة
الغرفة التي هي ٣٥ دولاراً أمريكياً.

وجاء به خبزاً وبيضاً صليقاً أي مسلوفاً وزيداً
وشايّاً. واعتذر بأنه لا يوجد لديهم الإفطار
الأوروبي الذي أهم ما فيه (الهام) وهو لحم

وقد ألف العاملون في سفارات الدول المسلمة جمعية فيما بينهم هدفها القيام على شئون الجامع والعناية به. فعينوا أحد الإخوة المسلمين الفيتناميين لحراسة المسجد، وأعطوه مسكناً من غرف ملحقة به مبنية مع بنائه القديم إلا أنها هيؤها، وصاروا يتناوبون فيما بينهم إمامة المصلين يوم الجمعة الذين يتراوح عددهم ما بين ٢٥ إلى ٣٠ مصلياً في المتوسط.

قالوا: وفي يوم الجمعة يفتحون باب التبرع ويتبرع الشخص منهم في المتوسط بدولار واحد، وقد يتبرع باثنان فيتألف من ذلك مبلغ جيد في هذه البلاد يكفي راتباً لحارس المسجد والكهرباء والماء وللمصاريف القليلة الأخرى، وذلك لغلاء العملة الأجنبية أو إن شئت قلت لانحطاط قيمة عملتهم الفيتنامية.

وقد أخبرونا أن أرضية المسجد تحتاج إلى إصلاح فقررنا أن ندفع لهم ألفي دولار أمريكية لهذا الغرض، إلا أننا لم نجد منهم من يحب أن يتسلمها، على اعتبار أنهم (دبلوماسيون) يجب أن يقتصر عملهم الرسمي على ما يتعلق بوظائفهم ولأنه لا توجد جمعية رسمية مسجلة للعناية بالمسجد.

الأديان في فيتنام:

لمناسبة الحديث عن قلة عدد المسلمين هنا يمكن تلخيص الوضع الديني في فيتنام بأن عدد السكان يبلغ ٦٨ مليوناً من النفوس ٤٨ مليوناً منهم في شمال فيتنام الذي فيه العاصمة (هانوي) و٢٠ مليوناً منهم في الجنوب الذي عاصمته الآن (هوشي منه)، التي كان اسمها (سايقون) عندما كان الجنوب دولة مستقلة تحت رعاية الولايات المتحدة وحمايتها التي لم تغن عنها شيئاً.

ومن السكان ٤٪ فقط من المسيحيين رغم السيطرة الطويلة من فرنسا على فيتنام، وكان المنصرون يجتهدون في نشر النصرانية وكذلك عندما صارت جنوب فيتنام تحت ظل الولايات المتحدة وتحارب الشيوعيين وتنفر من ثقافتهم كان المنصرون نشطين فيها، ولكن جهودهم لم تثمر الثمرة التي كانوا يرجونها. و٧٠٪ من السكان هم من البوذيين و١٪ مسلمون وأديان أخرى و٢٥٪ دين يسمى (كاو داي) وهو دين فيتنامي قديم.

جامع هانوي:

ذهبنا لرؤية (جامع هانوي) مع السفير المصري على سيارة استأجرناها من مكتب حكومي للسياسة وهي حافلة صغيرة قديمة أجرتها ٢٠ دولاراً حتى الساعة السادسة من مساء اليوم. وهذه أجرة كثيرة بالنسبة إلى أجور السيارات التي كنا ندفعها في (هوشي منه)، وجدنا جامع (هانوي) عظيماً حقاً بمظهره الضخم الرائع ذي المآذن الأربع الشامخة وبنائه الحجري القوي. وهندسته غريبة ليست مثل هندسة المساجد في جنوب فيتنام، حيث يغلب هناك المساجد على الطريقة الملايوية. ولا هو بطراز المساجد على الطريقة الهندية المتأثرة بالطراز المغولي الهندي للبناء.

وقيل لي: إنه بني على طراز محلي وطني عريق في البناء قد بنيت عليه المعابد القديمة وإن كان بانوه أبرزوا ما يظهر أنه مسجد مخالف لتلك المعابد.

ويصح أن يقال: إن المسجد يتألف من عدة أبنية أهمها المصلى وهو المسجد الرئيسي وهو متوسط السعة ذو أعمدة ضخمة قد كتبوا على محرابه الشهادتين بالعربية (لا إله إلا الله، محمد



رسول الله)،
وتاريخ بنائه،
بأرقام عربية
١٣٢٣هـ. وحوله
أروقة عديدة
وبجانبه مبان
ملحقة به يسكن
في أحدها
الحارس مع
أسرته، وبعضها
كان يستعمل
مدرسة إسلامية
قبل أن يغادر
المسلمون فيتنام،

مجموعة من الاطفال مع معلماتهم

وزينوه بوضع شعار المسلمين عليه وهو الهلال
الذي تتوسطه نجمة وكل ذلك من الحديد فوق بوابة
حديدية.

وانطلقنا مع شارع المسجد الذي أفضى بنا
إلى ميدان تتفرع منه عدة شوارع وسط المدينة
المزدحم وكله ذو منازل متلاصقة وحوانيت بعضها
بجانب بعض. مما يعطي الانطباع بأنها كانت
قلب مدينة هانوي التجاري القديم، ولا تزال
مزدحمة حتى الآن ولا تزال الحوانيت فيه عامرة
بالسلع إلا أنها غير فاخرة ولا غالية.

وقيل لي: إن حكومة فيتنام الشيوعية أبقت
على كثير من التجار الذين كانوا يعملون في
حوانيتهم، وجعلتهم بمثابة الوكلاء الذين يبيعون لها
ما تريد بيعه، بدلا من أن تبيعه بوساطة محلات
حكومية فيها موظفون حكوميون كما هو عليه
الحال في الدول الشيوعية الأخرى. كما صارت

والآن بقيت معطلة، وقد عرفت بعد ذلك أن الذي
قام على بنائه وانفق عليه النفقة العظيمة هم
الأخوة من مسلمي الهند الذين كانوا يعملون
تجاراً في فيتنام وغادروها بعد أن استولى
الشيوعيون على الحكم.

وهم بذلك جديرون لما رأيت من عظم المسجد
الذي بنوه وهو جامع سايقون أي هوشي منه الذي
تقدم ذكره.

ولم نجد حارس المسجد، وإنما وجدنا أخاً له
مسلياً اسمه إبراهيم التقطنا معه صورة عند
مدخل المسجد.

ويقع المسجد على شارع مزدحم اسمه (تانغ
هانغ لوك) من محلة اسمها (هانغ ماه). وله أربع
منارات شامخة اثنتان منها أكثر ارتفاعاً من
اثنتين.

وقد كتبوا على مدخله الخارجي الذي يفضي
إلى فناء مكشوف غير واسع جملة (الله أكبر)،



تغض الطرف
عن التجارة التي
يمارسها التجار
من أنفسهم
لأنفسهم، ولكنها
لا تغض الطرف
أبداً عن تحصيل
الضرائب التي
تفرضها عليهم
الحكومة وهي
كثيرة فيما
قالوه.

وقد صعدت

إلى محل تجاري

السوق العائم بعيداً عن زحام المدينة

الشواء إلى شيء من اللحم الصليق وهو المسلوق،
والأرز والخضروات، ثم الحلوى، وأدينا صلاة
الظهر مع السفير في بيته ثم جمعنا العصر معها.

جولة في مدينة هانوي:

كانت الجولة على سيارة السياحة التي
استأجرناها غير أن سائقها لا يعرف غير لغته ولم
يكن في مكتب السياحة من يعرف الإنكليزية لذا
أعطينا السفارة المصرية كاتبة فيها من أهل البلاد
تعرف الإنكليزية، وهي فيتنامية أصلية ضئيلة
الجسم، قصيرة القامة، إلا أنها ذكية بل تتوقد
ذكاء، وأما مظهرها فإنها كما كان يقال فيمن
يكون مظهرها ليس على ما يرام من الجمال، إنها
(مستورة) والستر الذي يعني ستر الوجه والكفين
بعيد عنها، وما عدا ذلك من جسمها فإنه مستور
ما عدا رأسها.

واسمها (فان) وهذا اسمها الأول أي الخاص
واسمها الكامل هو (انغوين نغوك فان)، وميزتها

قديم يصعد إليه في طابق فوق الأرضي مع درج
مكشوف واستمتعت برؤية المنطقة من مكان عال،
والتقطت لها صوراً من ذلك المكان.

غداء السفير:

دعانا السفير المصري الأخ مصطفى شنيف
إلى طعام الغداء في بيته ومثل هذه الدعوة لها
معنى خاص، لأن أهل البلاد لا يحل طعامهم
لكونهم ليسوا من أهل الكتاب الذين تحل ذبائحهم،
ولا سيما أنهم من المشهورين بأنهم من أكلة لحم
الكلاب لا يستخفون بذلك ولا يكتُمونه، بل يظهرونه
للناس.

ولهذا السبب لا يستطيع المرء منا أن يأكل في
المطعم إلا إذا كان ذلك سمكاً مشوياً أو مقلباً قد
تحقق من الزيت الذي قلبي به، لئلا يكون من شحم
الخنزير.

وقد تغدينا في بيت السفير وهو جيد واسع،
ومؤثث تأثيثاً مناسباً. وكان الغداء متنوعاً من



في فيتنام تكثر المساقط المائية

مستوحى من
الأحداث التي
رويت عنه أو
حدثت له في
حياته.

ولم يكن ذلك
يستهويني كله،
إنما كنت توقعت
أن أجـد في
المتحف ما يلقي
ضوءاً على تاريخ
هذه البلاد
الفيتنامية
وماضيها البعيد
والقريب.

عاشق الأمة:

من الطريف الذي أوضحه هنا أن اسم
(هوشي منه) ليس هو اسم الزعيم الذي سماه به
أبواه، وإنما هو اسم خلعه عليه أصحابه ورفاقه
في الكفاح ضد المستعمرين عندما اكتشفوا
مواهبه في ذلك وسموه به عام ١٩١٧م عندما كان
أمثاله يحبون النساء أو غير النساء من الأشياء
التي يحبها الشباب في العادة وانصرف حبه كله
إلى الكفاح من أجل الأمة الفيتنامية فسموه محب
الأمة، أو عاشق الأمة (هوشي منه).

مخلفات بسيطة:

عرضوا في هذا المتحف جميع ما كان يستعمله
الزعيم في حياته من أشياء حتى مالا أهمية له.
مثل كرسي رث كان يجلس عليه، وعصا غير
معتنى بها.

أنها تعرف الإنكليزية ومثقة ثقافة عامة جيدة.
بدأت الجولة في السوق الذي كنا رأينا بعضه،
ولكننا وقفنا عند بائعات خضروات وبيض من أجل
رؤية القبعات الفيتنامية الأصلية وتصويرها
فكلمتهن مستأندة بالتصوير فلم يمانعن.

ثم مررنا بقصر الملك الذي هو ملك فيتنام قبل
الشيوعية وقد بني عام ١٨٨٥م، ولم ندخله لأننا
نريد الإطلاع على أشياء كثيرة أهم فيما بقي من
نهار هذا اليوم.

متحف هوشي منه:

هو متحف ذو مبنى ضخم مداخله وأبهاؤه أكبر
من حقيقته ومن مستوى معروضاته، بناء الشعب
الروسي هدية للشعب الفيتنامي كما كتبوا ذلك
عليه وتم بناؤه في عام ١٩٨٠م حيث سلمه الروس
إلى الفيتناميين.

واسمه (متحف هوشي منه) اسم على مسمى
فقد أسس ليضم بالدرجة الأولى كل ما يتعلق
بحياة زعيم فيتنام الذي قادها إلى النصر على
الفرنسيين ثم على الأمريكيين وذلك منذ ولادته في
عام ١٨٩٠م حتى وفاته في عام ١٩٦٩م.

وكان أول ما نوه به المتحف أن الزعيم
(هوشي منه) لم يتزوج، وإنما كان زوجه الشعب
الفيتنامي كله بمعنى أنه قد حمل همومه وقاده في
الحروب المتواصلة التي خاضها حتى النصر.
فشغله ذلك عن الزواج.

كان أول ما فعلوه بإسراف ظاهر وبتفاصيل
لا داعي لها هو أن عرضوا بالصور مختلف مراحل
حياته منذ أن كان طفلاً حتى أصبح شاباً ثم
شيخاً وتوفي، ما كان من ذلك مصوراً تصويراً
شمسياً (فوتوغرافياً)، وما كان منه مرسوماً رسماً

وإن كان في ذلك أشياء مهمة توضح أدواته وأمثاله في الكفاح ضد سيطرة الأجانب على البلاد عندما بدأ ذلك، فقد عرضوا الأسلحة التي كان يستعملها وهي أسلحة بسيطة في باديء الأمر تألفت من بنادق قديمة وأسلحة يدوية.

والطريف في الأمر أنهم عرضوا المكتب الذي كان يجلس إليه بعد أن أصبح زعيماً فوجدناه من الخشب الخشن يتألف من مائدة خشبية وكراس خشبية خشنة مما يدل على الخشونة والتقشف التي كان عليها هو ورفقاؤه وبعدهم عن التمتع والترف، وما شبّهت الكراسي التي في مكتبه إلا بالمقاعد في المقاهي الخشبية الفقيرة في بعض البلدان العربية قبل ربع قرن مثلاً.

المعبد البوذي القديم:

جعلوا كل ما حول هذا المتحف حراماً له إلى مسافات واسعة، فنسقوا أشجاره ورصفوا ممراته ومماشيّه حتى وصلوا إلى معبد بوذي صغير قديم ذكروا أن تاريخ بنائه لأول مرة يرقى إلى تسعمائة سنة إذ أسس في القرن الحادي عشر الميلادي.

وهو مرفوع عن الأرض بخشب، ولذلك يصعد إليه من درج، ورفع المعابد البوذية أمر متبع حتى إنهم كانوا يبنيونها في العادة على قمة تلة أو جبل أو في أحضان جبل إذا لم يستطيعوا أن يصلوا إلى رأس الجبل. ويتكلفون لذلك صعوداً مرهقاً. وقد رأيت ذلك في أماكن عديدة من العالم الذي فيه اتباع لتلك الديانة البوذية أو كانت الديانة البوذية شائعة فيها من القديم مثل نيبال وتايلند وبورما.

مع أن هذا المعبد الذي نذكره هو صغير بل ويكاد يكون رمزياً خلافاً المعروف من المعابد البوذية التي تتسم بالكبر والسعة. ما عدا القاعة الرئيسية التي يكون فيها تمثال كبير لبوذا

يسجدون عنده ويتضرعون إليه، فتكون متوسطة أو صغيرة.

وكان عند المعبد في حديقة المتحف جمع من الأطفال يلعبون فالتفوا علينا يريدون التصوير عندما رأوني أصور المعبد فصورتهم.

الأطفال الأبطال:

قالت الدليّة وهي تتقد حماساً وتكاد تتفجر غيظاً على الأمريكيين الذين حاولوا إذلال الشعب الفيتنامي وقذفوه بأقوى أسلحة الدمار - كما قالت: إنها كانت صغيرة إبان الحرب مع الأمريكيين ولكنها تحفظ أنشودة تمجد أطفال فيتنام، وتذكر مقاومتهم العنيفة للأمريكيين.

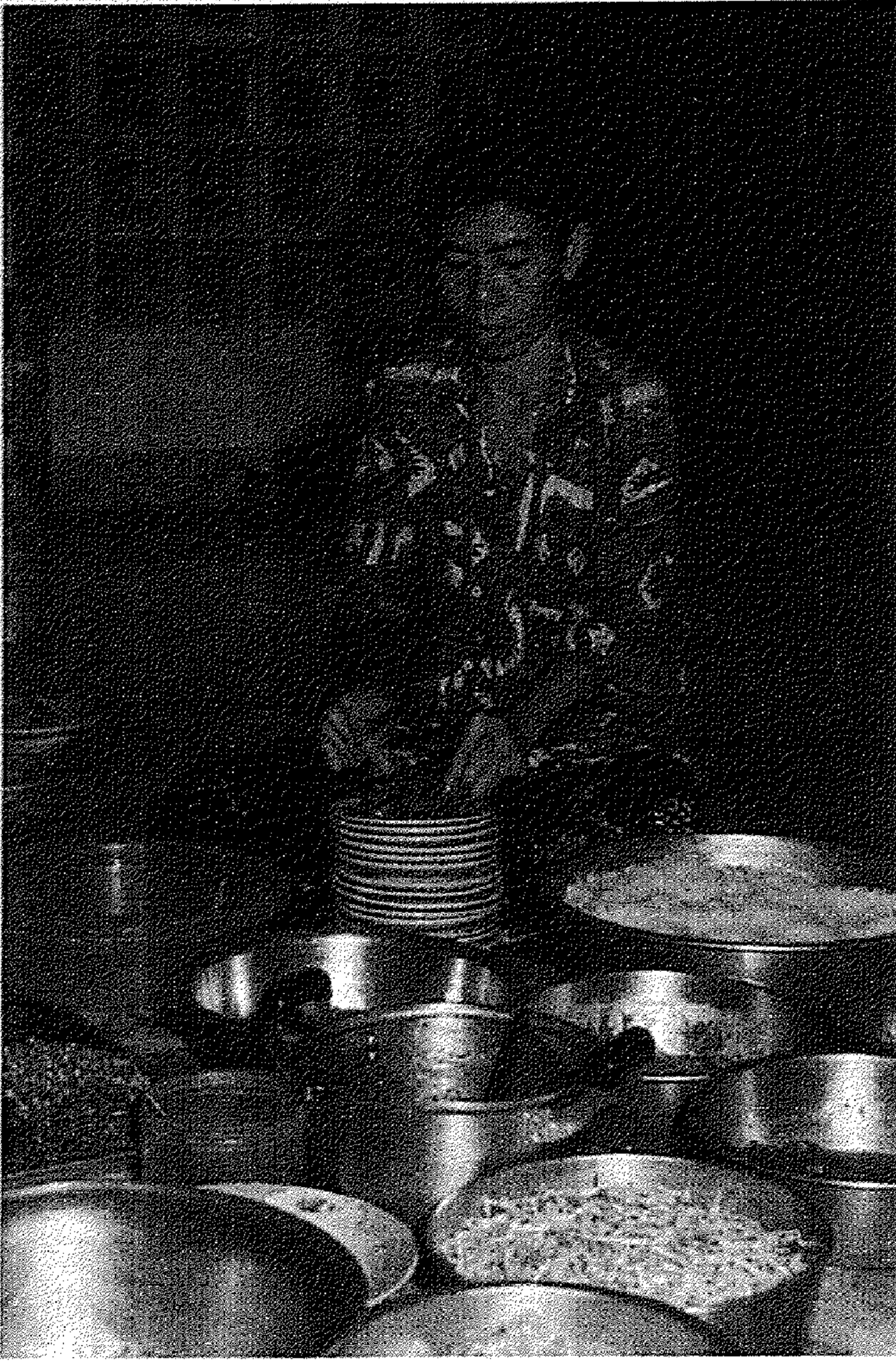
وقالت: لقد حاربت النساء كما حارب الرجال وحارب الأطفال حرب الأبطال. وقالت: إن أطفالنا يختلفون عن أطفال الأمريكيين المدللين.

وأنشدت أغنية حماسية باللغة الفيتنامية، قلت لها بالعربية عندما سمعتها تنشدها ما قلته في أمثالها ولم تفهمه وهو أن (تكذب ولا تخاف) لأنني لا أستطيع أن أعرف كذبها أو غلطها ولكنها ترجمت المهم من تلك الأنشودة التي تقول:

أطفالنا أبطال، ونساؤنا جنود وفواكهنا بنادق، ونحلنا سيوف، وفسرت ذلك بأن الأطفال قد ربوا على أن يرصدوا حركات الأمريكيين وتصرفاتهم ويخبروا بها القيادة، والنساء جنود، لأنهن يقاتلن ويترصدن للأمريكيين فيوقعن بهم من حيث لا يحتسبون، وأما الفواكه فإنها بنادق لأن الجنود يعيشون عليها إذا لم يجدوا طعاماً فتكفيهم غذاء، والنحل قنابل لأنه يلسع الجنود الأمريكيين ويمنعهم من الولوج في بعض الأماكن.

المتحف الحربي:

ذهبنا إليه مخترقين شوارع هانوي الواسعة



جانب من مأكولاتهم

من أهمها أكبر القنابل الموجودة في العالم كله في ذلك التاريخ.

وقد عرضوا غير بعيد من المكان مدفعاً فرنسياً ضخماً كانوا قد غنموه من قلعة (ديان بيان فو) بعد أن انتصر الفيتناميون على الفرنسيين في المعركة البطولية التي دارت حول القلعة الضخمة المذكورة عندما تحصن بها الفرنسيون ومعهم الأسلحة الفتاكة التي لم تغن عنهم شيئاً إزاء عزيمة الشعب الفيتنامي، وتصميمه على النصر وتقبله للتضحيات الجسام التي لا تبعد من القبول بها لمبتغى النصر في

التي ترصع أرصفتها بأتعات البضائع البسيطة من الأطعمة القليلة، والفواكه المحلية الرخيصة والبضائع الأرخص والأقل جودة. وإن كان ذلك أقل مما عليه الحال في البلدان غير الشيوعية مثل تايلند حتى بورما.

فوصلنا المتحف الحربي، وكان أهم منظر في ساحته منظر حطام طائرة أمريكية من قاذفات القنابل الضخمة طراز ٥٢ ب قد أسقطها الفيتناميون فوق هانوي لأنها كانت محملة بالقنابل التي اعتادت هذه الطائرات القاءها على فيتنام.

من الطريف في الأمر أن حطام الطائرة الأمريكية الضخمة قد جمعه وكموه حتى غدا كحطام بيت كبير، ثم وضعوا فوقه طائرة صغيرة من صنع روسي. هي التي أسقطتها عندما هاجمت هذه الطائرات الضخمة مدينة هانوي في المدة ما بين ١٨ إلى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٧٢م.

وتم إسقاط هذه الطائرة التي نرى حطامها الآن بصاروخ محمول على طائرة روسية حربية لا يتعدى حجمها بالمقارنة الى حجم هذه الطائرة الأمريكية الكبيرة العشر منه أي ١٠٪.

وما شَبَّهَتْ تربع الطائرة الروسية النفثة الصغيرة وهي سليمة فوق حطام هذه الطائرة الأمريكية العملاقة ٥٢ ب، إلا بالمنزلة الرفيعة التي صارت في نفوس العالم لهؤلاء الفيتناميين الصغار الأجسام، الكبار القلوب عندما قهروا الأمريكيين ذوي الأجسام الكبيرة والصناعات الضخمة التي

الحروب . وكان استسلام الفرنسيين لهم في عام ١٩٥٤م .

وكان يسير معنا في المتحف ضابطان فيتناميان من الشبان عليهما لباس نظيف جميل، عندما عرفا أننا من العرب سلما وأحفيا السلام ثم تطوعا بتعريفنا على هذه المعروضات المهمة التي تدل على أمجادهم البطولية .

وقد طرأ على ذهني وأنا أرى هذه الشواهد على بطولة هذا الشعب بيت عربي قديم كان العرب القدماء ينشدونه في مثل هذه الحالة وهو:

هذي المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا - بعد - أبوالا

والقعبان: تشنية قعب وهو الإناء الذي يشرب به اللبن ونحوه من السائلات، وشيبا بماء: خلطا بالماء كما عرضوا بجانب ذلك قنابل أمريكية ضخمة بعضها طوله أكثر من مترين من التي لم تنفجر . وفي النهاية التقطنا صوراً تذكارية مع الضابطين الفيتناميين اللذين كان أحدهما يحمل ٤ نجوم والثاني نجمتين .

وبجانب المتحف برج قديم يسمونه برج العلم يلفت النظر بطراز بنائه القديم ذكروا أنه مبني منذ القرن التاسع الميلادي، ولم يكن برجاً للعلم عندما بني وإنما كان لغرض المراقبة ولكنهم حولوه إلى برج رفع عليه العلم الوطني بعد ذلك .

وعليه مكتوب جملة كانت شائعة عندهم وهي: (إذا لم تر برج العلم لم تزر هانوي)، أي كأنما أنت لم تر شيئاً في هانوي فأنت كمن لم يزرها . وقد قلل من أهميته في نفوسنا أنه كان قد تهدم بفعل القنابل الأمريكية، ثم أعادوا بناءه الحالي على طراز بنائه القديم .

المدينة الخضراء:

واصلنا الجولة في هانوي فذهبنا إلى مناطق

بقلب المدينة التجاري فكان أكثر ما فيها الحدائق ذات الأشجار الباسقة وفيها بحيرات متعددة تكون عليها الميادين وترفرف على حواشيتها أشجار من أشجار الظل المغروسة في نظام بديع، وقد سلكتنا شارعاً جيداً يفصل بين بحيرتين اثنتين من هذه البحيرات الواقعة في المدينة، وعلى ذكر البحيرات والمياه يحسن أن ننوه بأن في هانوي أربعة أنهار .

البحيرة الغربية:

وهذه البحيرة واسعة قد جملوا حواشيتها التي تلي المدينة أو على الأدق تلي القسم الذي وقفنا به من جهة المدينة عندها معبد بوذي معتنى به، ومطعم يوصل إليه بطريق مدفون في الماء التقطنا له عدة صور .

موعد إلى وسط المدينة:

من غرب هانوي حيث البحيرة الغربية عدنا إلى وسط هانوي القديم حيث المنازل المتلاصقة والحوانيت المتراسة، ومن طريف ما رأيتهم صنعوا في الحوانيت أن جعلوا باعة كل صنف من البضائع مجتمعين أي في حوانيت بعضهم قريب من بعض .

فمثلاً: هناك حوانيت تباع القدور وأواني طبخ الطعام وإعدادها، ومجموعة أخرى من الحوانيت وهي (الدكاكين) لا تباع إلا الآثاث الخشبي وهي مجمعة في سوق واحد .

وهكذا أكثر السلع وحتى النظارات رأيناها جمعوها كل باعة النظارات في المدينة في حوانيت متجاورة، وقد أخبرتنا موظفة السفارة (فان) أن الحوانيت هذه خاصة لأهلها أي ليست مملوكة للدولة ومع ذلك لم نعدم في أي مكان حللناه هنا أن نرى ما سميته قديماً بحوانيت الأكتاف وهي أن يكون مع البائع بضاعة في وعائين معلقين بخشبة



الشيخ محمد يوسف ومعه أحد المسلمين

يضعها على
كتفيه ويسير
يبتغي من
يشترى منه.

وهؤلاء كلهم
من الباعة
المتجولين وغالباً
ما تكون
بخائهم هنا
من الفاكهة التي
تنتجها هذه
البلاد، أو من
الأطعمة البسيطة
أو من البضائع
الرخيصة.

كما تكون على شاطئ النهر وقد رصفوا الشارع
الذي يليها وزينوه بالأشجار الخضر. ثم ذهبنا
إلى بحيرة أخرى اسمها (هو كوف كين) وقفنا
عندها والتقطنا صوراً جميلة على شاطئها.

ميدان المصارعة ضد الأعداء:

لم نتوقف عند هذه البحيرات الجميلة التي
تزين المدينة، وإنما أسرعنا بالذهاب إلى ميدان
مهم في المدينة اسمه (قوان تونغ هوان كيا) يعني
ميدان المصارعة ضد الأعداء، ولا شك بأن
الشخص الذي في ذهنه صبر هؤلاء الفيتناميين
على الحروب ومصابرتهم لقراع الخطوب حتى
لبثوا في حروب متصلة مدة تزيد على أربعين عاماً
لم يتوقفوا فيها إلا عندما انتصروا لا يعجب إذا
رأى ميداناً مهماً في عاصمتهم اسمه (ميدان
المصارعة) وإن كانت ضالة أجسامهم وضعفها لا
تمكنهم من ادعاء البطولات في حلبات رياضة

وأكثر ما ترى حوانيت الأكتاف هذه مع
النساء، فعمل النساء في فيتنام شائع مثلها في
ذلك مثل تايلند وسائر البلاد الصفراء أو التي
تسمى بذلك نسبة إلى ما زعم بأنه اللون الأصفر
الذي يميز أهلها.

ومظاهر الفقر والعوز كثيرة ظاهرة، وإن كانت
مظاهر العزة والترفع واضحة مثل قلة التسول، أو
متابعة الغريب طمعاً فيما قد ينال منه، وحتى
الباعة الصغار لم أرهم يحاولون أن يأخذوا من
الغريب ثمناً أكثر من المعتاد لبضائعهم.

وأكثر وسائل المواصلات هنا هي الدراجات
الهوائية المعتادة وهناك الدراجات النارية ولكن
بقلة. وإنما الكثرة الكاثرة منها في جنوب البلاد
وبخاصة في مدينة (هوشي منه) عاصمة الجنوب
كما تقدم.

مزيد من البحيرات:

مررنا ببخيرة أخرى في المدينة عليها البيوت

المصارعة في العالم فقد اكتسبوا البطولات الجمة في ميادين المصارعات الحقيقية.

وقالت المرافقة (فان): إن هذا الميدان وما حوله يعتبر (كبد) هانوي بمعنى قلبها المهم فيها وهو مزدهم جداً بالمشاة وراكبي الدراجات، وأما السيارات فإنها موجودة ولكن على قلة.

حديقة الحيوان:

تركنا (كبد) هانوي متوجهين إلى حديقة الحيوان وقد كتب عليها ذلك فوجدناها كانت حديقة للحيوان ولكنهم أنشأوا حديقة حيوان كبيرة في مكان بعيد من المدينة نقلوا إليها الحيوان وأبقوا فيها عدداً قليلاً من الحيوان المعروف ولكنهم جعلوها بمثابة المنتزه لمن يريد أن يخلو مع أسرته وبنيه فغرسوا أشجاراً متعددة جديدة فيها إضافة إلى الأشجار الباسقة الموجودة منذ عهد قديم.

دفعنا رسم دخول الحديقة (٢٠٠) دونغ للشخص الواحد ويساوي ذلك قرشاً سعودياً لأن الدولار بخمسة عشر ألف دونغ كما سبق، ولم نطل اللبث في هذه الحديقة وهي تصلح للجلوس الطويل، وإنما وقفنا على شاطئ بحيرة مقابلة لمدخل الحديقة من جهة الشمال الشرقي اسمها (هالي) وهذا اسم لها فرنسي، أما اسمها عند الفيتناميين فهو (ثوتون قوانغ).

إلى النهر الكبير:

طلبت أن أرى النهر الكبير الذي رأيته عندما دخلنا المدينة وهو على مدخل مدينة هانوي لمن يقدم من جهة المطار.

وأوقفنا السيارة جانباً فوق الجسر الكبير الذي أقاموه عليه من أجل التقاط صورة له من فوق الجسر. فأسرع شرطي مرور لمتابعة السائق

على ذلك يريد معاقبته، ولكن المرافقة أفهمته أننا سياح من العرب نريد أن نلتقط صورة نادرة، فتركه.

واسم هذا النهر الكبير (سونغ هونغ) بمعنى النهر العكر، وكنت سميت النهر الكبير وهو واسع المجرى، جم المياه، ولكن مياهه حمراء مما يعطيه بالفعل لقب النهر العكر. وهو يأتي من الصين إلى هذه البلاد.

أما الجسر الكبير الذي أقيم عليه وهو حديدي ضخمة واسع فإنه حديث لم يكتمل بناؤه إلا في عام ١٩٧٨م، وهناك على النهر جسر قديم بناه الفرنسيون إبان استعمارهم للبلاد ويقع جهة الشمال من هذا الجسر الكبير، وعلى ذكر النهر أقول: إن البحر يقع على بعد ١٥٠ كيلومتراً من هانوي.

وعدنا إلى الفندق مع غروب الشمس في حوالي الخامسة والنصف فأعطيت السائق والكاتبة من الحلوان (البقشيش) ما أرضاهما حتى انحنيا بالتحية وبالغا في الانحناء.

يفضلون لحوم الكلاب:

سمعنا من السفير المصري وغيره من الإخوة المسلمين أنهم يلاقون مشقة في الحصول على اللحم الحلال وأنه من الصعب على المسلم أن يأكل في المطاعم الفيتنامية الوطنية وذلك لكونهم لا تحل ذبيحتهم للمسلم ولكونهم يأكلون لحم الكلاب بكثرة.

والليلة زارنا الأخ (ماهر فؤاد مكي) من السفارة المصرية من أجل البحث في كيفية تقديم المساعدة للمسجد ووسائل تشجيع الدعوة الإسلامية من دون أن يكون للسفارات دور ظاهر، لئلا تتهمها حكومة فيتنام بالتدخل في الشؤون

الداخلية، والاتصال بطائفة من المواطنين من غير طريق الحكومة.

وقال الأخ ماهر: إننا قد اعتدنا على أن نشترى عجلاً صغيراً نتقاسم لحمه فيما بيننا أو يذبح الواحد لنفسه عزراً ويضع لحمها في الثلاجة.

وذلك لكون الماعز هو الوحيد من الغنم الموجود للبيع في هذه البلاد وأما الضأن فإنهم لا يبيعونها ولم يكونوا يعرفونها ولا يأكلون لحومها، وإن كانت موجودة على قلة ويشتريها الأجانب أمثالنا. وإنما الشائع عندهم أكل الخنزير وأكل السمك، وهناك نوع من اللحم يفضلونه وهو أغلى اللحوم عندهم وهو لحم الكلاب. ولكنه ليس لحم أي كلب وإنما هنالك كلاب قصيرة الأرجل تسمن بسرعة يربونها للحم، أي من أجل ذبحها وأكل لحمها، وتباع علناً في السوق بثمن غال، أما البقر فإنه موجود ولكنه قليل، وتبيعه الحكومة، ولكنه ليس متوفراً في كل آن، كما أنه لم يذبح ذبحاً شرعياً مع أن ذبح الوثني ولو كان ظاهره شرعياً فإنه لا يجوز أكله، لأنه ليس من أهل الكتاب. وذكر أنهم يشترون الخروف بسعر ٩ آلاف دونغ للكيلو وهو حي لأنهم هكذا يبيعونها وزناً وهي حية و٩ آلاف هي أقل قليلاً من ثلثي دولار أمريكي فيساوي الخروف في المتوسط حياً ١٥٠ ألف دونغ وذلك حوالي عشرة دولارات.

وأما لحم البقر فإنهم يشترون الكيلو منه بخمسة آلاف دونغ من الأشخاص الذين يبيعونه لأنفسهم وذلك يساوي أقل من نصف دولار أما اللحم الذي تبيعه الحكومة من لحم البقر فإن سعره أقل من ذلك بمقدار الثلث.

ومع هذا الرخص المتناهي للحوم بالنسبة إلى الأجنبي الذي يقدم معه بعملة صعبة فإنه غال جداً بالنسبة إلى المواطنين لقلة أجورهم وضعف دخولهم وأغلبهم لا يستطيع الحصول على شيء من اللحم، وإنما الوجبة الرئيسية المعتادة لهم هي الأرز المأموم بشحم الخنزير ٠٠ والأرز رخيص جداً عندهم كما سبق. ويكفي الشخص الواحد من هذه الوجبة الرخيصة حوالي (١٠٠٠) دونغ ويساوي ذلك ربع ريال سعودي.

والسمك متوافر ورخيص وذلك لكثرة البرك والأنهار والبحيرات، إضافة إلى ما يصطادونه من البحار التي تقع عليها بلادهم وهي شواطئ طويلة واسعة غنية بالأسماك.

وإذا تجاوزنا اللحم والحديث عن الطعام عندهم نجد أنهم شعب غير متدين، وليست له مثل مرعية متوارثة، وما كان من تأثير الدين لديهم قد قضت عليه أو على أكثره الدعاية الإلحادية الشيوعية.

ولذلك يعجب المرء من صبرهم على متاعب الحياة التي من أكثرها ظهوراً ضيق المنازل وقلة الدخل، وقد يساعد على ذلك انغلاق فرضته عليهم الحكومة الشيوعية فلا يصل إليهم تلفاز أجنبي ولا صحف أجنبية. ولا يسمح لأحد أن يسافر إلى خارج البلاد إلا إذا كان في مهمة حكومية.

مفادرة هانوي:

دفعنا لفندق (هاوينه) أجرته بالدولار ونقص ذلك فرضوا بأن ندفع التكملة بالدونغ الذي هو عملتهم المحلية. وقد دفع كل واحد منا ٦٩ دولاراً أجرة غرفة منفردة لليلتين مع فطور ليومين ووجبة عشاء واحدة من السمك والإريبيان، وهذا منتهى

الرخص، والأهم من ذلك لدينا حسن معاملة القائمين على الفندق وسهولة الدخول والخروج عندهم.

وغادرنا فندقنا (فندق هاو بنه) الساعة السابعة على سيارة أجرة كانت إدارة الفندق قد أعدتها لنا البارحة وهي سيارة صغيرة لا بأس بها.. فكان الزحام الشديد في الشوارع في هذه الساعة المبكرة من الصباح، وذلك لكون العمل يبدأ عندهم مبكراً مثلما أنهم ينامون في العادة مبكرين.

ومن أكثر الناس ظهوراً في هذه الساعة الفلاحون الذين معهم ما جلبوه من خضار وفاكهة محلية محدودة النوع والمقدار وإنما الخضار كثير كالقرع الذي هو الدباء والفاصوليا والكرب والخيار والطماطم. وأغلب الناس هنا من الفلاحين والقرويين عليهم القبعات الفيتنامية العريضة المتميزة عن غيرها من القبعات، ولكن مظاهر الجميع تدل على الفقر والعوز يظهر ذلك في ثيابهم وما يحملونه كما تظهره علامات نقص التغذية أو سوءها على وجوههم.

الجوازات في الرصيف:

وصلنا المطار فوجدنا مكتباً للجوازات على رصيف مبنى المطار يمر به الراكب المسافر للخارج قبل أن يدخل مبنى المطار ويملاً استمارات موجودة باللغة الفيتنامية والإنكليزية وفعلنا ذلك، ولكن الضابط نظر إلى جوازاتنا وسألنا لماذا لم تسجلوا جوازاتكم في الشرطة، إنه مكتوب عليها أنه يجب عليكم أن تفعلوا ذلك خلال ثلاثة أيام، فأجبناه صادقين بأننا لم نطقن للكتابة، وأنه لم يقل لنا أحد ذلك صراحة، فأدخلنا إلى ضابط أعلى

رتبة منه في داخل المكتب، ثم حضر ضابط كبير، وقال: إننا سنأخذ ما ذكرتموه من عدم معرفتكم بوجوب تسجيل جوازكم بعين الاعتبار، ونرجو ألا يتكرر منكم ذلك إن قدر لكم أن تعودوا إلى فيتنام فشكرنا له قوله وفعله.

قال: وجوازك السياسي ليس عليه غرامة، وأما جواز رفيقك وهو (علي عيسى) الذي يحمل جواز سفر تايلندي معتاد فإنه يجب أن يدفع خمسة عشر دولاراً أمريكية غرامة عدم التسجيل.

دفعنا الغرامة وتجاوزنا مكتب الجوازات هذا العجيب، ثم دخلنا مع مدخل عليه موظف يأخذ رسماً على كل حقيبة تدخل إلى المطار من حقائب الركاب وهو رسم قليل إلا أنه عافاني منه قائلاً إن الجواز (الدبلوماسي) ليس عليه رسم.

وتجاوزناه داخلين إلى داخل مبنى المطار فوجدنا أنفسنا في مكتب في قاعة الترحيل عليه امرأة دققت في الجوازات والحقائب وأخذت خمسة دولارات على كل جواز وذلك رسم مغادرة المطار الموجودة في أكثر المطارات للرحلات العالمية.

ثم أخذنا حقائبنا إلى موظف أدخلها فاحصاً ألياً وأحالها إلى موظف الترحيل المعتاد الذي قطع التذكرة فدخلنا إلى قاعة المغادرة مارين بموظف الجوازات الذي يختم عليها.

وكانت هذه إجراءات صعبة لم نر مثلاً عندما دخلنا فيتنام عن طريق مطار مدينة هوشي منه (سايقون) قديماً في جنوب فيتنام، ثم غادرنا هانوي قاصدين مدينة (فينتيان) عاصمة لاوس والحديث عن لاوس ومن بعدها كمبوديا في سلسلة أخرى عنوانها (المسلمون في لاوس وكمبوديا) .. والله المستعان.

إله العرش

شعر:
أحمد صدوق صافي
- الكويت -

لعلي أرتقي حباً .. لعلي
وما أنا بالمُضيع فضل قُرب
فأقنع من وصالي بالأقل
أبوحُ لخالقي والبوح سترُ
فيا غيمات رحمته أظلي
وما ذُقتُ الهناءة في انشغال
لهذا القلب عن قُرب ووصل
وما أجني سوى عمر جديب
إذا خفت اليقين ، وسوء فال
إذا ما شدت الدنيا زمامي
جنحت إلى فراغ دون حل
سراب ما تُنادي إن بقينا
كيان الخلق دون الحق نُعلي
إلهي قد قصدت رضاك فارحم
ضعيفاً ناء في الدنيا بحمل
ولا تكل العباد إلى عباد
فأنت اليمَن .. أنت الخير تُملي

إله العرش يا قصدي وسؤلي!
ويا نجواي في قول وفعل!
هرعتُ إليك كي يصفو جناني
وحار الخلق في هم وشغل
تداعوا للصغائر واستبدت
بهم أهواؤهم في كل حقل
وجئتُ إليك لا أرجو سؤالا
سوى قربي من النور الأجل
ملأت خزائن الأكوان خيراً
يراه كل ذي قلب وعقل
هناك .. هناك؛ آيات عجاب
لتبهر في التأمل والتجلي
هناك .. هناك يأخذني انعتاقي
لأفاق من الألق المُطل
ولي في العالم الأسمى شعاع
به أسمى إلى نسبي وأصلي
وقفتُ ببابه طمعاً وشوقاً

الجدل العلمي القائم على قواعد التقصي والتحقيق والدراسة بعيداً عن هوى النفس، والراغب في اظهار الحقيقة جدل مرغوب فيه، لأنه يضيف علماً، ويؤسس فضلاً.

لكل هذا يجد القاريء ان مجلته المنهل قد فتحت صفحاتها لأصحاب الجدل العالم، الذكي، اللامح.. والمنهل يشكر الجميع على تواصله العلمي.

فضلاً عن .. ودليل التصحيح أولاً

فضلاً عن دينار؛ لأن كلمة (فضلاً) تستعمل في موضع يستبعد فيه الأدنى الذي يجب أن يأتي قبلها؛ لذا تقع (فضلاً) بين كلامين متغايري المعنى، وأكثر استعمالها بعد نفي كما يقول القطب الشيرازي.

وعندما نقول: فلان لا يملك كوخاً فضلاً عن قصر: نعني أنه لا يملك كوخاً ولا قصرأ، وعدم ملكه للقصر أولى بالانتفاء، فكأننا قلنا: لا يملك كوخاً فكيف يملك قصرأ؟

قال أبو حيان التوحيدي: «لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب».

ولست أرى بأساً باستعمال هذا التركيب، وإن كنت أرى أن قولنا: «لا يملك فلاناً بئله ديناراً» أبلغ» [١].

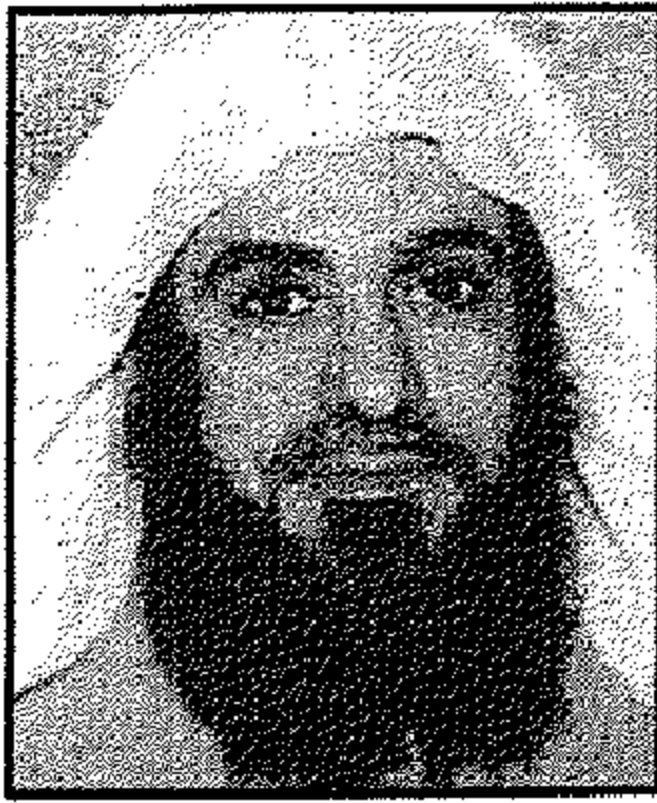
فصححة العبارة إذن: «هذا التعبير دليل على تغلغل قدسية التصوف في نفوس العامة فضلاً عن المثقفين» اهـ.

قال أبو عبد الرحمن: وحرصت أن أتمحل لتعبيري بوجه يخرج

قال أبو عبد الرحمن: اطلعت على مجلة المنهل العدد ٥٤٢ المجلد ٥٩ العام ٦٣ الربيعان عام ١٤١٨هـ، فوجدت في ص ٤ - ٥ تعليقاً لأخ كريم رمز لاسمه بأبي عبد الرحمن السالمي، وقال إنه من مصر يتعقب بحثي في تخطئة قولهم: «لا يملك درهماً فضلاً عن دينار».. وقبل المناقشة للأخ الكريم أحب أن أسوق تحقيقي لهذه المسألة بكتابي «مباديء في نظرية الشعر والجمال» المطبوع بنادي حائل الأدبي هذا العام .. قلت: «وفي كتابي هذا عن النظرية الشعرية والجمالية أوردت قول أحمد عبد المعطي حجازي:

«كما تمدنا الحضرة الصوفية».. فعلقت بقولي: «هذا التعبير دليل على تغلغل قدسية التصوف في نفوس المثقفين فضلاً عن العامة».

ولم أتنبه إلى أعجمية هذا الأسلوب، فكتب أخي الهدلق يقول: «قال العدناني: «ويقولون: فلان لا يملك ديناراً فضلاً عن فلس».. والصواب: فلان لا يملك فلساً



بقلم الاستاذ:
أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
- الرياض -

من اللكنة حفظاً لسمعتي العلمية، ولكنني وجدت العبارة فاسدة على كل تقدير، وليس العيب أن الأدنى لم يرد قبلها للنفي الأعلى الذي يأتي بعدها، فنقول كما قال العدناني: «لست أرى بأساً باستعمال هذا التركيب».

وليس الخلل في كون هذا التركيب لم يسمع من العرب، فقد برهنت في مباحثي أن التركيب عمل عقلي لا نقلي يشترط سماعه، وإنما المشتراط صحة المفردة لغة، وصحة التركيب نحواً وبلاغة. ولو كان وجه الخلل ذلك؛ لأخذنا استقراء أبي حيان على البال.

وإنما الخلل في كون كلمة «فضلاً» لا تنتج لغة هذا المعنى الذي فهموه من هذا التركيب الأعجمي. أي لا تنتج نفي الأعلى الذي بعدها، فقد استقرأت معانيها في المعجم، فلم أجد من بينها هذا النفي. لهذا أعتبر هذا التركيب عامياً لا يليق بالفصحاء، ولهذا أيضاً ألغيت عبارتي في التعليق على حجازي، ووضعت بديلاً خيراً منها.

ولقد بين ابن فارس أن الأصل في مادة الفاء والضاد واللام زيادة في شيء [٢].

وقال الراغب: «الفضل الزيادة عن الاقتصار، وذلك ضربان: محمود كفضل العلم والحلم، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه. والفضل في المحمود أكثر استعمالاً، والفضول في المذموم».

والفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات.

وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان. وعلى هذا النحو قوله سبحانه وتعالى: {ولقد كرّمنا بني آدم} (سورة الإسراء/٧٠) إلى قوله: «تفضيلاً».

وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر. فالأولان جوهران لا سبيل للناقص فيهما

أن يزيل نقصه، وأن يستفيد الفضل كالفرس والحصار. لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خص بها الإنسان. والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على اكتسابه، ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله سبحانه وتعالى: {والله فضل بعضكم على بعض في الرزق} (سورة النحل/٧١)، وقوله سبحانه: {لتبتغوا فضلاً من ربكم} (سورة الإسراء/١٢). يعني: المال وما يكتسب [٣].

قال أبو عبد الرحمن: الأصل في المادة الزيادة المحمود، ولهذا أخذ من المادة الوصف للمدح كفاضل، والتسمية للتيمن كالفضل، ثم توسع بها لكل زيادة وإن كانت غير محمود. والبقية تسمى فضلة وهي الأقل، وإنما روعي في تسميتها أنها بقيت زيادة عن الحاجة.

ونقل الزبيدي عن التوقيف للمناوي أن الفضل ابتداء إحسان بلا علة [٤].

قال أبو عبد الرحمن هذا الاصطلاح مبني على الحقيقة اللغوية، إذ الأصل الزيادة المحمود. وما زاد عن حاجة الكريم يتصدق به، فسمي فضلاً؛ لأنه زيادة، ولأنه زيادة ممدوحة.

وقال الزبيدي: «والفضولي بالضم المشتغل بما لا يعنيه». وقال الراغب: الفضول جمع الفضل. وقد استعمل الجمع استعمال المفرد فيما لا خير فيه؛ ولهذا نسب إليه على لفظه، فقليل: فضولي لمن يشتغل بما لا يعنيه؛ لأنه جعل علماً على نوع من الكلام فنزل منزلة المفرد. والفضولي في عرف الفقهاء من ليس بمالك ولا وكيل ولا ولي؟ زاد **الصاغانى:** وفتح الفاء منه خطأ [٥].

قال أبو عبد الرحمن: نلخص من معاني فضل دورانها على الزيادة، والبقية. وقولهم: «فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار» لا ينطبق على معنى فضل لغة؛ لأنك إن جعلت فضلاً بمعنى الزيادة كان المعنى: فلان لا يملك درهماً زيادة عن

دينار. . . وليس معنى الجملة نفي ملكه الدرهم والدينار معاً، بل المراد نفي ملكه الدرهم تنصيماً، ونفي ملكه للدينار بالأولوية.

وإن جعلت فضلاً بمعنى البقية كان المعنى: فلان لا يملك درهماً بقية عن دينار. . . وليس معنى الجملة نفي ملكه الدرهم. . . وبعد هذا فلا معنى لكون الدرهم بقية من دينار؛ لأن الدرهم جزء من الدينار، ولا يوصف بالبقية إلا في سياق خاص، كأن يكون في جراب دينار مصروفاً دراهم، فتجد في الجراب درهماً، فيقال لك: هذا بقية الدينار.

قال أبو عبد الرحمن: وبعد هذا التحرير - خلال رحلتي لتونس في الأسبوع الأخير من شهر شعبان عام ١٤١٧هـ - وجدت رسالة خطية لابن هشام بدار الكتب الوطنية التونسية برقم ٢٦٣٦ أجاب فيها على أسئلة نحوية أولها إعراب «فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار» [٦] وقال في هذه الرسالة: «وهذا التركيب زعم بعضهم أنه مسموع، وأنشد عليه:

فلا يبقى على هذا الغلق

صخرة صماء فضلاً عن رمل».

ثم قال: «وانتصاب فضلاً على وجهين محكيين عن الفارسي:

أحدهما: أن يكون مصدراً لفعل محذوف، وذلك الفعل نعت للنكرة.

والثاني: أن يكون حالا من معمول الفعل المذكور».

ثم قال: «يقال: فضل عنه، وعليه. . . بمعنى زاد».

فإن قدرته مصدراً فالتقدير: لا يملك درهماً يفضل فضلاً عن دينار. . . وذلك الفعل المحذوف صفة، بل يجوز أن يكون حالا».

ثم ذكر أن وجه الصفة أقوى؛ لأن نعت النكرة يكون أقيس.

وإن قدرته حالا فصاحبها يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ضمير المصدر محذوفاً [٧]. . . أي لا يملكه الملك.

الثاني: أن يكون درهماً حالا. . . وسوغ مجيء الحال من النكرة أنها في سياق النفي، فخرجت النكرة من حيز الإبهام إلى حيز العموم، وسوغه أيضاً ضعف مجيء الوصف هاهنا».

ثم قال: «فإن قلت: «هلا أجاز الفارسي في «فضلاً» كونه صفة لدرهم: قلت: زعم أبو حيان أن ذلك لا يجوز؛ لأنه لا يوصف بالمصدر إلا إذا أريدت المبالغة».

ثم رد على أبي حيان وناقشه، ثم حكم أن تنزيل وجوه الإعراب تلك على المعنى المراد عسر، ثم قال: «والذي يظهر لي في توجيه هذا الكلام أن يقال: إنه في الأصل جملتان مستقلتان، ولكن الجملة الثانية دخلها حذف كثير وتغير حصل الإشكال بسببه. . . وتوجيه ذلك أن يكون هذا الكلام في اللفظ أو في التقدير جواباً لمستخبر [٨] قال: أيمك فلان درهماً؟. . . أو رداً على مخبر قال: فلان يملك ديناراً».

ف قيل في الجواب: فلان لا يملك درهماً

ثم استؤنف كلام آخر. . . ولك في تقديره [٩] وجهان:

أحدهما: أن يقدر: أخبرتك بهذا زيادة عن الإخبار عن دينار استفهمت عنه - أو زيادة عن دينار أخبرتك بملكك له - ثم حذفت جملة «أخبرتك بهذا» وبقي معموله وهو «فضلاً».

والثاني: أن يقدر فضل انتفاء الدرهم عن فلان على انتفاء الدينار عنه. . . ومعنى ذلك أن يكون حالة هذا المذكور في الفقر معروفة عند الناس. . . والفقير إنما يُنفى عنه في العادة ملك الأشياء الحقيمة لا ملك الأموال الكثيرة [١٠]، فوقع نفي ملك الدرهم عنه في الوجود فاضل عن وقوع نفي الدينار عنه. أي أكثر منه».

قال أبو عبد الرحمن: الشاهد أورده ابن هشام

الملك للدرهم، ونفي الملك للدينار على سبيل الأولوية.

ودعوى التقدير بهذا الطول - على فرض صحتها - تفسر استعمال هذه الجملة بهذا المعنى غير المطابق لمعاني فضل اللغوية، ولا تسوغ مشروعية استعمالها؛ لتغير فضلاً من معنى الزيادة إلى الأولوية.

ولو فتح باب دعوى التقدير بمثل هذا - دون برهان - لما ساغ وجود خطأ أو عامية.

وأما تقدير ابن هشام الثاني فينحو إلى استعمال فضلاً بمعنى البقية، وهذا صحيح في لغة العرب، والمعنى حينئذ: فلان لا يملك درهماً، وهذا المنفي فاضل عن نفي الأكثر وهو الدينار . . . وهذا المعنى الصحيح لغة لا يكاد يظهر وجهه نحواً، وعلى توجهه فالمنفي إنما هو الأقل الفاضل عن نفي الأكثر . . . وإنما جاء هذا بدلالة خارجية هو أن الفقير يُنفي عنه الحقيق من الأشياء . . . وهذه الدلالة غير مسلمة؛ لأن الفقير ما كان فقيراً إلا بنفي ما يسد خلته من الضروري لا من الحقيق.

وعلى التسليم بهذه الدلالة فلا يكون معناها كما قال ابن هشام «وقوع نفي ملك الدرهم عنه في الوجود فاضل عن وقوع نفي الدينار عنه»، وذلك لسببين:

أولهما: أن الناس - في دعوى ابن هشام - نفوا الحقيق ولم ينفوا الكثير . . . فصار نفي الكثير من باب أولى . . . لا أن الحقيق الذي نفوه عقيدة فاضل عن الكثير الذي لم ينفوه إلا بدلالة العقل بدلالة الأولوية.

وثانيهما: ليس نفي ملك الدرهم فضلاً عن نفي ملك الدينار؛ لأن من لا يملك الدينار قد يملك الدرهم . . . وإنما نفي ملك الدينار حاصل من نفي ملكية الدرهم . . . وقد عبر عن هذا المعنى بكلمة لا تدل عليه وهي «فضلاً» ومعناها الزيادة أو البقية،

بصيغة «زعم» ولم يُعز إلى قائل، ولم يُحقق ثبوته عن العرب، ولعله - إن صح - عن راجز بعد فساد السليقة، وهو لا يوافق معاني «فضل» في لغة العرب، وهذا يكفي في رده؛ لأن المعجم المنقول أثبت وأوجب مما ينافيه من دعوى شاهد لم يحقق.

وأما إعراب فضلاً مصدراً فتقديره: لا يملك درهماً يفضل فضلاً عن دينار . وهذا الوجه الإعرابي الصحيح لا يطابق معنى الجملة المراد، وهو أنه لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً .
والإعراب يوهم أحد معنيين هما:

١ - أنه لا يملك درهماً يفضل عن دينار . . أي لا يملك درهماً يفضل عن ملكه ديناراً . . ومعنى الجملة: لا يملك ديناراً من باب أولى .
٢ - أنه لا يملك درهماً يفضل عن دينار . . أي يفضل عن جملة الدينار المكوّن من دراهم . . فهو لا يملك جزءاً من دينار .

وهذا يحقق بعض معنى الجملة وهو انتفاء ملكه لجزء من دينار وهو الدرهم، ولا يحقق بقية معنى الجملة وهو أنه لا يملك كل الدينار من باب أولى .
وهكذا إعرابه حالاً تقديره: لا يملك درهماً حالة كونه فاضلاً عن دينار . . وهو يحتمل الاحتمالين المذكورين آنفاً عن الإعراب بالمصدر، ويخالف المعنى المستعمل لجملة «فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار».

وجه المخالفة في كل ذلك أن فضلاً لغة لا تدل على معنى أولوية المنفي في الجملة المذكورة.

وأما تقدير ابن هشام على الوجه الأول فيصح لغة ونحواً ما بقي المقدّر ظاهراً، أو ما بقيت الجملة في سياق يشعر بأن المقدّر زيادة الخبر أو الإخبار .

أما جملة «فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار» فالمعنى الذي تستعمل له لا يقتضي تقدير زيادة الخبر أو الاستخبار، وإنما يقتضي نفي

وقد استعملت بمعنى الأولوية، وليس ذلك من معانيها» [١١].

قال أبو عبد الرحمن: هذا نص تحقيقي للمسألة ثم أعود إلى كلام الأستاذ السالمي بالتفصيل على هذا النحو:

١ - ذكر الأستاذ السالمي صعوبة البحث اللغوي لمشكلات قال: إنها تحتاج إلى بحث مفرد... وإنما ذكر اتساع مجال البحث، ثم فسر اتساع مجال البحث بتشعب المصادر، وتعذر استقصائها، وإحجام دور النشر عن طبع الموسوعات مثل تهذيب الأزهرى، وعباب الصاغانى، وجاسوس الشدياق... وياليت ذكر ولو مجرد عناوين عن المشاكل التي انتجت صعوبة البحث اللغوي.

قال أبو عبد الرحمن: ها هنا وقفات:

الوقف الأولى: أن اتساع مجال البحث غير مشكلة اتساع المصادر وتشعبها... فالمشكلة الأولى حرية إرادية يجدها الباحث حسب قدرته وإمكاناته، والثانية قسرية مفروضة عليه.

والوقف الثانية: أن الإحاطة بالمسألة اللغوية، ومعرفة القطع والرجحان والاحتمال الذي يستوي طرفاه: غير متعسر ولا متعذر وإن تعذرت الإحاطة بكل مصدر مفقود ومخطوط ومطبوع؛ لأن جمع المادة، واستنباط الأصول والقواعد ليس جهد فرد؛ ولكنه جهد علماء خلال أربعة عشر قرناً... فالمادة بهذا الزمن وبتلك الجهود مما يقبل الحصر، وقد ظل العلماء يروون ويَقْعِدُونَ منذ عصر السليقة إلى عهد الزبيدي وشيخه آخر القرن الثاني عشر الهجري.

والوقف الثالثة: أن من اللغة معاني كثيرة ومفردات قليلة لم تدون وبقيت بالتوارث مشافهة كما بينت في مقدمتي لكتاب الفصام عن أشعار الدواسر، وفي مباحث نشرت لي بهذا الصدد... إلا أن هذا القدر الموجود واقعاً المعطل تدويناً لا

يعطل العلم بما علم من جمهرة اللغة مادة وتدويناً.

والوقف الرابعة: أن الجاسوس طبع وصور مرات، ولا يترتب على فقد ضياع شيء من اللغة وأصولها... وتهذيب اللغة طبع مرتين، ومادته في تاج العروس وغيره... والعباب لا يوجد كاملاً، ولا يوجد غير قليل منه... مع أن كل مادته مدونة في التاج وغيره.

٢ - يرى الأستاذ السالمي أنني لم أستوعب النظر في المعجمات المشهورة، وأنه فاتني ما ذكره الفيومي عن القطب الشيرازي.

قال أبو عبد الرحمن: لا والله ما فاتني ما ذكره من كلام القطب، ولا مالم يذكره ككلام أبي علي الفارسي وغيره... كما مر من تحقيقي للمسألة، وما نشرته بالمنهل لم يكن نقلاً مقتصداً، ولم يكن نقلاً ينحو إلى الاستيعاب، وإنما كان نشرًا للجانب الفكري في المسألة... أما الجانب النقلي فمائل أمام المهتمين وأهل الاختصاص، وقد أسلفت الاستيعاب النقلي في مناسبة سابقة.

٣ - قال الأستاذ السالمي: «ولكننا نلمح في أثناء كلامه ما يدل على أنه يذهب إلى لحن هذا الاستعمال في العربية؛ لإصراره على رد كل الوجوه الإعرابية في كلام ابن هشام؛ إما لأنها بعيدة وإما لأنها لا تطابق مراد المتكلم، وهذا صواب، ولكنه ينسحب على مراد المتكلم، وهو «الأولوية» أيضاً، فكل تقدير تقدره - على أن معنى (فضلاً) هو الأولوية - سيكون بعيداً مثل بعد التقديرات المذكورة».

قال أبو عبد الرحمن: هذا كلام يعوز فهمه، ولكنني ألخص ما سبق لي من رأي وأزيده إيضاحاً وفق هذه الوقفات، ثم أعود إلى هذه الجملة من كلام السالمي.

الوقف الأولى: أن هناك مراد المتكلم، وهناك مدلول اللغة، وهناك دلالات التركيب نحواً

وبلاغة... كل هذا موجود في جملة «فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار».

فأما مراد المتكلم فواضح، وهو نفي ملك الأقل لنفي الأكثر... ولكن ليس كل كلام متكلم عرف مراده يكون موافقاً للغة العرب، بل يعرف مراد المتكلم بكلمة ملحونة، وبتركيب عامي.

وأما مدلول اللغة فليس لكلمة «فضلاً» مدلول لغوي عربي صحيح غير الزيادة حسياً أو معنوياً، وغير البقية مجازاً... والأصل فيها الزيادة عن الحاجة... وكل هذه المعاني غير متحققة لكلمة فضلاً في قولهم: «فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار» كما أسلفت بيان ذلك... إذن هذا الاستعمال غير صحيح عربياً؛ لأنه يقتضي معنى لكلمة «فضلاً» غير معناها اللغوي الفصيح.

وأما دلالة التركيب نحواً أو بلاغة فلها تقديرات كل منها يصح لغة وبلاغة... ولكن ليس كل جملة يصح تركيبها نحواً أو بلاغة تكون صحيحة المفردات لغة، فقد أقول: «كنهم قطاوة تنفص عيونها» فأعرب قطاوة بالرفع خبراً لكأنهم، وأعرب عيونها مفعولاً لتنفص، وتكون الجملة صحيحة نحواً... ولكن اللغة لا تمدني بصحة كن بمعنى كأن، ولا بالقطاوة جمعاً للقط، ولا بالتنفص بمعنى بروز العيون... وإن كان للمعنى الأخير وجه من المجاز.

والوقف الثانية: رددت كل التقديرات الإعرابية لا من ناحية صحتها نحواً؛ بل لأنها لا تطابق معنى «فضلاً» لغة... وكل باحث في المسائل العويصة لا يد له من حدة الملاحظة، ودقة التمييز بين الفروق الخفية المؤثرة.

والوقف الثالثة: قوله «فكل تقدير تقدره على أن معنى «فضلاً» هو الأولوية سيكون بعيداً مثل بعد التقديرات المذكورة».

قال أبو عبد الرحمن: هذه غفلة صلعاء، فليست الأولوية معنى لفضلاً لغة، وليست الأولوية معنى

للجملة مقدراً نحواً... إنما الأولوية هي مراد المتكلم بقوله: «فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار»... المعنى ما دام لا يملك درهماً فمن باب أولى أنه لا يملك ديناراً؛ لأن نفي ملك الأقل يقتضي حساً وعقلاً بحتمية ضرورية نفي الأكثر... وهذا المعنى للجملة عند مستعملها محل إجماع لم يختلف فيه مجيزو الجملة لغة، ولا المانعون منها لغة... وهذا المعنى معقول الكلام وضرورته وليس تقديره... وهذا المعنى المفهوم من مراد المتكلم ضرورة هو محل هاهنا: هل يجوز التعبير عنه لغة بكلمة «فضلاً عن» أو لا يجوز؟

٤ - قال الأستاذ السالمي: «وكذلك فهناك تقديراً آخر فات ابن هشام، وهو الذي أفهمه من قول القائل «فضلاً عن»، وهو لا يملك درهماً فضلاً عن ذكر الدينار... أي «لا يملك درهماً» ثم يقول: أكتفي بقولي «درهماً» عن ذكر الدينار وليس هذا التقدير بمتكلف، ولا هو بمناف لمهيع كلام العرب، بل كلامها مليء بمثل هذا التوسع في القول».

قال أبو عبد الرحمن: هذا التقدير لم يفت ابن هشام، بل بسطه غاية البسط، فقال: «أن يقدر: أخبرتك بهذا زيادة عن الإخبار عن دينار استفهمت عنه - أو زيادة عن دينار أخبرتك بملكك له... ثم حذف جملة «أخبرتك بهذا» وبقي معموله وهو «فضلاً» فكلمة ابن هشام «أخبرتك بهذا» هي نفسها - على سبيل المرادفة - كلمة «ذكر».

قال أبو عبد الرحمن: وها هنا أمور: **أولها:** أن النفي حقيقة الملك لا مجرد ذكر الدينار.

وثانيها: أنه على فرض صحة هذا التقدير فالجملة تقتضي تقديراً آخر هو: فضلاً عن ذكر ملكه لدينار.

وثالثها: على فرض صحة التقدير فإنما يعني صحته نحواً، ولا يعني أن فضلاً تناسب هذا

السياق لغة؛ لأنك؛ إذا رجعت إلى معنى لـ (فضلاً) لغة فستقول: فلان لا يملك درهماً زيادةً عن ذكرى ملكه ديناراً، أو بقية عن ذكرى ملكه ديناراً... ولا معنى لـ (فضلاً) لغة غير هذين المعنيين... وهذان المعنيان غير معنى نفي ملكه الأكثر من باب أولى... وهذه الأولوية هي المجمع على أنها معنى الجملة عند من استخدمها ورضيها... إذن التقدير النحوي الصحيح لم ينتج معنى لغوياً صحيحاً لمفردة «فضلاً».

هـ - قال الأستاذ السالمي: «ولم يبين الشيخ - ربما لضيق المقام - تاريخ استعمال هذا التركيب... مع أن البحث عنه في كلام الأدباء قد يلقي الضوء على بعض وجوه صحة المعنى والمبنى، فربما وجد له شاهد يحتج به أو يستأنس به على أقل تقدير... لا سيما إذا لم يعرف عن علماء اللغة أن أحدهم أنكر مثل هذا التركيب».

وقد اجتهدت في البحث عن هذا التركيب في كتب الأدب فوجدت ما يشهد له، فقد قال ابن المقفع: «وَأَلَّا تَكُونَ دَبَّاعاً وَلَا حِجَاماً لِعَامِي فَضْلاً عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ الْمَلِكِ».

وابن المقفع متوفى سنة ١٤٥هـ أي في عصر الاحتجاج اللغوي!! بل إن ابن خالويه قال في كتاب ليس: «حدثنا ابن دريد: عن أبي حاتم: عن الأصمعي قال: قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً إلا قوله: العلم أكثر من أن يحاط بالكل منه، فاحفظوا البعض». وهذا سند صحيح عن الأصمعي، ويؤخذ من ذلك شيئان:

الأول: أن كلام ابن المقفع صحيح لغة... أو على الأقل يستأنس به في اللغة؛ لأن الاستثناء يخرج الكلام عن كونه مجاز تغليب.

الثاني: أن الأصمعي متشدد في اللغة؛ لأن هذه المسألة الوحيدة التي أنكرها على ابن المقفع أجاز استعمالها كثير من العلماء... قال الأزهري: النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل، وإن

أباه الأصمعي... ثم ذكر شواهد لصحة الكل إلى أن قال: «وهناك شاهد شعري من العصر العباسي، وهو قول صريع الغواني مسلم بن الوليد:

أطرق لما أتيت ممتحاً

فلم يقل لا فضلاً على نعم

وليس مرادي من ذكر هذه الشواهد إثبات صحة هذا التركيب بالقطع، ولكني إنما أعرض ما بلغه جهدي من البحث».

قال أبو عبد الرحمن: هذا شغب على المنقول والأصول، وإبطاله من وجوه:

أولها: لا خلاف بين اللغويين في تبيان معاني مادة فضل، ولم يدع أحد من نقلة المعجم أن فضلاً بمعنى «من باب أولى»... إذن لا حاجة للاستقراء عن أهل السليقة؛ لأن التعب في تحصيل الحاصل سفيه.

وثانيها: أن الخلاف في معنى جملة، وليس في معنى مفردة... والجملة المركبة عمل عقلي لا نقلي إلا من جهة النحو والبلاغة... وليس الخلاف في التقدير الإعرابي، ولا في الإيحاء البلاغي، وإنما الخلاف في معنى نفي الأكثر من باب أولى الذي هو معنى الجملة عند مستعملها... ووجه الخلاف أن هذا المعنى لا تدل عليه كلمة «فضلاً» بمعناها اللغوي.

وتركيب الكلام قُررت - بصيغة الفعل المبني للمجهول - قواعد بالاستقراء من كلام الفصحاء وقت السليقة، فلا يحتاج إلى استقراء بعد فساد السليقة؛ لأن الاستقراء بعد فساد السليقة: إما أن ينتج صحة القاعدة، وهذا تحصيل حاصل لا فائدة له إلا البرهنة على حفاظ المكتسبين للغة تعلماً على ما ورثوه من عرب السليقة... وليست هذه البرهنة محلاً للنزاع هاهنا... وإما أن ينتج الاستقراء فساد المثال، وهذا عناء لا فائدة، له إذ المتبّع لسان العرب لا ما دخل عليه... ولا فائدة

لهذا الاستقراء إلا البرهنة على أن غير أهل السليقة يخطئون... وليست هذه البرهنة محلاً للنزاع هاهنا.

وثالثها: كون ابن المقفع في وقت الاحتجاج باللغة لا يعني أن كل أهل الوقت حجة... بل الحجة في البادية أهل السليقة... وابن المقفع المستعرب من أهل الاكتساب وليس من أهل السليقة.

ورابعها: لو صح أن كلام الأصمعي استقراء لكل كلام ابن المقفع، وحكم بصحته حرفاً حرفاً، وحكم بصحته مفردة لغوية لا مجرد حكم بخلوه من اللحن النحوي... لو صح كل ذلك: لكان غفلة منه عن الخلل في «فضلا عنه»: لأن المضمنون فيه أن يحتكم إلى نقل أهل اللغة وهو واحد منهم... وها هي كتب اللغة المدونة منذ أبي مسحل والخليل والأصمعي والكسائي إلى الزبيدي وشيخه لم تذكر الأولوية معنى للفضل... والاستقراء الاشتقاقي المعنوي لمادة «فضل» لا يحقق ذلك.

وخامسها: بيت صريع الفواني كمنثور ابن المقفع، وكلهم من غير أهل السليقة.

وسادسها: أن علماء كباراً استخدموا هذا المعنى العامي؛ لأنه شاع استعماله، وسياقهم ليس في مجال التحقيق اللغوي لمادة «فضل»... من أولئك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنه قال: «فلا بد له من مرجح فضلاً عن تقرير هاتين المقدمتين» [١٢]... ولكن المرجع إلى اللغة وقت السليقة.

وسابعها: عجيب قول الأخ الكريم السالمي عن الجملة محل البحث: «لم يعرف عن علماء اللغة أن أحدهم أنكر مثل هذا التركيب».

قال أبو عبد الرحمن: إذن ما معنى قول أبي حيان التوحيدي: «لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب»؟... كما أن ابن هشام في رسالته المطولة حرص أن يجد لها مخرجاً ولم

يستطع إلا بتقديرات مضاعفة تحيل بنية الجملة، ولوح إلى هذه النتيجة في صدر رسالته.

٦ - قال الأستاذ السالمي: «وختاماً أقول إنه كان ينبغي للشيخ أن يذكر بديلاً عن التركيب الذي أنكره، وقد فكرت طويلاً في هذا البديل حتى وجدته، وهو كلمة «بله» بمعنى «دع».

قال أبو عبد الرحمن: على المحقق أن يبين ما وجده خطأ... أما البديل الصحيح فقضية أخرى لا لوم عليه إن تركه، وإن تناوله فهو متطوع.

على أن هذا البديل ذكرته بعينه في بحثي المذكور آنفاً... وليس من بنات أفكارني، وليس نتيجة التفكير الطويل الذي ذكره الأستاذ السالمي عن نفسه، فقد اختار العدناني في الأخطاء الشائعة كلمة «بله» كما اخترت في بحثي المذكور كلمة «فكيف يملك فلساً».

... والله المستعان...

الهوامش:

(١) الأخطاء الشائعة ص ١٩٥... قال أبو عبد الرحمن: وعبارة القطب الشيرازي نقلها عنه الزبيدي من كتابه شرح المفتاح، وذلك بتاج العروس ٥٨٢/١٥.

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٣٨.

(٣) المفردات ص ٦٣٩.

(٤) تاج العروس ٥٧٨/١٥.

(٥) تاج العروس ٥٨١/١٥.

(٦) تقع في مجموع، ومقدارها خمس عشرة صفحة، وهي كثيرة التصحيف والتحريف، وقد أوردها السيوطي بكتابه الأشباه والنظائر ١٣٠/٦ - ١٦٩، ولم يعلق عليها بشيء، وكذلك محقق الكتاب الدكتور عبد العال سالم مكرم لم يعلق بشيء على مسألة «فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار».

(٧) في الأصل: محنوف.

(٨) في الأصل: مستخير.

(٩) في الأصل: تقريره... والسياق يقتضي ما أثبتته، وهو المثبت في أشباه النظائر.

(١٠) في الأصل: الكثير.

(١١) مبادئ في نظرية الشعر والجمال ص ١٧ - ٢٤.

(١٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/٢.

محمد الصالح رمضان :

ورحلته

(سوانح

وارتسامات)



بقلم: د. عمر بن قينة

معهد اللغة العربية وآدابها

- الجزائر -

عرفت من بُعد الأستاذ (محمد الصالح رمضان) كاتباً وشاعراً، ولم أكد أشرع في الاقتراب منه حتى اكتشفت فيه الإنسان الأديب المتواضع الذي يغمرك بمعارفه ووده البريء من الرياء، كما لا يبخل عليك إن كنت باحثاً بما يتوفر عليه من معلومات ومصادر ومراجع، قد تضيع منه لدى بعض أحيانا .

عرفت هذا وغيره في الرجل ولم أعرفه كاتب رحلة شغوفاً بالسفر إلا منذ نشر رحلته «سوانح وارتسامات عابر سبيل» في حلقات بجريدة (الشعب) [١] الجزائرية سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م وبقيت الصورة في حاجة الى صقل شرع يتم حين بدأت تتواتر جلساتي الأدبية معه في بيته بحي (ابن عمر) في (القبة) بمدينة (الجزائر) ابتداء من سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

من هنا انطلقت أعيد قراءة الرجل من أكثر من جانب، وكان أول ما حاز اهتمامي أدبيا في هذه الفترة رحلته هذه التي يدرك فيها القراء كثيراً مما لم تبح به سائر آثاره الأخرى: كاتباً وشاعراً، وقد اتحد الكاتب والشاعر في هذه الرحلة أيما اتحاد، شعوراً وإبداعاً، فتناغمت اللوحة النثرية مع الصورة الشعرية تناغماً عذبا لذيذا .

وإن كان الأستاذ (محمد الصالح رمضان) في غنى عن التعريف بالنسبة للحركة الأدبية الجزائرية فإن ذلك ضروري عربياً وإسلامياً وأجنبياً، فهو من رجال الحركة الفكرية والتعليمية والإصلاحية الحديثة .

ولد سنة (١٩١٤م) في (القنطرة) من ولاية (باتنة) بالشرق الجزائري، درس في مسقط رأسه، وعلى يد (عبد الحميد بن باديس) وقد عينه هذا معلماً في (مدرسة التربية والتعليم) سنة (١٩٣٧م) ومرشداً لفوج (الرجاء) في (الكشافة الإسلامية الجزائرية) ثم معلماً في مدرسة (جمعية العلماء) بمدينة (غليزان) ومديراً لمدرسة (دار الحديث) في (تلمسان) .

وبعد الاستقلال (١٩٦٢) عين مديراً للتعليم الديني في (وزارة الأوقاف) ثم التحق في (١٩٦٤م) بوزارة التربية الوطنية أستاذاً في اللغة العربية، حتى أحيل على المعاش سنة (١٩٨٠م) وهي السنة التي صار فيها عضواً (المجلس الإسلامي الأعلى) بعد تأسيسه .

له عدة أعمال، مطبوعة ومخطوطة، من المطبوع (جغرافية الجزائر والعالم العربي) ١٩٦٤م، (الحن الفتوة) - شعر - ١٩٥٢، (الخنساء) - مسرحية - ١٩٨٦ (ط٢) فضلا عن عشرات البحوث والمقالات. أما رحلته (سوانح وارتسامات عابر سبيل) فقد نُشر قسمها: الأول والثاني في حلقات بجريدة (الشعب) سنة (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ولم ينشر القسم الثالث لاعتبارات عديدة صحفية وسواها فيما يبدو، لكنها في مجموعها تخاطب عقل القارئ ووجدانه، تفيد وتمتعه.

وهي رحلة الى (بولونيا) سنة (١٩٥٥م) أعتبرها في مقدمة نماذج النثرية، وقد تألق الأديب فكرا وأسلوبا في فقرات عديدة، في صلتة بالناس والطبيعة، ورد الفعل تجاه موقف أو حركة أو منظر من صور الطبيعة: في حلة رومانسية زاهية على الأرض الفرنسية... والسويسرية وسواها، أو صورة الحياة الزاخرة المشعة بشرا وأملا تنهض من خراب ودمار تركته مدافع النازية وقنابلها في (فرصوفيا) مرورا في كل ذلك بالتوق الوطني الحالم باستقلال (الجزائر) المأمول؛ لتكون حرة كسائر الدول ذات التاريخ العريق.

كانت الرحلة في وفد رسمي، تعدد أفرادها، واختلفت مشاربهم وغاياتهم عنوانها «سوانح وارتسامات عابر سبيل» متلوا بعنوان فرعي «رحلة الى مهرجان الشباب في فرصوفيا ١٩٥٥م» وعلى هامش ذلك عنوان دال يقول نصا: «نبضات قلب في كلمات، وخطرات فكر في صفحات، وتأملات شاعر في وقفات».

وقد (أعد) الكاتب - منهجيا - رحلته هذه في ثلاثة أقسام؛ هي: (الرحلة الى بولونيا) (فرصوفيا مدينة المهرجان الخامس) (من وحي الرحلة).

ففي القسم الأول شرع الكاتب يصف السفر بحرا فبرا من (الجزائر) الى (بولونيا) ابتداء من يوم (٢٥ يولييه ١٩٥٥م) وقد لاح له (البحر الأبيض) حاجزا طبيعيا، تاريخيا وجغرافيا بين (الجزائر) المجاهدة يومئذ و(فرنسا) المستعمرة.

لكن الأرض الأوروبية: تاريخا وألوانا طبيعية وأنماط حياة سرعان ما تشرع تمارس هيمنتها وسحرها في فكر الكاتب وعلى عاطفته، ابتداء من الساحل اللانوردي (La Cote d'Azur) على الأرض الفرنسية، مرورا بالريفيرا الإيطالية،

وطبيعة الحياة في (فيينا) بالنمسا و(تشيكوسلوفاكيا) حتى (بولونيا) وحط الرجال في (فرصوفيا) خمسة عشر يوما ليعيش أجواء مهرجان دولي يحضره واحد وثلاثون ألف مشارك، من وفود عالمية مختلفة.

وقد أثر الكاتب في نهاية هذا القسم الأول أن يحدثنا عن العودة ومسارها، في الرابع عشر من شهر أغسطس مؤجلا تفاصيل انطباعاته الى القسم الثاني، حيث ذكر خط الرحلة من (بولونيا) الى (تشيكوسلوفاكيا) فالنمسا و(سويسرا) التي خصها بحديث تاريخي وجغرافي لينتهي منها الى الحديث عن الطريق الى (ليون) الفرنسية ثم (مارسيليا) للعودة منها جوا هذه المرة الى (الجزائر).

أما القسم الثاني (فرصوفيا مدينة المهرجان الخامس) فقد افتتحه الكاتب بنبذة تاريخية عن فكرة المهرجان الوليدة (سنة ١٩٤٥م) المجسدة لأول مرة في المهرجان الأول (١٩٤٧م) في (براغ) والثاني في (بودابست ١٩٤٩م) والثالث في (برلين الشرقية ١٩٥١م) والرابع في (بوخارست ١٩٥٢م).

ثم ينصرف الى وصف أجواء (المهرجان الخامس) الذي ملأ الحياة في (فرصوفيا) بشرا وحبورا، وحول المدينة الى (عاصمة) عالمية للشباب، تعج بالمرح والحياة والتوادم، وهي الفرصة التي استدرجت وضع الشاب الجزائري في وطنه تحت نير الاحتلال الفرنسي، فتقتحم الذاكرة صور المجازر الاستعمارية الفرنسية، خصوصا تلك التي جرت في (١٩٤٥م) ولم تكن مفصولة في جوهرها عن مجازر (ستالين) خلال (٣٦ - ١٩٣٧) ومجازر (هتلر) في (١٩٤٣م) وقبلها وبعدها.

في هذا الجو الزاخر: ألقا ويشرا وحبورا: كان الكاتب وصديقه المرافق في الرحلة (حفناوي هالي) يعبان من جمال الطبيعة والبشر وصور الأمل والتوق العنيد، وقد توفرت عناصر بهجة تزيل كدرا وتمنح دفئا وسلاما «الماء والخضرة والوجه الحسن» فقادتاهما أقدامهما الى (حديقة الحيوانات) على ضفاف (الفيستول) فأمتعا النظر والقلب بمشاهد الطبيعة الزاخرة: أشجارا وطيورا، وماء وحيطان، وما كادا يتوقفان أمام بركة يتأملانها حتى اقتحمت عليهما عالمهما (شقراوان)

«كأنهما توأمتان» رافقتاهما، وتبادلتا معهما الحديث (بلغة فرنسية) فكان لسحر جمال وعذوبة لفظ، وحركة وشعور فعل عاصف، تصوره صاحب الرحلة يجتاح كيان رفيقه (هالي) فأنجب خيال الكاتب الشاعر (رمضان) قصيدة عذبة عن صاحبه بعنوان: «شيخ من صحراء الجزائر في مهرجان الشباب بوارسو سنة ١٩٥٥م» بعد تلك الأمسية، وقد خيل للشاعر في تلك الليلة أن صاحبه يعاني في نومه ٠٠ ما اجتاح نفسه من أشواق روح وجسد، حتى هرع الى الله ملاذاً، أملاً في عفوه ومغفرته.

تحدث الكاتب في هذا القسم عن الأرض والإنسان في واقع جديد بعد حرب مدمرة، حيث ينشط الإنسان العامل المستبشر، فقد انطباعات غزيرة مختلفة، انطباعات رحالة فعلاً، لا رجل تاريخ وجغرافية ولا باحثاً في علم اجتماع، ومن ذلك حديثه عن (قصر الثقافة) العملاق، من دون إقصاء للصور السلبية وهي تقتحم الذاكرة في (حمامات الدماء) التي ارتكبتها (الدكتاتوريات) في كل العصور، ومنها (دكتاتورية) الحكم الفرنسي في (الجزائر) حيث القيمة للأوروبي ولو كان منبوذاً في (غابة) ولا قيمة لشعب كامل كالشعب الجزائري - بمنطق الاستعمار - ولو كان شعباً عظيماً بتاريخه، وهو منطق الحقد والعنصرية:

«قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر»

«وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر»

لذا سرعان ما تتراجع الصور المبهجة في فقرات من هذا القسم حين تغمرها الذكرى بصور الجرائم الاستعمارية في المعمورة كلها، وفي مقدمتها جرائم الاحتلال الفرنسي في (الجزائر).

ويتوج الكاتب رحلته بقسم ثالث عنوانه: (من وحي الرحلة) وقد جاء في شكل تعقيب وتعليق، عن تواريخ، وقضايا، ومواقف، وفيه أدرج الكاتب قصيدتين مطولتين له، أولاهما في (١٠٠ بيت) بعنوان: «فرصوفيا المحطة» صور فيها أحاسيسه ومشاعره عن ألوان الدمار الشامل الذي أصاب المدينة (في الحرب العالمية الثانية) ثم صورة المدينة الجديدة الناهضة من الحطام والخراب.

أما القصيدة الثانية فقد صور ما تخيله من مشاعر وهموم وأشواق باتت رابضة على قلب رفيقه (الحفناوي هالي) بعد اللقاء بالفتاتين،

فيختلق خيال الشاعر حجة للغوص في عالم صاحبه الخفي بالنفس بعدما أخذ هذا للنوم، على أثر تلك الأمسية؛ فيزعم (الكاتب) أنه اخترع (جهازاً) يجس به ما كان يدور في نفس صاحبه، بعدما «استسلم للنوم» وبدأ يحلم ويستعرض ما مر عليه في تلك العشية، ركبت له الجهاز ليسجل ما يدور بخلد، يهفو له قلبه، وتطلع اليه نفسه من أمان عذاب» وكانت القصيدة بعنوان: «شيخ من صحراء الجزائر في مهرجان الشباب بوارسو سنة ١٩٥٥م) كما سبق:

أمسية ما إن رأيت كمثها

فيما مضى من سالف الأزمان

وشربت من ماء الحياة فأينعت

أوراق حبي الذابل الأغصان

فالماء يحيي الأرض بعد مماتها

والحب يحيي الروح في الانسان [٢]

وهي قصيدة عذبة، بلغة موحية، وبمضمون إنساني رفيع، تقع في (١٠٢ بيتاً) يختتمها النائم الحالم تحت «جهاز المراقبة» لصاحب الرحلة بقوله:

خمسون عاماً من حياتي تنتضي

بتعلم وتفهم القرآن

واليوم تعصف بي عواصف فتنة

هوجاء من نفسي على إيمان

رحماك ربي لا تؤاخذ من صبا

رحماك، كم للحب من سلطان

رحماك إني إن صبأت فلم أرد

غير الصبابة للصباء الريان

أنت الجميل وكل ما أبدعته

حقاً جميل فائق أغراني [٣]

وقد أدرج صاحب الرحلة في هذا القسم تعريفاً ببولونيا، ذا طابع تاريخي، جغرافي، اجتماعي، سياسي، اقتصادي، سياحي أيضاً. كتب بعضه إبان الفترة التي كتب فيها الرحلة، وكتب أهمه متأخراً بعد السبعينيات لقرينة مرجع استعمله، فبدأ هذا الموضوع مكملًا من الزاوية العلمية، وليس من الناحية الأدبية الفنية الخالصة في الرحلة.

من هنا تتبغي الإشارة السريعة الى منهج الأستاذ (محمد الصالح رمضان) الرحالة في

كتابته هذا الفن الأدبي؛ فقد بدا ساعيا بين القدامى في حرصهم على الجانب التعليمي: تاريخا وجغرافية واقتصادا وسواها وبين أسلوب الرحالة الحديث خصوصا الأديب في حرصه على تسجيل مشاعره وانطباعاته المختلفة: سلبا وإيجابا، من دون تقييد بما يمكن أن يثبت أو ينفي صورة سلبية أو إيجابية، لأن ذلك موقوف على تجربة الكاتب وعلاقته بالمحيط، وطبيعة الاحتكاك بالناس، وظروف الصلة التي غالبا ما تكون عرضة للخطأ والصواب... فتترتب عنها أحكام وانطباعات قد تكون صائبة في موضع وزمان، وخاطئة في زمان آخر، وربما في نفس الموضع.

لقد بقي (محمد الصالح رمضان): المعلم - أكثر من أربعين سنة - والمؤلف الجغرافي حاضرا في هذا التقسيم فالنزعة التعليمية والتاريخية الجغرافية وراء ذلك، وهي التي جعلته يقول عند الحديث عن العودة «لم أعرف بفرنسا كما فعلت بالدول التي مررنا بها لأنها معروفة لقرائنا أكثر من تلك الدول» [٤] وهذا مما يجنح به إلى المدرسة القديمة في أدب الرحلات التي لا تقنع بالانطباع العام أو المحدود في الاحتكاك المباشر بوجوه الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بل تنحو نحو جعل من الرحلة عملا تاريخيا، لا مجرد وثيقة، كنوع أدبي مساعد، مثل الأنواع الأدبية الأخرى، كما بقي أيضا (محمد الصالح رمضان) الأديب الفنان متواجدا عبر ذلك كله في الأسلوب الأدبي، في نقل الصور الفنية الدقيقة، وإعلان الانطباعات الموحية التي لا يخطئها إلا قلم أديب... مبدع، دق إحساسه، واتسع خياله وامتلك أداة تعبيره.

لقد عبرت هذه الرحلة عن تجربة إنسانية ذات عمق مختلف الأبعاد: شخصية وعامة، ورغم حرص الكاتب في رحلته إفادة قارئه بمعلومات علمية: تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية فإن ذلك لم يجعل منها نصا تاريخيا جافا، كما لم يحل بينها وبين الظلال الإنسانية التي حفلت بها كرحلة معاصرة مثلما لم يحل بينها وبين الطلاوة المرغوبة في كل رحلة أدبية معاصرة، في الجزئيات الصغيرة نفسها، والكاتب يلوذ بالتأمل في منظر طبيعي، أو في حركة إنسانية، أو في عناق حميمي بين زرقة البحر، واخضرار

الطبيعة على الساحل، وما يتخلل ذلك من مفان جميلة ساحرة، أو من علاقات إنسانية ودودة في سمو رفيع، أو من انسياب القطار في السهول والجبال في الظلمة الحالكة كخيوط ضوء دقيق يشق العتمة في صمت مطبق... يعطي اللحظة نكهتها، وجلالها وجمالها.

والرحلة بذلك وبسواه، مما قيل ومما لم يقل: معلم من معالم الرحلة الجزائرية الحديثة في القرن العشرين التي اتجه أصحابها إلى أوروبا؛ فلم يعلن صاحبها انبهارا تاما بحضارة، ولا دعوة إلى مذهب وإن أشاد بقيم الجد والعمل، بل صور واقعا وبلدانا حرة أو متحررة حديثا وفي نفسه آمال وأشواق إلى تحرر وطنه من الاحتلال الفرنسي؛ فعكست الرحلة في جميع الحالات شخصية صاحبها كأديب أو كاتب - عموما - مهتم بقضايا أمته العربية الجزائرية، كما تأخذ بلبه المواقف الإنسانية الإيجابية والصور الجميلة، مثلما يترع قلبه الشوق إلى الخير والحب يملأ عالم الناس، وقد اغتسلوا من أدران الحقد وإرادة الإبادة والدمار.

خلال ذلك وهذا وغيره في هذه الرحلة يكشف القاريء في (محمد الصالح رمضان) شغف الرحالة، وعقل المؤلف ونزوع الجغرافي، وتفكير المعلم وأسلوبه، وروح الأديب وأداته، معظم ذلك بلغة الأديب وأسلوبه يطربه المنظر، وتهز وجدانه الصورة الموحية، واللفتة الدالة؛ فيصور ذلك بلغة أنيقة حتى وهو يقدم حقيقة علمية أو صورة طبيعية مألوفة، وهو مما يجعل هذه الرحلة إضافة نوعية في مسار أدب الرحلة الجزائرية خلال هذا القرن الذي ينتظر مزيدا من جهد الباحثين واجتهادهم.

الهوامش:

(١) نُشر من الرحلة قسمان في الجريدة، من دون القسم الثالث، ابتداء من العدد ٧٣٩٦، في ٥ ذي الحجة ١٤٠٧ هـ (١ أوت ١٩٨٧ م) وانتهاء بالعدد: ٧٤٢٣، في ١٣ من المحرم ١٤٠٨ هـ / ٧ سبتمبر ١٩٨٧ م.

وقد تكرم الأستاذ (محمد الصالح رمضان) علي بنسخة مخطوطة، مرقونة في ثمان وتسعين صفحة، ضمت الأقسام الثلاثة فاعتمدتها أول مرة في كتابي (اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، يولية ١٩٩٥ م إضافة إلى اعتمادي ما نشر في الجريدة.

(٢) سوانح وارتسامات، محمد الصالح رمضان، مخطوط، ص ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢.

التجربة الإبداعية عند البريكي

والتلفزيون وشارك في العديد من المؤتمرات الثقافية.

له ديوان شعر معد للنشر وله ديوان شعر آخر تحت الإعداد وصدر له ديوان شعر للأطفال «ربيع الأمل» عام ١٤١٦هـ وقد لاقى استحسان الكثير من الأدباء وله ديوان شعر آخر للأطفال معد للنشر. وله عدد من المؤلفات العلمية والأدبية في مراحل مختلفة من الإعداد. ونحن من خلال هذا اللقاء نحاول أن نسلط الضوء على تجربة الشاعر الإبداعية في عالم الأدب مع التطرق لمراحل حياته العلمية والأدبية ومشواره الإبداعي.

الممثل:

«الأكاديمي» و«الوجداني» يبدوان شخصيتين منفصلتين لكل منهما مكوناته الخاصة به... ترى إلى أي حد استطعت الجمع بينهما؟

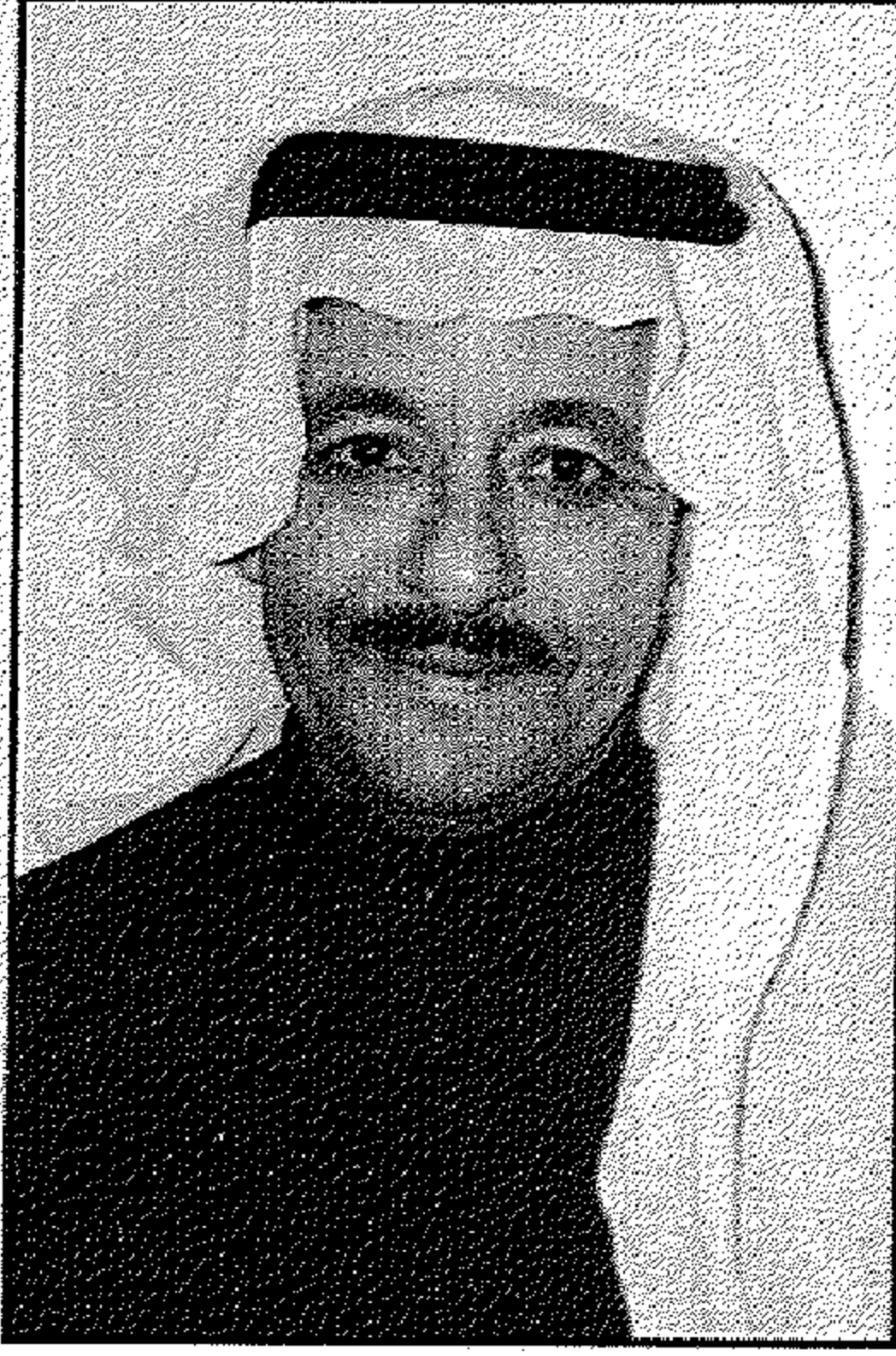
** يعود الفضل في اهتمامي باللغة العربية والأدب والشعر والثقافة بوجه عام إلى البيئة التي نشأت بها. فقد كان والدي - رحمه الله - عالماً دينياً ومعلماً وكانت له مكتبة تحتوي على كتب متنوعة الموضوعات. وكان يهتم كثيراً بتدريس اللغة العربية وعلومها، وعلى يديه درست الفقه والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من أساسيات اللغة

حوار: عقيل بن ناجي المكين
- الرياض -

في لقائنا هذا نستضيف أحد الشعراء السعوديين الذين ساهموا في إثراء المشهد الشعري بهذا الوطن المعطاء وهو الأستاذ محمد سعيد البريكي.

ولد في مدينة القطيف عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٣م) بالمنطقة الشرقية، درس علوم اللغة العربية والفقه على يد والده المرحوم الشيخ ميرزا حسين البريكي، أتم تعليمه الابتدائي والثانوي بالمملكة، أجيز في الكيمياء والأحياء الطبية والإدارة التربوية من عدد من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية.

ينظم الشعر باللغتين العربية والإنجليزية وقد عمل عضواً في هيئة التدريس بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن وفي معهد بحوثها قبل انتقاله للعمل في مجال الصناعة، وقد صدر له ترجمة كتاب «أدوية ضغط الدم» عام ١٤١١هـ وترجمة كتاب «سلوك المنشقات: البلهارسيا» عام ١٤١٥هـ وقد قدم له بمقدمة علمية وافية عن المرض ومسبباته وتشخيصه وطرق مكافحته وعلاجه، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة. هذا في الجانب العلمي، أما في الجانب الأدبي فقد نشر له الكثير من القصائد والمقالات في كثير من الصحف والمجلات العربية وشارك في العديد من الندوات الأدبية والثقافية في النوادي الأدبية والإذاعة



محمد سعيد البريكي

يوجد الإبداع
في العلوم أو
الآداب، وقد
يفسر وجود
هذا العامل
المشترك بين
العلوم الطبيعية
والآداب
والفنون قدرة
المرء على
التوفيق بينها .

العربية وكان منزلنا يضم الأدباء والعلماء بشكل مستمر، وكنت أقع تحت طائلة الإمتحان في هذه العلوم ممن يضمهم مجلس والدي ومنه أيضاً، وكان يشجعني على الكتابة والخطابة لذلك فقد كتبت الشعر وأنا في بداية دراستي المتوسطة . ولابد من الإشارة إلى أن البيئة المحلية التي نشأت بها كانت نشطة من الناحية الأدبية كما أنها تتمتع بمظاهر طبيعية تحفز على الإبداع فهناك البحر والنخيل والحدائق والينابيع الطبيعية من جهة والصحراء من جهة أخرى .

وعلى الرغم من هذا الجو الأدبي البحت فقد نمت ميولي للعلوم الطبيعية في مرحلة مبكرة من مراحل تحصيلي الدراسي، قرأت شيئاً من العلوم الطبيعية في بعض الكتب التي ضمتها مكتبة والدي، وعشقت متابعة الكائنات الحية في بيئتها الطبيعية ومارست تشريح الحيوانات ونقلها مشرحة إلى المدرسة . وعندما تخصصت في العلوم الطبيعية كان الشعر والأدب هو جهة التنفيس في جو العلوم حيث الدقة في التعبير وحياد الكلمات هو النمط المقبول وقد واصلت دراستي الأدبية أثناء دراستي العلمية فدرست الأدب الإنجليزي والشعر

وكتبت الشعر باللغة الإنجليزية، كما درست اللغة الفرنسية وقرأت لبعض أدبائها بالفرنسية وشاركت في نشاطات أدبية عربية أثناء دراستي العلمية الجامعية .

وإذا تعمقنا في الموضوع فإن العلوم الطبيعية والشعر والفن تلتقي في كونها مدعاة للتخليق إلى أجواء بعيدة عن المألوف والإنعتاق من عالم الرتابة وبدون هذا العنصر لا

المطل:

الإبداع: ماذا يعني عند الأستاذ البريكي؟ وما هي طقوسه الخاصة بك؟..

** مفهوم الإبداع يعني لي ذلك النتاج الذهني المبتكر، الذي يوجه الأنظار إليه تميزه - في بابه - عما هو ظاهر ومألوف ومبتذل، ويندرج تحت هذا التعميم نشاط الإنسان في العلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية، والفنون التشكيلية والغنائية، وكذلك الحرف، بالنسبة للطقوس الخاصة بالإبداع الخاصة بي ككاتب وشاعر (أي أين ومتى أكتب وما هي الظروف المناسبة) فإن أهم العناصر الضرورية لي لإنتاج أي عمل ذهني ذي قيمة هو التوجه النفسي لإنتاج مثل هذا العمل وصفاء الذهن . أما أين ومتى أكتب فذلك يختلف باختلاف نوع العمل الإبداعي .

**** العلوم الطبيعية والشعر والفن، مدعاة للتخليق بعيداً عن المألوف والإنعتاق من عالم الرتابة**
**** التوجه النفسي والصفاء الذهني فيهما مساحة واسعة للإبداع**

التي يتعلم بها أي من أبنائه وكان الأساتذة يزورون منزله ويحضررون مجلسه ويثير معهم كثيراً من مسائل اللغة ويناقشهم في التاريخ. وكان يشدد على عملية الإستمرار في عمل ما حتى درجة الإتقان ويكثر من متابعة تحصيل المتلقي بالإختبار، وهو الذي علمني الخطابة.

المنهل:

منذ طفولتك يقال إن والدك بنظرته الثاقبة وحبه للعلوم والتطور بعثك إلى مدرس لغة انجليزية لتتلقى على يديه قواعدها تحدثاً ونطقاً وكتابة، وهذه النظرة خارجة على المؤلف في ذلك الزمان حيث كانت طرق التدريس تقليدية وبأساليب قديمة، فكيف تكونت هذه النظرة المستقبلية عند والدك؟

** تكونت النظرة المستقبلية عند والدي عن طريق الثقافة فقد كانت مكتبته تضم كتباً في علم النفس والتربية قديمة وحديثة وكذلك كتب العلوم الطبيعية، وكان قد درس الفلسفة القديمة والمنطق، كانت له نظرة تعتبر متحررة بالنسبة لموقعه الإجتماعي وبالنسبة للبيئة التي عاش بها ٥٠ أما فيما يتعلق بالأطفال فكان يسمح لي بالمشاركة في الكشف بلباسها الغريب في حينه وكذلك في التمثيل المسرحي والرحلات، وكان يفصل لي ملابس تتمثل في القميص والسروال القصير وكان يرى أن هذا اللباس اسهل للجري واللعب من الثوب الفضفاض. وكان دائم التأكيد على أننا لا نربي الأطفال ليكونوا نسخة أخرى منا لأنهم

ففي حالة الشعر مثلاً لا يوجد مكان أو زمان لا يصلح للكتابة ما دام عنصر التوجه النفسي والصفاء الذهني متوفرين، أما في حالة النتاج الفكري الذي يحتاج الى بحث وتمحيص فإن خير مكان لإنتاجه هو المكان الذي تتوفر فيه وسائل البحث العلمي ويتوفر فيه الهدوء المناسب.

المنهل:

تجربتك الشعرية نمت في بيئة علمية وأجواء ثقافية منذ أيام والدك المرحوم الشيخ ميرزا حسين البريكي (رحمه الله) وهو أحد علماء الدين، كيف كانت افادتكم من علوم والدك ودروسه؟ وكيف كانت طريقته في تنشئة أولاده وتربيتهم لتصبح كما أنت عليه الآن من مستوى مرموق في الساحة الثقافية محلياً وعربياً؟

** كانت طريقة الوالد - رحمه الله - في تربية أولاده مزيجاً من الحزم والحرية. فكان يحب

مجالسة الأطفال والحديث معهم ومرافقتهم في مجالسه ومصاحبتهم في رحلاته واستثارة فضولهم الذهني بالأسئلة العلمية في المجالات التي له علم بها كالفقه واللغة والأدب والمنطق والتاريخ، ولم يقتصر تأثيره على التوجيه فقط وإنما على التعليم المنتظم بما لا يتعارض مع التعليم المدرسي ولا يرهق الطفل ولا يحد من حريته في اللعب، وكان على صلة وثيقة بالمدرسة

**** في مجلة الفليح
المربي كانت بداياتي
(يتيم في يوم العيد)
** الانفصال في الآخر
ميزان القصيدة
** أحسبت الطفل
فأهديته قصيدتي.**

**** الإبداع عندي، هو الانتعاج الذهني المبتكر**

**** والذي .. كثرة قراءاته واتساع مداركه جعلته أبعد رؤية**

**** لا تكن نفسك من أحد .. هكذا علينا الوالد**

**** مفردات الموروث الشعبي إلى جانب أسلوب الطرح تضيف إبداعاً إلى إبداع**

**** نشرت وألقيت كثيراً مما كتبت منذ البداية، فقد شاركت في تحرير عدد من صحف المدرسة التي كانت في حينه أكثر احتشاداً بالمعلومات والكتابة الأصلية (غير المنقولة) ونشرت أول قصة في مجلة الخليج العربي التي كانت تصدر في عام ١٩٥٧ وكان يصدرها الأستاذ عبد الله شباط وكانت القصة بعنوان «يتيم في يوم العيد» وكنت حينئذ في مراحل التعليم الأولى كما نشرت قصائد في جريدة «أخبار الظهران» التي كانت تصدر في أوائل الستينيات وكنت حينئذ في مرحلة الدراسة الثانوية وكنت ألقى الشعر بشكل منتظم (اسبوعي) في لقاءات المدرسة المتوسطة والثانوية وكانت لقاءات جادة وكنت أشارك بشعري وكتاباتي في المناسبات العامة ومنها حفلات الاحتفاء بذوي المكانة الأدبية والاجتماعية. ونُشر شيء من شعري في كتاب المرحوم المسلم «ساحل الذهب الأسود» قبل تخرجي من المدرسة الثانوية ثم في كتاب الشيخ علي المرهون «شعراء القطيف» في عام ١٩٦٤م.**

انقطعت عن النشر سنين طويلة مدة الدراسة خارج المملكة متوجهاً حينئذ إلى الكتابة العلمية والتحصيل. ثم عدت للنشر بعد ذلك، نشرت في

سيؤون دوراً مختلفاً عن دورنا وفي حقبة زمنية يؤمل أن تكون أكثر تقدماً وهذا ما حدا به إلى الإهتمام باللغة الإنجليزية ووجهني لدراساتها.

المحل:

نشأت في بيئة عريقة في التاريخ غنية بمظاهر الطبيعة الخلابة كالبحر والنخيل، إلى أي حد وظفت هذا الموروث في أدبك؟

**** تأثري بالبيئة التي بدأت بها حياتي وعدت إليها بعد طول غياب واضح في شعري على ما اعتقد، وأود أن أشير إلى أن البيئة التي عشت فيها طرفاً كبيراً من أيام شبابي أيام الدراسة خارج المملكة كانت امتداداً للبيئة التي بدأت فيها فهي غنية بالأنهار والغابات والزهور والتنوع الاجتماعي.**

هذا بالإضافة إلى تأثير الآداب الأخرى، والتأثير المقصود هنا ليس فقط اكتساب المفردات الخاصة بالموروث الشعبي والمواضيع التي يطرحها الكاتب وإنما في مجمل تفكيره وطريقة معالجته للمواضيع المطروحة.

المحل:

**الصحافة .. ومدى علاقتك بها ؟
كيف كانت علاقتك بالصحافة والنشر؟
ومتى نشرت أول عمل أدبي؟**

العديد من المجالات والصحف، ولي ثلاثة أعمال مطبوعة ومنشورة.

المنهل:

القصيدة، أصبحت مثار جدل بين قديم وحديث .. على أي مدرسة تراها؟

** القصيدة الشعرية التي تحافظ على أصالتها العربية مع التزامها بالتجديد والتطوير سواء في القوالب والمضامين حرية بالقراءة والاستقبال. وأود أن أقول هنا أن مثل هذه القصيدة ينبغي أن تكون مفهومة، أي أن تحدث أثراً لدى المتلقي ولا يشترط إحداث الأثر لدى جميع المتلقين. ويقصد بالأثر إحداث الإنفعال الذي هو ناتج عن إحداث تغيير في نسق أحاسيسه المألوفة، ذلك لأن الشعر الجيد هو شكل من أشكال الإبداع ولا ينطبق لفظ الإبداع على عمل ما لم يحدث هذا التأثير.

المنهل:

صدر لك عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ديوان «ربيع الأمل» وهو ديوان شعر للأطفال، وقد لاقى هذا الديوان استحسان الكثير من الأدباء والمتخصصين محلياً وعربياً وقد كتب عنه الكثير وأخرها ما كتبه الدكتور غازي القصيبي في مجلة «المجلة العربية» بأحد أعدادها الأخيرة، ما هي

قصتك مع أدب الطفل؟ وما الذي دعاك لخوض مثل هذا التخصص الذي أبدعت فيه؟ وما هي نظرتك عن مستوى أدب الطفل في الوطن العربي عموماً والمملكة بشكل خاص؟

** قصتي مع أدب الطفل تبدأ من طفولتي، فقد عشت حياة طفولة مليئة بالمرح والنشاط واحترام عقليتي كطفل والاهتمام بها من قبل والدي - رحمه الله - والمتعة التي كنت أجدها في القراءة من قصص الأطفال الموجودة حينئذ، كنت أحب الأطفال عندما كنت مثلهم طفلاً، ثم أحببتهم عندما كبرت، وقد أردت أن أعطيهم شيئاً جميلاً ومفيداً ومتمشياً مع الفترة الزمنية التي نعيشها يتوازن فيه الخلق القويم والطموح والنظرة العلمية، وهي محاولة أرجو أن تكون موفقة وحافزة للآخرين.

أما فيما يخص مستوى أدب الطفل في الوطن العربي عموماً فهو لا يزال قاصراً عن مواكبة الزمن مثقلاً بتركة التقليد، ومع ذلك فإنه لا ينبغي إغفال الخطوات الجادة والمهمة التي خطاها أدب الطفل العربي بوجه عام والمحاولات المبذولة لتطويره، أعتقد أن المشكلة الأساسية في قصور أدب الطفل هو القصور في الاهتمام بالطفل وتقدير مدى إدراكه، إذا لم نفهم الطفل ونحبه ونقدر مدى إدراكه فإننا لن ننتج ثقافة للطفل ذات قيمة، والأدباء العرب لا تنقصهم القدرة على الكتابة كما أن تقنية إنتاج المواد المقروءة والمصورة والمرئية متوفرة ولكن معظم الإنتاج الأدبي مهتم بالعاطفة والتنظير الفكري والعقدي والسياسي،

**** الطفل عالم من الذكاء والابداع .. وهكذا ينبغي أن تكون الكتابة له**
**** دخلت عالم الترجمة لأفصح، علمي وقسومي**

وقليل منه موجه للتطبيق العملي أو البناء الأساسي للشخصية الذي يندرج تحته أدب الطفل.

المنهل:

ماذا عن ممارستك للترجمة العلمية؟ وما مساحتها في إبداعك وإنتاجك الأكاديمي في مجال تخصصك العلمي؟ وهل هناك مشاريع علمية أخرى بعد صدور ترجمتك لكتاب «أدوية ضغط الدم» وكتاب «البلهارسيا»؟

** ولجتُ عالم الترجمة العلمية بدافعين، دافع علمي ودافع قومي. مصدر الدافع العلمي هو محاولة نشر المعرفة العلمية بلغة يحسنها الناس في الوطن العربي الكبير. سيما المعرفة التي تضمها الرسائل العلمية المختلفة التي كتبها العديد من أبناء الوطن والتي كتبت بلغات أجنبية تقف عائقاً دون اطلاع من لا يحسنون تلك اللغات عليها. وأما مصدر الدافع القومي فهو الرغبة في توجيه الأنظار بطريقة عملية إلى أن اللغة العربية يمكن أن تكون أداة فعالة كأهم اللغات المعروفة لنا في نقل النتاج العلمي الحديث.

وقد ترجمت رسالتين علميتين: «أدوية ضغط الدم» و«سلوك المنشقات: البلهارسيا» وكتبت للأولى مقدمة عن المرض وكتبت للأخرى مقدمة عن بيولوجيا المرض وتشخيصه وعلاجه وطرق مكافحته. وهناك مشاريع أخرى للترجمة.

المنهل:

يعرف عنك في الأوساط الثقافية بالمنطقة بأنك أحد المشجعين للأدباء الشباب ومن الذين يأخذون بأيديهم إلى

الجادة، ما هو انطباعتك العام عن «أدب الشباب» في بلادنا وفي المنطقة بشكل خاص؟ وكيف ترى اهتمام المؤسسات الثقافية في بلادنا بهذا الجانب؟

** يوجد عند الشباب توجه نحو الإنتاج الثقافي سيما الشعر والقصة والتراجم والتوثيق والفنون التشكيلية مع إهمال تام للعلوم التطبيقية والإجرائية وما أقرؤه يظهر بوضوح حاجتهم إلى الأسلوب العلمي في الكتابة وأقصد «بالعلمي» توفر عناصر الحياد في التعبير والتعريف الدقيق للمفاهيم التي تطرح وتسلسل التفكير والمنهجية في البحث. وقد حان الوقت لأن يتعلم الكتاب هذه المتطلبات ولا ينتظروا تعلمها في الدراسات العليا.

اهتمام المؤسسات الثقافية في بلادنا بهذا الجانب «أدب الشباب» يختلف باختلاف المؤسسات. ولكن الكثير من المؤسسات سيما الصحافة تهتم به وتفصح له المجال، القصور في البحث عن أدب الشباب هو جزء من القصور العام لدى المؤسسات الثقافية في البحث عن المواهب والإتصال بها وتشجيعها على الظهور فمعظم المؤسسات الثقافية تنتظر من يأتي إليها.

المنهل:

كلمة أخيرة تحب أن توجهها إلى قراء مجلتنا الأم «المنهل» الغراء؟

** الكلمة التي أحب أن أوجهها لقراء «المنهل» الغراء أن يستفيدوا من منهل المعرفة الذي تصب أنهاره من أنحاء المعمورة وأن يحتملوا شيئاً من الأذى في الوصول إلى المعرفة وأن لا يقنعوا بالسهل الضحل وأن يسمّعوا ويسمّعوا. والله ولي التوفيق.

إن الأمر في مصر يجري على غير ما قال هذا الشيخ، وأظنه محدود الاطلاع فلا تركز له، وقد استبشر الرجل بما قلت، وأخذ يدعو الله أن يجزيني بالخير!

مضت أيام، وذهبت لزيارة أستاذي الجليل الشيخ محمد الطنطاوي أستاذ النحو بكلية اللغة العربية فوجدت منزله عامراً ببعض الزوار من العلماء، وهم يتحدثون عن شيخ جليل انتقل إلى رحمة ربه، هو الشيخ خليل الخالدي مفتي القدس، وأحد الوجهاء الكبار ممن تولوا المناصب الدينية الكبيرة في عهد الخلافة العثمانية، وقد أجمعوا

الامام

محمد زاهد الكوثري

على تضلعه المتين في معرفة المخطوطات العربية في شتى فروع الثقافة الاسلامية، إذ زار أكثر العواصم الإسلامية - والأوربية أيضاً - ليقراً ما تضمه المكتبات الشهيرة من المخطوطات، وله خبرة بخطوط العلماء، ومعرفة دقيقة بأحوالهم المعيشية، ومذاهبهم الفقهية، وآرائهم المختلفة في شتى فروع الثقافة، حتى صار المرجع الأول في باب! هكذا قال القوم، ولكن الأستاذ الطنطاوي صاحب المنزل عقب على هؤلاء قائلاً، إن الأستاذ الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلامية في تركيا من قبل، ونزيل القاهرة الآن يفوق



بقلم :
أ. د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

في شارع الصناديقية بميدان الأزهر - وهو يشبه الحارة الضيقة، تقوم على جانبيه حوانيت صغيرة، أكثرها تمتلئ بالكتب الأزهرية القديمة من متون وشروح وحواش، في هذا الشارع شاهدت شيخاً ربة أشرب وجهه بالحمرة، وله شبيبة ذات وقار، يرتدي كاكولة متواضعة، عمامة ذات طبقات أكثر مما نعهد، وأمامه مجموعة من الكتب يقرأ بعضها في صمت، فوقفت أرصده عن كُتب، ولكني وجدت رجلاً من العامة

يدنو منه، ويحدثه، فخطوت لأسمع سؤالاً عن الطلاق المعلق يلقيه السائل في وجل، منتظراً الإجابة من الشيخ، ثم أدهشني أن يحكم الرجل في إصرار بوقوع الطلاق، مع أنني أعلم أن قانون المحاكم الشرعية الذي صدر في مصر سنة ١٩٢٩ يمنع وقوع هذا الطلاق استناداً إلى أئمة من غير أصحاب المذاهب الأربعة، وهم فقهاء أجلاء ذوو شأن في التشريع، وقد أراد القانون بذلك أن ييسر على من يحلون روابط الأسرة ذات الأولاد في ساعة غضب ليتمكن الزوج من التئام الشمل رحمة بأفلاذ الأكباد، فرأيت أن ألحق بالسائل لأقول له

الشيخ خليل الخالدي في إمامه
بالتراث الإسلامي، لأن الشيخ
الخالدي قد اقتصر على
المؤلفات العربية وحدها أما
الشيخ الكوثري فيقرأ
التركية والفارسية
والجركسية والعربية. وقد
هضم كل ما قرأ وأصبح
المرجع الأول في هذا
المجال، وعليه يعتمد ناشرو
المخطوطات، ومصححوا
الموسوعات شرقاً وغرباً، وله
باع طويل في المناقشات العلمية،
وقد وقف على نشر كثير من أمهات
الكتب معلقاً ناقداً مصححاً والشيخ
الخالدي - على فضله المشكور، - لم



محمد زاهد الكوثري

الكوثري هو بعينه صاحب فتوى
الطلاق في شارع الصناديقية،
فتذكرت أني قلت عنه من قبل:
إنه محدود الاطلاع جهلاً
منى بمنزلته وقلت في
نفسي، أبلغ بي الغرور أن
أحكم على إمام كبير بما
يخالف الواقع، مع أنني لا
أبلغ مبلغ تلميذ صغير من
تلاميذه! إن للرجل الكبير
رأيه الخاص، ولا يتقيد في
فتواه بقانون لا يراه صائباً
من وجهة نظره، ثم تذكرت أنه
صاحب كتاب الإشفاق في أحكام
الطلاق وقد كتبه رداً على الأستاذ
الفقيه الشيخ أحمد شاكركين

انتحى غير منتحاه! فإذا كان قد أفتى بوقوع
الطلاق المعلق فهذا ما قامت لديه البراهين على
صحته، فهو إذن إمام غير مأموم!!

حرصت على أن أصلي الجمعة كثيراً بمسجد
أبي الذهب، حباً في رؤية الشيخ ومن حوله من
السائلين، وقد لاحظ اهتمامي بما يقول، وإكبابي
على تسجيل بعض آرائه في كُتَّاشة أعددتها
لمجلسه، فبادرنى متفضلاً بالسؤال عن اسمي،
وماذا أعمل، فعرفت أنه باني طالب في كلية اللغة
العربية بالسنة الثانية فقال في ملاطفة، وفقك
الله، ثم سأل: لماذا تحضر دون أن تسأل! وكنت
حينئذ مشغولاً ببحث أعده عن الشاعر المغربي
العباسي جحظة البرمكي، فتجرات على أن
أسأله عن مراجع جحظة، فسكت هنيهة، ثم نظر
إليّ ليقول في قوة، بُني ماذا يعجبك في أمثال
جحظة! إنه مطرب شارب خمر، وواصف مجون!
له ترجمة كبيرة في معجم الأدباء، وأولى بك أن
تبحث عن أصحاب الاتجاه الخلقي الرفيع من
الأدباء أو العلماء يا بني إن الشعراء - وجلهم
غير ملتزم - قد أخذوا نصيباً كبيراً من اهتمام

يخل مكانه بعد، إذا أطال الله في عمر الكوثري -
سمعت ما دار من الحديث عن الخالدي
والكوثري، فاشتقت إلى رؤية الكوثري، وانتظرت
حتى انقطع الحديث عن الرجلين، فسألت الشيخ
الطنطاوي كيف أحظى بمجالسة الكوثري،
فابتسم، وقال في دعابة، لا يفوتك شيء يارجب،
إن الشيخ الكوثري رجل متواضع على جلالة
فضله، وهو دائماً يصلي الجمعة في مسجد
محمد أبي الذهب الذي يقابل الأزهر، فإذا
صليت الجمعة به، فستجد جوار المحراب شيخاً
وقوراً يتحلق حوله الكثيرون، وكل يسأل عن
معضلة، فهذا باحث فقهى، وذاك عالم أصولي،
وذلك رجل منطق وجدال، وكلهم يسأل عن
المراجع، أو يطلب الفتوى، والشيخ يجيب كل
سائل بما يشفى غلته، ويظل في مجلسه حتى
تحين صلاة العصر، فيؤديها وينصرف سعيداً
وقد قام بمجهود عدة أساتذة ذوي اختصاص،
إنه بحر لا ساحل له، فإذهب إليه إذا أردت -
دفعني حديث الأستاذ إلي رؤية العلامة
الكوثري، وكانت دهشتي عظيمة حين وجدت

الباحثين في مصر، وأنا لا أمانع أن نبحث عن شاعر قوي الأسلوب، متعدد الأنحاء، ولكن أمانع أن نبحث عن الصغار ممن لا يزيدون الناس إحساساً أو فكراً، بل يدعون إلى منكرات يشمئز منها المؤمن الملتزم! إن كتاب الأغاني قد سيطر على الأدباء أكثر مما يلزم، مع أن طالب الأزهر لو قرأ كتاباً مثل طبقات الشافعية لابن السبكي لوجد من الأعلام من يفوق مائة شخص من أمثال جحظه اليرمكي، لا تغضب علي يا بني فأنا أقول ما اعتقد!

سكت قليلاً، فقال الشيخ هل تسمعني شيئاً مما أعجبك من شعر جحظة، فقلت، يعجبني مثل قوله:

ورق الجو حتى قيل هذا

عتاب بين جحظة والزمان

فابتسم الشيخ وقال بيت حسن، ولو ترك الشاعر مجونه، وأتى بهذا الطراز لكان موفقاً، لقد قلت لك رأيي يا بني!

واتفق أن قابلت الأستاذ محمد الطنطاوي بعد محاورتي مع الشيخ، فذكرت له كل ما دار بيني وبينه، فسأل الشيخ الطنطاوي كالمتعجب: أقال الكوثري لك ما يدل على ارتياعه لطبقات الشافعية؟! قلت نعم... فقال: كم يمتلىء السجن بالمظلومين، إنهم يأخذون على الكوثري تعصبه الشديد لفقهاء الأحناف، وها هو ذا يمدح طبقات الشافعية أولو كان متعصباً أما اختار كتاب (طبقات الحنفية)؟! قلت يا سيدي: لا شبهة هنا في التعصب، أنا مثلاً شافعي المذهب، أفئن أفئت بما أعرفه من فقه الشافعية أكون متعصباً لهم، أم أكون مجيباً بما أعلم! قال الشيخ: هذا حق، كلام الناس كثير ولا معنى له.

وكان النبهاء من رجال الأزهر في الأربعينيات يلتفون حول جماعة المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم وهم من صفوة المفكرين من العلماء وفي طليعتهم الشيخ محمود شلتوت والدكتور محمد البهي والأستاذ محمد محمد المدني ولهم

باع طويل في البحث التجديدي، ومناقشة القديم الذي تبدو به مظاهر الضعف، ولكن الأستاذ محمد زاهر الكوثري قد وقف من هذه الجماعة موقفاً معارضاً، ينقد في شدة، ويهاجم في ضراوة، ويرجع باللائمة على الإمام محمد عبده والإمام المراغي إذ هما في رأيه مصدر الفتاوى الجريئة، وأذكر أن المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم قد استفتي في لباس (القبة) فأجازها معتمداً على نصوص استمدتها من كتب السابقين، وموافقاً ما سبق أن قرره الإمام محمد عبده من قبل، فثارت ثائرة الشيخ الكوثري وكتب مقالات حارة لسنا ننقده من أجلها، ولكن حديثها البالغة وجنوحها إلى التهجم الواضح جعلها تحيد عن المجادلة بالحسنى، بل إن الأستاذ الكوثري قد تورط في استدلاله بالآية الكريمة (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) مستنبطاً أن لبس القبة من بعض مظاهر هذه التولية المنهي عنها، ولم يحصر الهجوم على مقال المفتي الأكبر فحسب، بل تناول الشيخ شلتوت والشيخ المدني، مع أنهما لا صلة لهما بهذه الفتوى! كما تناول الإمام محمد عبده بالتخطئة الصريحة، وتوالت مقالات الكوثري في مجلة الإسلام لترمي شواظها المحرق، وكأنه يهاجم أعداء لا زملاء في جهة واحدة، فساعني كل الإساءة أن يبعد الكوثري في غلوه هذا البعد، وهو من هو، رجاحة عقل، وبعد نظر، فصممت على أن أسأله العدول عن الهجوم الجارح، وجئت إلى مسجد أبي الذهب متحمساً، وبدأت القول قبل أن يسأله أحد من تلاميذ الحلقة المعهودة، فذكرت فضل المفتي وشيعته، ونظر الأستاذ الي في غضب مكتوم، ثم واجهني بقوله: أنت يا بني طالب صغير في كلية تدرس علوم اللغة لا علوم الدين، ويجب أن تصبر طويلاً حتى تفهم ما أعنيه، إن مجلة الرسالة التي تنشر للمفتي ولشلتوت لا تتوي الخير للمسلمين، فتسرعت قائلاً: سيدي إن الرسالة هي المجلة الرفيعة المستوى التي تفوح بعبير الإسلام، ولها

صوتها المسموع، وأنت حين تحاربها متكلمًا وكتابيًا إنما تحاول أن تهدم قلعة من قلاع الإسلام! فحول الأستاذ وجهه عني، والتفت إلى القوم يغير مجرى الحديث.

وقد انقطعت عن المسجد بعد ذلك محاذرا أن أثير غضب الرجل الكبير، ثم عرض لي أن أشتري بعض الكتب من مكتبة الأستاذ حسام الدين القدسي، بجوار دار الكتب المصرية، فما كاد الأستاذ حسام يراني حتى صاح بي، لماذا انقطعت عن مجلس الإمام الكوثري، إنه سأل عنك كثيرا، وكان الأستاذ حسام الدين ممن يحرصون على حضور مجلس الجمعة، وقد سمع محاورته لي من قبل بشأن (جحظة البرمكي) ومن التوافق أني نشرت بالرسالة بحثا عن جحظة وقرأه الأستاذ حسام قبل أن أزوره، فقال متضاحكا، لعلك نشرت مقال جحظه لتجهر بمخالفة الأستاذ؟ فقلت كلا، والله، المقال قد شغل تفكيري وسهلت علي صياغته فبادرت بنشره، دون أن أتذكر كلام الأستاذ!

كان في الأستاذ حسام الدين القدسي أنس وملاطفة، فأشار علي أن أجلس معه بعض الوقت ليحدثني عما أجهل من أمر الكوثري، ولازلت أذكر من حديثه الجيد أن الرجل زاهد كاسمه، وأن الأستاذ محمد أبو زهرة قد لمس ما يعانيه من ضيق في الرزق فسعى إليه كي يكون أستاذاً للشرعية الإسلامية بقسم الدراسات العليا لطلبة كلية الحقوق بالقاهرة كي يتسع له المورد على نحو كريم! والأستاذ الكوثري جدير بأن يفيد الطلاب، وأن ينشيء جيلا من الباحثين، ولكن الشيخ قد اعتذر لأنه يعاني آلام الشيخوخة، ولا يستطيع أن ينهض بالتدريس كما يحب، وطال رجاء أبي زهره وطال امتناع الشيخ، لأنه لا يريد أن يقصر في الشرح! هكذا تخيل الرجل مع أن مظنة التقصير متوهمة لا حقيقة لها، ولكن تقدير المسؤولية العلمية حال دون التنفيذ.

ثم قال الأستاذ حسام، وشيء آخر أذكره عن الكوثري، لقد قام بتصحيح مجلدين كبيرين من كتب التراث وكتب لهما مقدمة حافلة، مع تعليقات كثيرة تأخذ نصف الصفحة في كل أوراق الكتاب، فرأى الناشر الأستاذ عزت العطار أن يعطى هذا المحقق ما يعادل ثمن خمسين نسخة من الكتاب كبعض ما يستحق من الأجر، ولكن الأستاذ الكوثري - رغم حاجته الشديدة - قد رفض في تصميم، وقال: إذا أخذت الأجر الدنيوي فسيضيع الثواب الأخروي، وكيف استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ ووضح أن الأجر الدنيوي لا يمنع ثواب الله، إذ أن الأعمال بالنيات، ولكنه الاحتراز.

وثالثة قالها القدسي، وهي ذات مرارة موجعة - فقد ذكر أن الكوثري منذ عامين أخذ يبيع مطبوعات مكتبته ومخطوطاتها بثمن بخس، ليجد ثمن الدواء له ولزوجته المريضة، وقد عرض عليه الأستاذ أحمد خيرى وهو من أعيان البحيرة أن يقوم بشراء ما يلزم من الدواء، فرفض مصرا مستنكرا، وقال أن ذلك سيرهقه نفسيا فيزيد المرض!

سمعت هذه النوادر من الأستاذ حسام، فكنت بين الإعجاب بترفع الشيخ، والأسف الحار لضياح إمام كبير، هاجر من بلده فارا بدينه من طغيان مصطفى كمال، ثم لا يجد الراحة في شيخوخته الواهنة وتذكرت أن ما عند الله أوفى وأجل ولن يضيع أجر المحسنين، فكان هذا عزائي ..

تصحيح

في العدد رقم (٥٢٥) وصلت الحلقات المنشورة من (رحلة في الذاكرة) إلى الرقم (٣٩) .. والتسلسل الطبيعي للترقيم أن تكون الحلقة التالية في العدد رقم (٥٣٦) برقم (٤٠) بدلا عن (٣٠) .. وعليه يكون رقم حلقة هذا العدد (٤٢) ..

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

الفيصل

قضايا الفكر العربي والإسلامي والإنساني
بأقلام مفكرين عرب وأجانب وعبر حوارات معهم

الفيصل

مقالات ودراسات أدبية ونقدية واجتماعية وعلمية يكتبها متخصصون

الفيصل

متابعة لأبرز الأحداث الثقافية في الوطن العربي والعالم
على مدى شهر

الفيصل

جديد الكتب وأحدثها في عروض يكتبها صحافيون ونقاد
التعريف بالتراث العربي والإسلامي وتقديمه بأسلوب صحافي لا يخل بالجدية العلمية

الفيصل

دائرة معارف تتناول في كل عدد موضوعاً
يهم القارئ والباحث

الفيصل

استطلاعات ومقالات مصورة

عن الحياة المعاصرة والطب والعلوم والمتاحف والبلدان

الفيصل

ملفات متخصصة وندوات ثقافية وعلمية يتناول فيها
أعلام الفكر قضايا الحياة الثقافية المعاصرة

الفيصل : شاملة شمولية الثقافة نفسها

ص.ب ٣ الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٦٥٣٠٢٧ فاكس ٤٦٤٧٨٥١

رسالة من ابن عباس .. الى السيدة الجميلة

الأسرة العربية والفتاة الحديثة

استمرارية الحياة

تربية الأبناء مسئولية الآباء

نهاية القصة قسيرة

مجلة شهرية ذات
أداء متخصص تخاطب
عقل المرأة ووجدانها

س



استمرارية الحياة

ايجابي «ومقابل» متكافيء تجاه ما نقدمه ونبذله! هل من الواجب المحتم ان تظل نفوسنا تعطي الآخرين وتتجاوز عن المطالبة بالأخذ أيا كانت مواقعنا ومسؤولياتنا ومراكزنا من هذا المجتمع.

لابد أن يكون هناك استثمار لهذه المشاعر وردود فعل إيجابية لكل هبة، لكل عطاء يمكن ان يبذله كل واحد منا لأسرته لعمله لوطنه لكل مجال يتحقق فيه تفاعله كإنسان كبشر، كفرد فعال دون تحديد حتى يمكنه الإستمرار، حتى يمكنه البناء حتى يمكنه إثراء هذه الحياة بكل المعاني الجميلة وتأكيد كل المبادئ التي لا تقبل المساومة ولا التجاهل لكي تستمر الحياة بشكل طبيعي وهادئ وكي تزدهر العلاقات الإنسانية وترقى الأواصر بين كل افراد المجتمع أيا كانت مواقعهم وعلى اختلاف نشاطهم.

إنه لمن المؤسف ان يعطي الفرد منا ويقابل باللامبالاة أو التجاهل أو على أدنى التوقعات أن يشعره الآخرون بأن هذا هو المطلوب وأن هذا هو واجبه

فلا داعي لشكره أو تقدير مجهوداته! لن نكون متحضرين بمعنى كلمة حضارة

هل من المُسَلَّم به ان يكون العطاء بلا حدود وبلا مقابل؟ هل من الواجب أن يقبل كل منا أن يعطي بسخاء ويتجاوز عن ما يمكن أن يكون أحقيته في الأخذ؟ هل من الممكن أن نخضع مفاهيمنا لهذا الافتراض أو هذا التساؤل؟

الى أي مدى يمكن أن يكون عطاؤنا مستمراً في الوقت الذي نحتاج فيه للأخذ، لردة الفعل، لانعكاس هذا العطاء...؟ كيف نغدق مشاعرنا ونبذل اخلاصنا وتحترق أفئدتنا ونحن نقبل سلبيات باردة تطفئ حرارة هذه المشاعر وتطعن عمق الإخلاص وتتجاهل أحاسيسنا... كيف؟ لن تقوم الحياة على السلبيات وإن استمرت لفترة فهو خطأ لا يبرره استمرار الخطأ.

كيف يمكنني ان أعطي مشاعري ووقتي وجهدي وكياني لمن حولي أيا كانوا لفترة طويلة بفدائية وتفان ثم نكتشف اننا مطالبون

بمزيد من العطاء ومزيد من العناء؟

عندها تتململ نواتنا وتبدأ في إزاحة عبء ثقيل

ينتج عنه تساؤل حائر مرهق لم نحن فقط من يعطي ويبذل ويتفانى؟ لم لا يكون هناك احتواء

هند أحمد هرساني

- جدة -

وتفهم لدلولاتها طالما كنا نجهل قيمة مهمة ومبدأ أساسيا في الحياة هو التجاوب وتبادل المشاعر والعطاء بكل اشكاله وانجاح علاقة كل طرف بالآخر وتحقيق التكامل بين العنصرين العطاء والأخذ، الفعل ورد الفعل... انعكاس هذه الإيجابيات يوصلنا بالتالي إلى ايجابيات جديدة وتفاعلات ناجحة تغمرنا جميعاً بالرضى والامتنان وتشد من بنائنا النفسي ليقرب بعضنا من بعض.

من حق هذه المشاعر أن تربت عليها أيادي الشكر والتقدير وتدفعها كلمات الحب والمودة، انها لن تكلفنا الكثير ولكنها تتحدانا فيمن يبدأها منا أولاً؟ ومن يبادر الى اتخاذها مظهراً سلوكياً وواقعاً محسوساً في محيطنا مع من تربطنا بهم علاقتنا البشرية السامية.

ليس هناك اي نقص لقدر وهيبة المديرين في احتواء موظفيهم ومن يلونهم رتبة في العمل والحياة من أن يقدم لهم الشكر والتقدير مقرونا بالمودة الفعلية بكل اشكالها المحسوسة والمعروفة طالما أن هناك جهداً قد بذل وتفانيا قد أدى... ما المانع في أن نستحث في هذا الموظف البسيط ما بداخله من عطاء ونشعره اننا ننتظر بكل امتنان المزيد من هذا الجهد وهذا الإخلاص والوسائل الى ذلك كثيرة ومناسبة لكل منا.

هذا هو المبدأ البديهي البسيط الذي يمكن ان نطبقه في مجال العمل والتقائنا بالآخرين سواء كان هذا المجال المصنع أو المدرسة أو دائرة رسمية أو أي شكل من اشكال التواجد

البشرى المرتبط بقوانين تنظيم علاقتنا بالآخرين.

ولنبداً من أقرب مجال اجتماعي ينظم التقاعنا بعضنا البعض من الأسرة:

من الزوج لزوجته من الأبناء للوالدين... بين الأفراد ككل يجب أن يكون هناك ود... استرخاء للعواطف احتواء عطوف للقلوب المعطاة كي لا تكل من العطاء المفتقر الى الود والرد بالمثل.

من حق الأم المثقلة بمسؤولياتها وواجباتها... فترة راحة إجازة بعد عن مجال عملها... وعطائها... كي تسترخي نفسياً وجسدياً ولو لبعض الوقت وليتولى الآخرون من زوج وابناء وآباء بعض مسؤولياتها دون أن تظهر في الأفق كل علامات الاستفهام ودلائل التعجب إن لم تكن هناك مظاهر الاستنكار والاعتراض.

إن قيامهم بمسؤولياتها لبعض الوقت لا يعنى انه فرض عليهم ولكنه تقدير منهم لها بما قد انجزته لهم ودوحة وارفة تأوي اليها ولو لفترة قصيرة، تقديرها لها وتحقيق عطاء جديد مصدره هم تقديرهم وشكراً عملياً كي تستعيد نشاطها النفسي أولاً والجسدي ثانياً لمواصلة عطاء وافر. ليس من الغضاضة في شيء أن يبادر كل منا لإراحة رفيق حياته ودربه بكلمة طيبة وسلوك متميز ورقيق كي يعاود عطاؤه بكل حب من جديد... على اختلاف الأحوال.

طالما ان هناك من يسهر على راحتنا ويقدر مجهودنا ويدعونا بلطف ومودة الى المزيد لن نندم عندئذ على العطاء.

لا ريب في أن البيت العربي الحديث، أو الأسرة المتطورة، قد تركت أثرها عميقا بعيدا في فتاة اليوم، وحين اقول كلمة «الأسرة» أجمع حروفها من وجود الوطن وروحه في غابره وحاضره ومصيره، وكم في كلامنا المتداول من الفاظ تنثال على ألسنتنا واقلامنا دون أن نعطيها القيمة الاجتماعية والانسانية التي تغرس معناها وحقيقتها في النفوس.

فاذا كانت الأسرة قمة السلطة القديمة في عصور الرومان وهي قوام القبيلة والعشيرة في الجاهلية والاسلام، فما أراها على ترادف العصور قد فقدت شيئا من حصانتها وان تزاومت عليها الخطوب والأخطار التي ولدتها الحضارة.

لقد أصبحت الأسرة الحديثة خاضعة لمقومات جديدة ومؤثرات اقتضاها العصر والمجتمع، ولأن المفاهيم المعاصرة للتربية والنشأة والبيئة قد تبدلت وتطورت وكل أسرة وان توزعت بحسب الدواعي والأسباب فلا بد أن تبقى راسخة الفكرة

والروح في كل فرد من أعضائها،

بقلم :
وداد سكاكيني
- سوريا -

الأسرة العربية والفتاة الحديثة

ولكن لو سألنا الحياة الاجتماعية التي دخل عليها كثير من التغير والتطور ما هو مقدار علاقة الفرد بالأسرة لجأنا أجوبة مختلفة متضاربة، فمن كان عهده بالانفصال عن أسرته الأولى فهو على الغالب ما يزال مرتبطاً بها، فان الزوجين وان استقرا في بيت يضمهما دون الأهل، فان الصلات والزورات تبقى قائمة متصلة وقد تكون ضمناً لامتداد الأسرة في علاقاتها وتقاليدها .

على ان الفتاة مهما تتطور في نشأتها وثقافتها ومهما يطرأ على حياتها من التجديد كالزواج والوظيفة والاعتراب، فان طبيعتها كائنات وحنانها الفياض يربطانها دوماً بأهلها ووالديها، بينما نرى الفتى اذا تزوج أو اغترب كانت صلاته بأسرته أخف وأضعف .

فاذا توضح هذا المرمى رأيت العلاقة بين الفتاة والأسرة متشابكة وثيقة فاذن كان لابد لبناء المجتمع الحديث وحمایته من فقدان مزايا الأسرة القديمة وتراحم أفرادها وتعاونهم من ان توجه العناية لإعداد الفتاة الحديثة لتكون محققة للأمل المعقود عليها في بقاء الأسرة والحفاظ

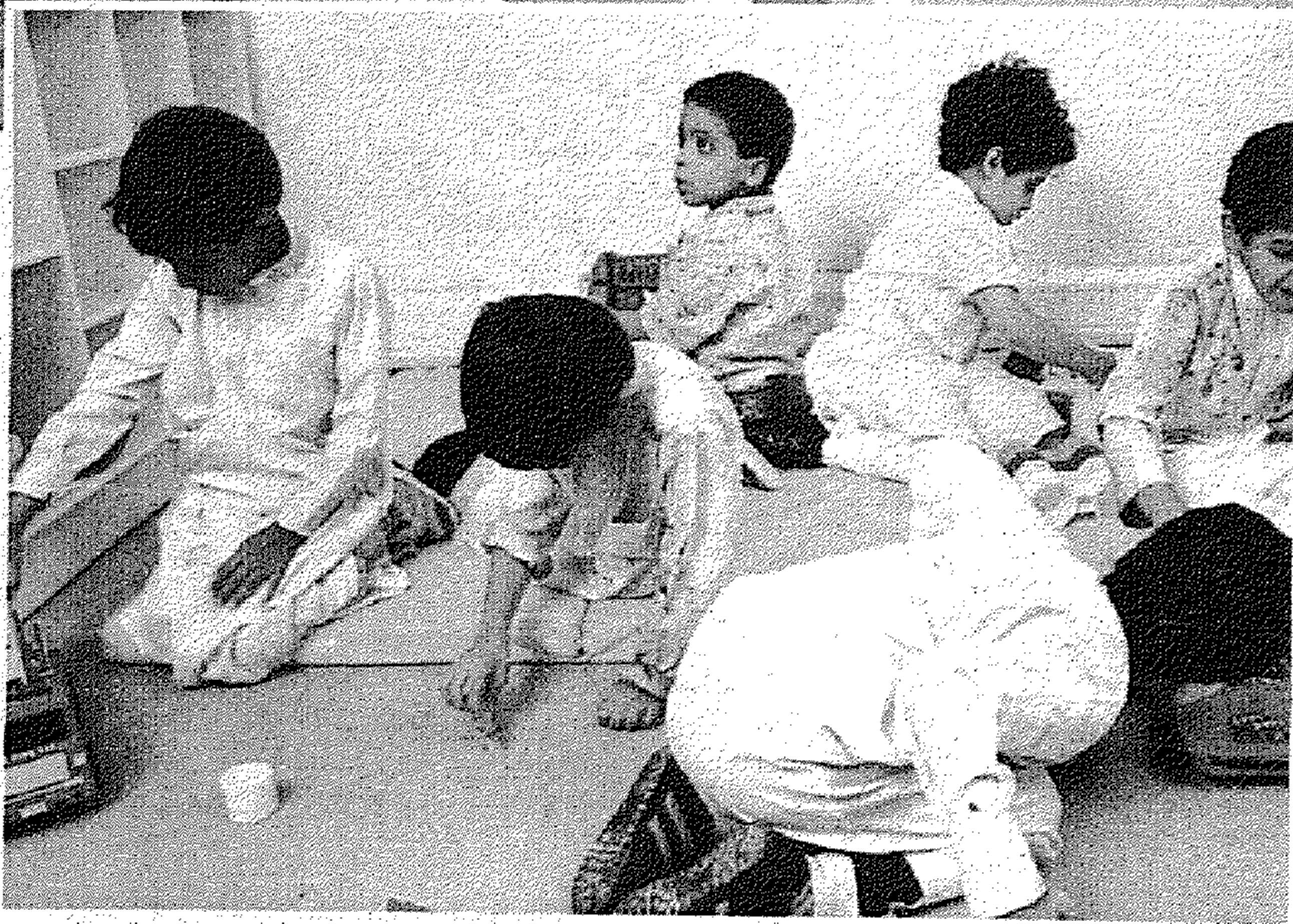
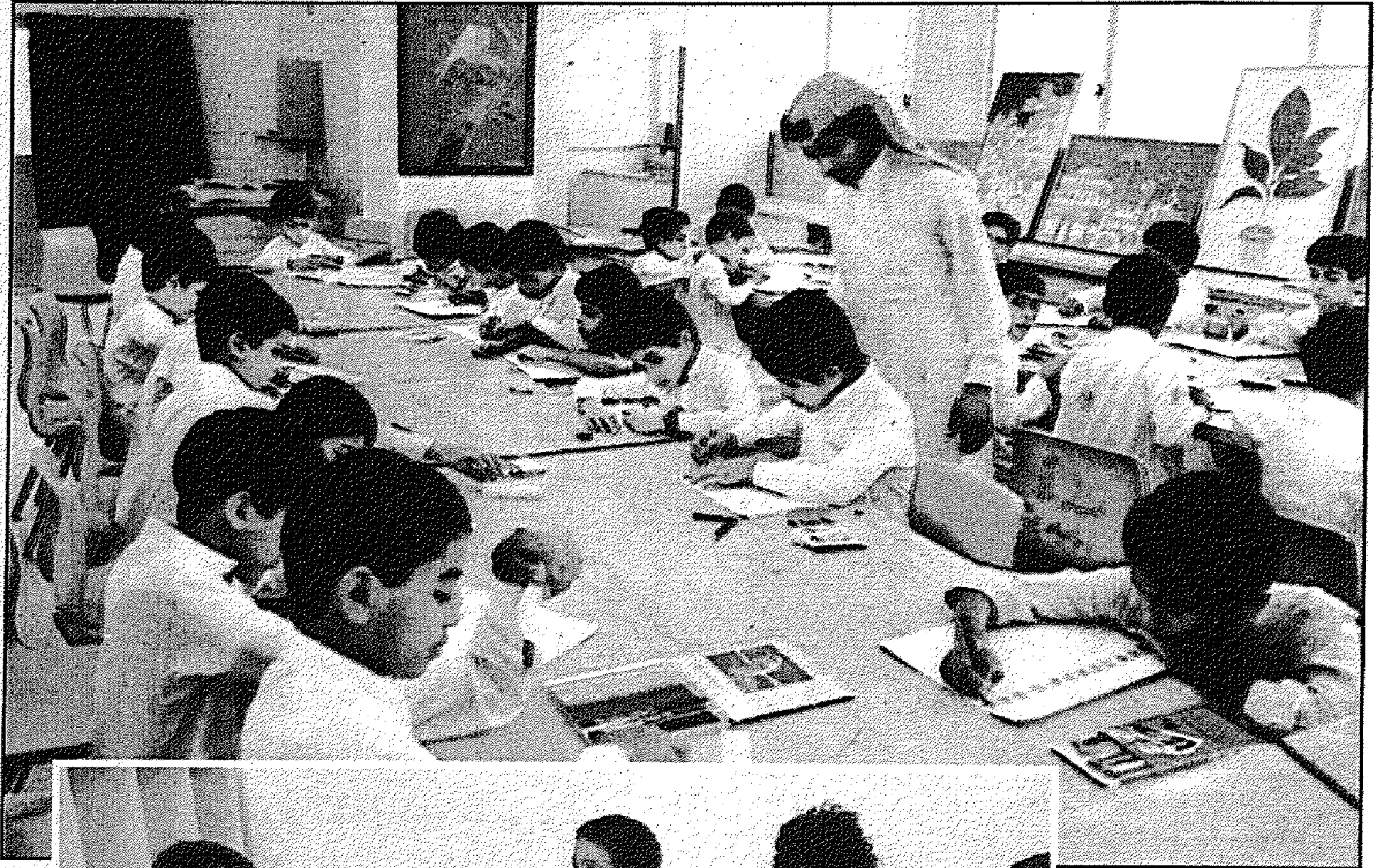
على تراثها الاجتماعي بشخصيتها الجديدة وثقافتها التي تقتضيها، ان ترفع مستواها وتزيد في اسباب الترابط والتضامن بين افراد أسرتها، وان لم تجمعهم روح العصر كما كانت تجمع الأسرة الواحدة قبل ان يدركها زماننا بأسباب المعيشة والحضارة .

وقد أن لنا في مفهوم التربية الحديثة والقومية السليمة أن ندرك منزلة الفتاة في الأسرة وتأثيرها في دعمها مهما تجيء بأولاد الأبعد، ولو سألنا الحقيقة لوجدنا الفتاة هي تاريخ الأسرة بعاداتها وحياتها ومدلولاتها للثقافة والتطور، فهي عنوان الأسرة التي تحمل اكثر صفاتها وطوابعها التي لا تزول وان خيل الى الناس أن الأسرة توزعت أو ضاعت .

ان الأسرة العربية الحديثة في مجال تطور كبير وبناء جديد لم تغفل عن رعاية الفتاة بأسباب المعرفة والتوجيه القويم لتضمن في مجتمعنا الجديد روح البقاء للقيم الاخلاقية والروحية في ترابط الفرد بالاسرة والاسرة بالجماعة والجماعة بالشعب، وفي هذا الترابط الوثيق يتحقق التعاون والتراحم في المجتمع المنشود .

نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم ..

مؤولية الآباء



والإيمان، وكذلك
الرحمة.

فلنتجه إلى
أبنائنا بكل حب
وعطف وعناية
حتى يفيد
الأمجاد ونحمل
راية الحق.

هؤلاء أمانه في أعناق الجميع

نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم .. واجدة نغم ..

نهايتان

قصة
قصيرة

- حبيبي عمار! أين أنت ؟ عدُّ إليّ .
ترك السماعة تتأرجح في غرفة الهاتف،
انطلق مستخدماً كل ما يساعده على
سرعة الوصول إليها .
قرع الباب، لم تستجب . . . زاد من حدة
القرع . . . لم ترد . . . دفع الباب بكل قواه،
راها طريحة الأرض .
حملها . . . أسرع بها إلى أقرب
مستشفى .

أنعشوها، بعد ساعات عاد وعيها
إليها .

قال لها:

- ها قد عدت إليك يا هند . . . ها قد
عدت!

خرج جوابها من رئتيها:

- نعم، عدت يا حبيبي . . . ولكن يبدو
أنني أعيش اللحظات الأخيرة من عمري .
رفض أن يتقبل العزاء فيها، وفضل أن
ينزوي وحيداً يقلّب صفحات
(الألبوم)، الذي سقطت منه
صورة هي أصل كل الصور .

هالة جمالي

- سوريا -

صفحة من ورق أغلقت كل ما بينهما
. . . كل ما بينهما من حب، وشقاوة، وجدال
لا تكاد تنتهي جولة منه حتى تبدأ أخرى .
استجمع كل عناده الذي طغى على
ذكريات الأيام السعيدة، وأطلقها صيحة،
أعقبها بإجراء قانوني هو تلك «الصفحة»!
انتابتها عاصفة من الخوف والقلق
والاستسلام، طرحتها أرضاً لساعات،
أفاقت منها فرأت نفسها وحيدة، مبعدة .
تذكرت طلبها منه أن يتركها، لتسلك
طريقاً ويسلك هو آخر، وتساءلت:

- «أي طريق لي بعده؟!» .

صبر يومين كاملين، بكل ساعاتهما
ودقائقهما وثوانيهما .

جمع ما يملك من شجاعة، أمسك
سماعة هاتف الشارع، ضرب الرقم،
انتظر .

ردّت ببقايا صوتها المنثور:

- من؟ . . . من تطلب؟

- حبيبتي هند !

جاعتها عبارته من أعماق
الذكرى . . . من أيام الخطوبة .

الذي يقدم إلي الطعام وقد شجعني
محياء الحنون على أن أفاتحه في أمر
رسالتي إليك فقبل المهمة في فرح
مكظوم.

نعم أكتب إليك هذه الرسالة لتكون
خير عزاء لك بعدي .. ها هي ذي
ذكرياتي تتسلل إلى خيالي متثاقلة من
خشية السجان .. جاعتي الذكريات
لتعزيني لما دهاني وكرثني، بل دهى
أمتي ومجدي وبيتي .. ومن عجب أنها
افترت أول ما افترت عن بسمتك الأولى
وأنا في أبهة الملك يرافقني ابن عمار
شاعر البلاط

فبينما أنا وهو
نسير على
شاطيء نهر
مفراح خطر على

بالي شطر بيت من الشعر وهو:
(صنع الريح من الماء زرد) .. ثم لم
أستطع إكماله فقلت لابن عمار:
«أجز»، فارتج عليه أيضا فسمعت
صوتا مليحا من خلف سياج من
الياسمين يقول: «أي درع لقتال لو جمد» ..
فالتفت ورائي فإذا أنت فراعني جمالك وحسن
بديهتك .. ولما استفسرت عنك عرفت أن
اسمك: «اعتماد» فسبجان من ألف بين ابن
عباد واعتماد!!

واشتريتك من صاحبك «رميك بن
الحجاج» وصرت من يومها الزوجة الوفية
فكانت حياتي معك: أجمل حياة .. أسعد

رسالة إلى ابن عباد

* من شعراء الأندلس في القرن الرابع
الهجري.

* تولى حكم أشبيلية وقرطبة بعد والده
عباد الملقب بالعتضد سنة ٤٦١هـ.

* تسمى باسم محمد الثاني المعتضد بن
عباد .. توفي سنة ٤٨٤هـ.

* يرتفع نسبه إلى النعمان بن المنذر
الخمسي، آخر ملوك الحيرة.

* تميز شعره بالجزالة والرقّة والجمال
المعبر عن أحوال النفس والشعور.

ابن عباد

حبيبتى زوجتى
اعتماد:

الآن يا
حبيبة العمر،

يا رفيقة الحياة، يا زهرة الدنيا ..
قد أفلت شمس عزنا ومجدنا ..
وها أنت بعيدة عني في أرض
غريبة وكانت بالأمس قريبة
حبيبة .. وها أنا في قرية أغمات

محمد
عبد الواحد
حجازى
مصر

حيث سامنى أعدائي الخسف وجرعوني
غصص الهوان، وكأنهم قد عقدوا حلفاً
مقدساً مع شيطان الطغيان فكلوني
بالحديد .. وفي حجرة مظلمة عفنة الرائحة
ألقونى في غيابتها وأقاموا علي زبانية
أشداء يتراطنون بالبربرية فلا أعرف مما
يقولون شيئاً .. إلا واحداً منهم أحسست
في نظراته تراحمًا خفياً وكان هو وحده

حياة.. أجل أحلى حياة.

فكنت بحق صفوة النساء.. أتذكرين
ما قلته لك يا اعتماد ونحن نرقل في أفواف
من صفو الشجى الطروب؟ قلت لك في يوم
من أيام عبق الجنان التي لن تعود إلى آخر
الزمان:

يا غصنة إذا مشيت

يا رشا إذا نظر

يا نفس الروضة قد

هبت لها ريح سحر

يا ربة اللحظ الذي

شد وثقا إذا فتر

ممتى أداوي بندا

ي السمع منى والبصر

ما بفؤادي من جوى

بما يفيك من خصر

حبيبتي زوجتي اعتماد:

هل أقول لیتني؟ وماذا تفعل «لیتني» وقد
نزل بنا المقدور الذي لم يكن لنا حيلة في
رده ولا حيلة في دفعه.. هل أقول في
لحظات بأسائي التي اکتوى بسعيرها لیتني
أطعت زوجتي اعتماد، فعملت بنصيحتها
واستقمت على مشورتها فلم استقدم ابن
تاشفين ليدافع عن مملكتنا ضد الخوارج
الأفاقيين من أمراء الطوائف؟ أولئك الذين لم
يكن لهم عمل سوى الإغارة والسلب والنهب
والتخريب.. كنت تقولين لي: لا تتقوى بـابن
تاشفين، إنه حسود حقود يضمّر السوء
والبغضاء لكل ملوك الأندلس.. إنه لن يلبث
أن يطلع على عوراتنا وإنه إذا انتصر على

ملوك الطوائف وأمنك فلن يلبث أن ينقلب
عليك ويتخلص منك حتى تخلص له الأندلس
بأسرها؟

أه يا اعتماد ما أعنف الندم الذي يلفح
نفسي: لقد أسكرني النصر المبين الذي
حققناه أنا وهو على الملك الأوربي الأذوفنش
سنة ٤٧٩هـ.. أسكرني النصر حقا.. كانت
موقعة «الزلاقة» نصراً مشهوداً حقا..
أسكرني النصر حقا حتى أنني لم أتنبه إلى
ما يضمّره ابن تاشفين في صدره الحقود،
إذ سرعان ما كرّ علينا بقواته التي انتقاها
من البرابرة الأجلاف فانقض علينا في
أشبيلية.. ويّلي عليك يا أشبيلية فيما
أصابك ودهاك!! لقد خرج أهلها من
منازلهم هلعين مذعورين يلتمسون النجاة
من بطش البرابرة السفاكين حتى أن
بعضهم كان يلقي بنفسه في البحر كأنه
ملاذ النجاة لا دوامة الهلاك.

ولا أنكر يا حبيبتي أن بعض رجالي
وحكمائي نصحوني بأن أصانع ابن تاشفين
وأعلن الخضوع له.. فهل كنت تظنين أنني
ممن يخضعون لمتجبر أو يستسلم لطاغية لا
يعرف عهداً ولا يخفر ذمة؟

زوجتي حبيبتي اعتماد:

لما تماسكت الدموع

وتنهنه القلب الصديق

قالوا الخضوع سياسة

فليبد منك لهم خضوع

وألذ من طعم الخضوع

ع على فمي السم النقيع

قد رمت يوم نزالهم
ألا تحصنني الدروع
وبذلت نفسي كي تسد

سبل إذا يسيل بها النجيع
أجلى تأخر لم يكن
بهواي ذلي والخشوع

زوجتي، يا شريكة عمري ..

يا أم الفتح .. يا أم يزيد:

برغمي يا حبيبتي .. برغمي أنهي إليك
فجيعتي .. نعم، فجميعتك في ولديك فقد
قتلتهما ابن تاشفين غدرًا وغيلة بعد أن
خدعني رسله بأنهما إن استسلما ونزلا من
قلعتهما فلسوف يضمنان حياتهما ..
ولكنها كانت خدعة إجرامية.

مسكين أنت يا ولدي الفتح .. مسكين أنت
يا ولدي يزيد

يقولون صبر لا سبيل إلي الصبر
سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه
يزيد فهل بعد الكواكب من صبر
أفتح: لقد فتحت لي باب رحمة
كما بيزيد الله قد زاد في أجرى
هوى بكما المقدار عني ولم أمت
وأدعي وفيًا! قد نكصت إلى الغدر
توليتما والسن بعد صغيرة

ولم تلبث الأيام أن صغرت قدرتي
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى
إذا أنتما أبصرتما في الأسر

زوجتي، عزائي وسلواي في محنتي:

إن زبانية ابن تاشفين لا يجدون هناهم

وسرورهم إلا في تعذبي والتنكيل بي .. لم
يكف سيدهم أنني اختفيت من وجهه ولم أعد
خطرًا يهدده أو وسواساً يؤرقه .. يا عجباً
لهذه الدنيا، لمن اشكوى ومم أشكوى؟ الحق أنني
لم أعد أنس بشيء إلا بحديث الأسي إلى
قيدي، أحادثه عله يرحمني فيخفف من قسوته
على ساقى اللتين لم تسعيا إلا في الخير ..
صدقيني يا حبيبتي ولا تظني أنني فقدت
عقلي أو أن أعصابي أفلتت مني عندما أقول
لك إنني استرحمت قيدي .. قلت له راثيا
لحال أولادي نائحا من جور الزمان وغلظته:

قيدي: أما تعلمنى مسلما
أبيت أن تشفق أو ترحمما
دمي شراب لك واللحم قد
أكلته: لا تهشم الأعظمما
ارحم طفيلًا طائشًا لبي
لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله
جرعتهن السم والعلقما
منهن من يفهم شيئًا فقد
خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئًا فما
يفتح إلا لرضاع فما

زوجتي حبيبتي:

لا أظنك إلا ملتاعة الفؤاد مشعوفة
بحسرات القلق الأسيان .. وأحسب أن ذلك
لضياع ابنتنا بشينة أثناء المعارك .. لكن
اطمئني فما هو ذا خبر يثلج صدرك ويطمئن
بالك على مصيرها .. فقد وصلتني منها
رسالة حكمت لي فيها ما وقع لها .. لقد

اختطفها أحد البرابرة وأخذها إلى أحد
تجار أشبيلية وقال له: أشتري هذه الصبية
يا سيدي؟ إنها من جواري المعتمد، وما
أدراك ما جواري المعتمد، جمال روح،
وجمال عقل. فقال التاجر: أتزعم أنها
إحدى جواري المعتمد؟ فقال: إي والله، إنها
إحداهن أسرتها في هجمتنا عليه. فقال
التاجر: إذن أدفع لك فيها ألف دينار.
ففرح وقال: خذها بارك الله لك فيها. لكن
ماذا يصنع بها رجل ذرف على الثمانين
وأصبحت حياته زهادة وتبتلاً؟ لقد وهبها
لابنه لكنها رفضت أن تتزوجه قائلة: إنني
على هذا لا أحل لك إلا بعقد نكاح إن رضي
أبي بذلك، ألا تعرفه؟ إنه المعتمد بن عباد.
فقال: وكيف نعرض الأمر على أبيك وأنت
تدركين ما أصبح فيه؟ فقالت: أنت تعرف
أنه سجين بأغصات وما عليك إلا أن تعمل
على أن يصله كتابي هذا إليه.

وكان كتابها قصيدة جاء فيها:

اسمع كلامي واستمع لمقالاتي
فهي السلوك بدت من الأجساد
لا تنكروا أنى سببيت وأنني
بنت لملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره
وكذا الزمان يؤول للإفساد
لما أراد الله فرقة شملنا
وأذاقنا طعم الأسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه
فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ
لم يأت في إعجابه بسناد

إذ باعني بيع العبيد فضمني
من صـانني إلا من الأنكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر
حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يروم رأيك في الرضا
ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتى تعرفني به
إن كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها
تدعونا باليمن والإسعاد
فكتبت إليها بيتاً واحداً أقول فيه:

بنيتي كوني به برة

فقد قضى الدهر بإسعافه

حبيتي زوجتي اعتماده:

الآن وقد أصبح المصير مما لا مهرب
منه... فماذا أقول لدهري؟ وماذا أقول
لنفسي؟ وماذا أقول لك أنت يا صنو روحي؟
أقول لنفسي:

لنفسي إلى لُقيا الحمام تشوق
سوائني بحب العيش في ساقه حجل
وأقول لك يا حبيبة الصبر:

كتبت وعندي من فراقك ما عندي
وفي كبدي ما فيه من لوعة الوجد
وما خطت الأقلام إلا وأدمعي
تخط سطور الشوق في صفحة الخد

معذرة:

لاحتجاب أوراق زوجية لهذا
الشهر، لعدم وصولها.

روى ابن حبان في كتابه «روضة العقلاء»: قال سمعت اسحق بن أحمد القطان بتستر يقول: كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب الفقراء، وكان يتفقد الصالحين ويتعهدهم فقال لي: دخلت يوماً على أحمد بن حنبل، فإذا هو مغموم مكروب فقلت: مالك يا أبا عبد الله؟ قال: خير، قلت ومع الخير ماذا؟ فقال: امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرئت إلا أنه بقي في صُلبي موضع يوجعني، هو أشد علي من هذا الضرب، فقلت: اكشف لي عن صُلبك، قال: فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط، فقلت: ليس لي به معرفة، ولكن سأستخير لك، فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس، وكانت لي به معرفة، فقلت له أدخل الحبس في حاجة، قال: ادخل، فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرققتها عليهم، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي، ثم قلت: من منكم ضرب أكثر؟ قال: فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه الأكثر ضرباً، فقلت له: أسألك عن شيء، قال: هات: قلت شيخ ضعيف ليس له صناعة كصناعتكم، ضُرب على الجوع ليُقْتَل سياتاً يسيرة، إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ، إلا أن موضعاً في صلبه يوجعه ليس له عليه صبر، قال: فـضـحـك ، قلت: ما الحيلة قال: يَبْطُ صلبه، وتؤخذ منه هذه القطعة

د. أبو حاتم - المنصورة -



٢٨

٢٢٢ خلق نادر:

الانتصار على النفس خلق نادر، ويزداد ندرة حين يكون هذا الانتصار استجابة لعاطفة شريفة تقابل السيئة بالحسنة ويتناسى صاحبها ما قدم إليه من قوارص دامية تترك أثرها البدني في الجسم المعتل، وهذه المنزلة الرفيعة لا يلقاها إلا الذين صبروا، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم من المروءة والهمة، ومن هؤلاء إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فقد تمزق جسده تحت سياط المعتصم في محنة (خلق القرآن الكريم)، ثم كان منه ما نرويه الآن:

المريضة وترمى، لأنها إذا تركت وصلت إلى فؤاده، فقتلته، قال فخرجت من الحبس، فدخلت على أحمد بن حنبل، فوجدته على حالته، فقصصت عليه القصة، فسأل: ومن يُبْطِئني، قلت: أنا؛ فقام ودخل ثم خرج وبيده مخدتان، وعلى كتفه فوطه، فوضع إحداهما لي، والأخرى له، ثم قعد عليها وقال: استخر الله، فكشفت عن صلبه، وقلت: أرني موضع الوجع، قال: ضع إصبعك عليه فإنني أخبرك به، فوضعت إصبعي، وقلت أها هنا؟ فقال: نعم وأسأل الله العافية، فوضعت الموضع عليه فلما أحس بحرارة الحز وضع يده على رأسه، وجعل يردد قوله: اللهم اغفر للمعتصم! حتى انتهيت من أمرى وأخذت اللحم المصابة ورميتها، وشددت العصا به عليه، وهو لا يزيد عن قوله: اللهم اغفر للمعتصم، ثم هدأ وسكن، ومضت فترة، فقلت يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا دعوا على من ظلمهم، وأنت الآن تدعو لظالمك بالمغفرة، فقال: إني فكرت فوجدت المعتصم ابن عم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فكرهت أن آتي يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومه، فهو مني في حل.

٢٢٢ - نادرة أخرى:

لما سقطت الدولة الأموية وتتبع العباسيون قُلُولها من الأمراء والولاة والجنود، خاف إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك على نفسه،

إذ توقع الموت المحتوم، وجعل ينتقل بالليل من مكان إلى مكان، ويختبئ بالنهار في منعزل لا يراه به أحد، حتى بلغ الكوفة، ونظر فوجد طائفة من الجند يسرون بها، فخاف أن يعرفوه، ولم يدر إلى أين يتجه فصادف داراً رحبة فسيحة، فدخلها مذعوراً، ورآه صاحبها على حال من الخوف والارتباك، فلم يسأله عن أمره، وفهم أنه مطلوب بئس، وأدركته الحمية فهياً له مكاناً حسناً، وجعل يتعهده بنعمه، ويجلس معه في أوقات كثيرة، دون أن يسأله عن أمره، وقد لاحظ إبراهيم بن سليمان أن صاحبه يخرج من المنزل مسافراً عدة أيام في رحلات متواصلة ثم يرجع أسفاً وكأنه لم يحقق ربحاً؛ على أنه يوصي به أهل المنزل ليقوموا باكرامه في غيابه كعادتهم في حضوره، وحين تكرر السفر والمجيء، وأنس كل من الضيف وصاحب المنزل بصاحبه، تقدم إبراهيم إليه سائلاً: علام تتركنا هذه الأيام، كأنك ترحل في تجارة، وتعود حزينا ولم أرك مرة مسروراً بعد عودتك؟ فقال: إن لي ثأراً مع بعض الهاربين من رجال بني أمية، حيث أقدم الفاجر إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك على قتل أبي دون ذنب، وكان والدي صاحب مروعة يشفع للناس، وينصر الضعيف ويساعد المظلوم، وقد شهد على إبراهيم مناصراً رجلاً ضعيفاً سلب حقه، فتوعده إبراهيم، وهدده كي يكتم الشهادة،

لسبيلك، وأراد أن يصله ببعض الزاد فأبى
إبراهيم!

٢٢٤ - من الغرب:

كانت (مس أديت) سيدة من عنصر
كريم، ولها ثراء موفور يجعلها تعيش عيشة
السعداء، وقد فقدت زوجها في غرق باخرة
هوت معه في قاع المحيط، فصممت على أن
تعيش على ذكراه، قانعة بثروتها المالية عن
الزواج مرة أخرى، وكان عطفها على الخدم
موضع الحديث الدائم لكل من يتصل بها، إذ
كانت تغمر كل من يلوذ بها من هؤلاء بما
تحتاجه أسرته الفقيرة دون نظر إلى الأجر
الشهري المعلوم، وقد التحقت بخدمتها شابة
شريرة تتظاهر بالبراءة، وتبذل من الإخلاص
الظاهري ما يعمي حقيقة مشاعرها
الإجرامية، تلك هي الخادم (إديل) ذات
الذكاء الذي يستتر الملامح المعبرة عن
أحاسيس الشر في أعماقها الدفينة،
وصادفت من كرم سيدتها ما كان خليقاً أن
ينزع من نفسها بذور الشر إذ كفتها وكفت
أهلها المزعومين شر الحاجة، وانتقلت بها من
وضع سداة ولحمته الإملاق والعوز إلى وضع
كريم يجد ما ينفق دون ضيق بل ببذخ
واسراف ولكن الخادم قد وقعت في هوى
لص شرير تعود أن يتخذها وسيلة للسطو
على أموال الأثرياء، إذ يتقدم بها للخدمة عند
من يعتقد فيهن الثراء حتى إذا عرفت كل
شيء عن منزل المخدمة اتفقت معه على
الحضور في ساعة تغيب فيها سيدتها عن

فلم يعبأ والدي بغير الحق، ولم يدر أن
الفاجر إبراهيم قد رصد له كميناً في عودته،
حيث خرج أعوانه فقتلوه بليل، وجاعاً من
يخبرنا بأمره الفاجع، فلم أملك صبراً،
وصممت على الثأر لأبي من هذا الفاجر متى
أتيح لي أن أفعل، ثم أذن الله وسقطت الدولة
الأموية، وتفرق أمراؤها في الكهوف
والمغارات مختبئين، فعزمت على أن أنهض
فأبحث عن غريمي ليلقى جزاءه المحتوم
قصاصاً مفروضاً على يد وليّ الدم، وما كاد
الضيف يسمع الحديث حتى بهت، وعلته
صفرة أدركه بعدها ارتجاف شديد فتعجب
صاحب المنزل وسأله: مالك؟ هل تعرف شيئاً
عن مكان إبراهيم؟ وهل يعزّ عليك إلى هذا
الحد، وهو قاتل أثم؟ فقال الضيف: بعد أن
أكرمتني وحفظتني في غيبتك وحضورك، فلا
أنكر عليك أنى إبراهيم بن سليمان! ولك أن
تقتص مني الآن، فأنت على حق، وقد كنت
سفيها طائشاً لا أدري عاقبة ما أصنع، ولكل
نفس أجل.

فبهت الرجل، وجعل يقوم ويقعد متحيراً،
ثم رجع إلى هدوئه، وتوجه لضيفه قائلاً: أما
أبي فسيلقاك غداً أمام ربه وسيحاكمك إليه،
وهو أعدل حاكم، لا تخفى عليه خافية في
الأرض ولا في السماء، وأما أنا فلست أخفر
ذمتي معك، وقد عاهدتك على الصون، ولكني
لا آمن نفسي في لحظة من لحظات الغيظ،
أن أنهال عليك طعناً برمحي هذا، فاخرج

المنزل، كي يحضر فيسرق الجواهر، وكل ما غلا ثمنه، وخف حمله؛ وعلى هذا النمط دأبت (إديل) مع أربع أسر كريمة... وكانت تنتقل من بلد الى بلد، مع عاشقها الفاجر، كيلا تقع في أيدي الشرطة بعد فرارها مع عاشقها مستولياً على ما يود من النفائس الثمينة... وسار كل شيء في طريقه الطبيعي اذ عرفت (إديل) مكان الجواهر، واستطاعت أن تصنع مفتاحاً للخزينة تحتفظ به معها، ليسهل الاستيلاء على الثروة دون جهد... وصادف أن (مس اديت) في اليوم الذي حدثته (إديل) لارتكاب الجريمة، دعته، وأعطتها هدية لأسرتها، وطلبت منها أن تأخذ اجازة هذه الليلة لتسعد بقاء أحبائها، ولم تكن لأديل أسرة في الواقع ولكنها لفقت لها حديثاً مكذوباً عن عائلتها، كي تطمئن على أنها ليست ساقطة تعيش في كنف لص شرير، وحارت الخادم فيما تصنع، فالسيدة لن تخرج من المنزل بعد أن ألغت رحلتها، ثم هي الآن تغمرها بهداياها الزائدة عن الحد المعقول، وذلك ما هز نفسها من الأعماق، وصاحبها الفاجر سيحضر الليلة في الميعاد، وقد يجد السيدة وحيدة فيقتلها كما فعل من قبل بثلاث ضحايا!! لقد عاشت الخادم لحظات قاسية لا تدري ماذا تفعل، ثم همت على أن تفضح أمرها للسيدة، حين استدعت البوليس ساعة حضور العاشق بدعوى أنها تلقت مكالمة مريبة توحى بمؤامرة تتعلق بالسيدة، وأسرع البوليس في الحضور، وكان اللص ذكياً اذ رأى من رجال الشرطة

ما أفهمه خطورة الموقف، ففر على أعقابيه منهزماً، ودهشت السيدة، فاستدعت خادمتها لتسألها عن سبب حضور البوليس، فصرحت لها بكل شيء، وذكرت أنها اشتركت من قبل في ثلاث وقائع للسرقة ممن اتتمنوها على ذخائرهم، وكان في ذلك ما يؤدي بالسيدة الى إبلاغ الشرطة عنها، فإن لم تفعل ذلك، فإلى طردها العاجل من المنزل لأن جرائم الجريمة تنتشر في أعماقها، ومن الجائز أن تكون وسيلة طبيعية لمؤامرة أخرى، لقد فكرت السيدة النبيلة في كل احتمال، ثم دعت الخادم لتقول لها سأعطيك عشرة آلاف دولار لتعيشي عيشة كريمة بعيدة عني، وأنصحك ألا تقتربي من اللص مرة أخرى، لأن عائد المبلغ من البنك سيقوم بحاجتك، إذا لم توفقي الى عمل مساعد، وقامت إلى خزينتها فأعطتها الدولارات عن سماح! وهي تعلم أنها اشتركت في جريمة كادت تؤدي إلى مصرعها! فماذا نقول في هذا؟

٢٢٥ (من شعر الحيف بيبي):

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الأسارى وطالما
غدونا إلى الأسرى فننصف ونصفح
وحسبكمو هذا التفاوت بيننا
فكل إناء بالذي فيه ينضح

الرائد لا يكذب أهله :

الأستاذ الرائد عبد القدوس الأنصاري، منذ نشأته لحظ فيه معلموه دلائل النبوغ ورجاحة العقل، إذ كان متقد الذهن، لماحاً ذكياً... لا يغادر كلمة إلا بعد استقصاء مدلولاتها ومعانيها.

لم يتجاوز العقد الثاني من عمره وقد أقلقته ما عليه لغة الكتابة والدواوين، إذ شطرت التركية العربية، وكادت اللغة التركية الأعجمية أن تتغلب على العربية، وهاله الأمر، فتحمل عبء تصحيح ما يقع عليه، وكان آنئذ موضع تندر من جمهرة الموظفين والعاملين ولكنه لم يبال بشيء من ذلك.

ومن هذه التصحيحات والتصويبات خرج بكتابه (تصحيحات في لغة الكتابة).

وهذا بطبيعة الحال يأتي من منطلق ملاحظته الدقيقة، وسعة أفقه، وحرصه الشديد على لغة القرآن الكريم حتى لا تضيق بين الركام.

وعلى منهج الجد والصبر أخذ الأنصاري نفسه، وجاعت مجلته المنهل نتاج رصيد وافر من العلم، ورصيد وافر من خدمة دينه وأهله ووطنه ولغته العربية.

وتوالى عطاءات الأنصاري وتوالى رحلاته واكتشافاته ومؤلفاته التي تربو عن العشرين مؤلفاً من مخطوط ومطبوع... كل هذا، نتاج علم غزير، وصبر متواصل وجلد عظيم. ولسنا بسبيل تعداد عطاءاته ومآثره، في هذه الصفحات، ولكننا نكتفي بإضاءات يسيرة من أساتذة أكارم عاصروه، وخبروا فيه الشخصية التي تمثل النموذج الفريد في ميادين عطائها.

ألا رحم الله والدي عبد القدوس الأنصاري وأحسن إليه وأسكنه جنة المأوى نزلاً من عنده سبحانه.

«نبيه الأنصاري»



نبيه الأنصاري

عبد القدوس الأنصاري

١٣٢٤ - ١٤٠٣ هـ

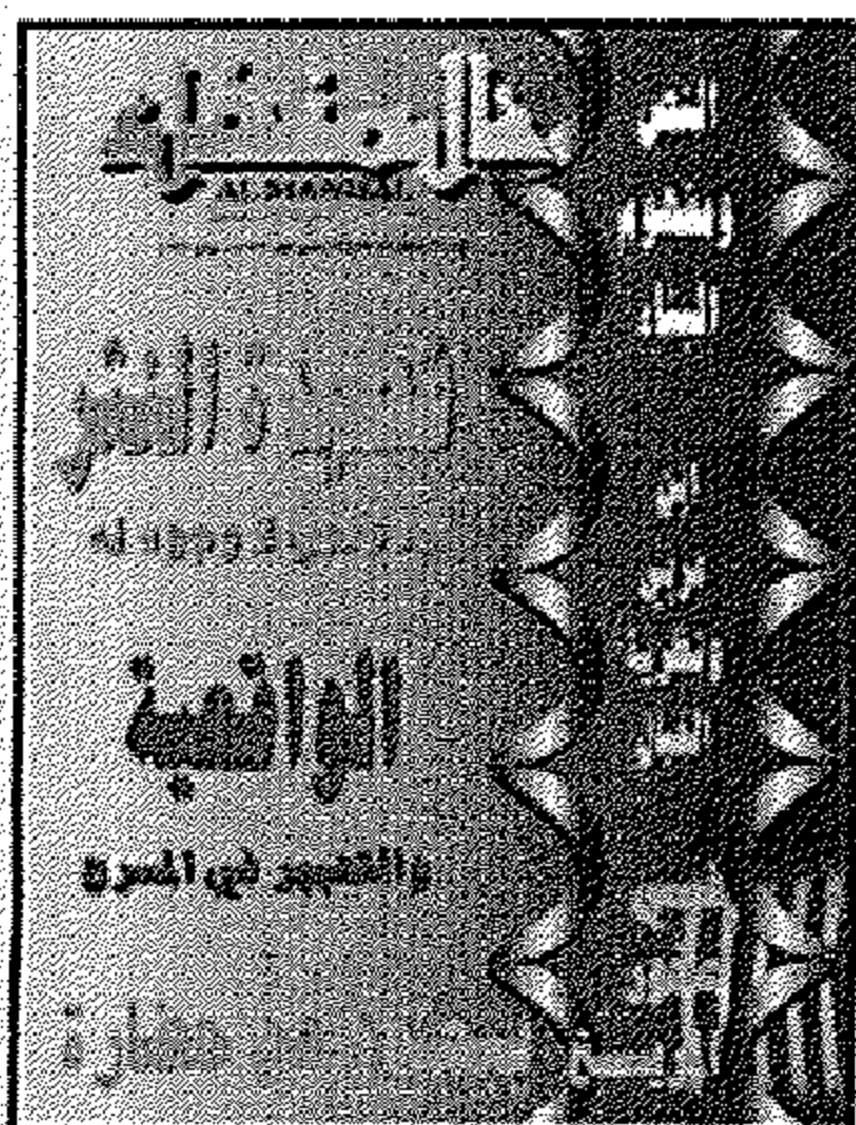
الموسوعية في الاستيعاب والطرح والمطاء



عبد القدوس الأنصاري



العدد الأول من المنهل ١٣٥٥



عدد جمادى الأولى ١٤١٨ هـ

**** الريادة قيومية والأنصاري**

يظل قيومية ناضرة

**** المنهل قمة في الالتزام والموسوعية**

**** الأنصاري، بحث ونقب وكتب**

والناس في جهل لما تفتح مداركهم بعد

**** هادىء الطبع، موسوعي**

المسورة، لا يسيء لأحد

**** السريادة فسي الأدب**

والتاريخ والآثار

**** من حق الرواد علينا أن**

يظلوا دائماً في دائرة الضوء

«الأستاذ الاخ عبد القدوس الانصاري علم من اعلام هذه البلاد، لم يقف علمه عند موهبة واحدة ولم يكن يقف عند سبيل واحد من سبل العلم والتحقيق فهو صحافي مبدع صاحب الموسوعة الشهيرة (مجلة المنهل) التي عاشت فوق خمسين عاماً خدمت جزيرة العرب وتحديث عن معالمها واعلامها وكان لها الفضل الكبير والعلم الغزير والعطاء الوافر.

وهو عالم في اللغة، مُلمّ بسبلها، عارف بأحوالها، له فيها اليد الطولى والمكانة المثلى، وهو مؤرخ عارف بالتاريخ وله فيه التأليف والبحوث الأصيلة والمكانة المعروفة، وهو ناقد له في النقد المكانة العليا والسبيل الامثل، وبالجمله فهو علم من اعلام هذه البلاد، ورمز من رموزها التي تعتد بها وتشتمخ، وشاعر مبدع وكاتب أصيل، أخذ من كل فن بالقدر الرفيع، والمكانة السامية فله المكان الأعلى والقدر الاسمى، واذا ذكر المبدعون من حملة الاقلام وذوى القدر الاسمى جاء عبد القدوس الانصاري مبدعاً له مكانته وسمو قدره، واذا ذكر النوابغ والمبرزون فهو في الطليعة والمثل الأعلى رحمه الله وغفر له واسكنه فسيح جناته، وبالجمله فأديبنا وشاعرنا ومؤرخنا له المكانة المثلى والقدر الرفيع والمكان البديع عفا الله عنه واسكنه فسيح جناته».

(الأستاذ/ عبد الله بن خميس)

**** مجلة المنهل**

بواسطة شقيقة

خدمت جزيرة العرب

**** الأنصاري له**

المكانة المثلى

والقدر الرفيع



عبدالله بن خميس

الأنصاري .. الأثري المؤرخ

ان الحديث عن الشيخ عبد القدوس الأنصاري حديث نو شجون، في اعتقادي انه يعد رائد الآثار في المملكة العربية السعودية فهو أول من ألف كتاباً عن الآثار سنة ١٣٥٤هـ. وهو كتاب يتحدث عن آثار المدينة المنورة، ويحكي في هذا الكتاب عن اسباب اتجاهه إلى الآثار إذ رأى (فيلبي) وهو يحاول التعرف على آثار المملكة أو آثار الجزيرة العربية فقال نحن أولى بآثارنا من هذا الانجليزي. والأنصاري ذو أحلام عريضة، عندما نقرأ ما يكتبه في المنهل نشعر انه يحاول ان تصور ما تكون عليه المملكة العربية السعودية بعد خمسين عاماً أو مئة عام.

فتصور كيف تكون الجامعات منتشرة وكيف ستكون المدارس منتشرة وكيف سينهض التعليم في هذه البلاد وكيف يكون فيها الاطباء والمهندسون، وقد تحققت احلامه وله الحمد.. والأنصاري يحرض الباحثين والكتاب على ان يحرروا ويكتبوا ثقافة اصيلة دائمة ولذلك فقد كانت المنهل مصدراً علمياً لهؤلاء الباحثين ونبعاً ينهلون منه.

وقد خصص الأنصاري مكاناً أو باباً في المنهل أسماء منهل الناشئين وفي هذا المكان كان يكتب الشباب من أرباب القلم.

الأنصاري كان يعقد الندوات ويدعو لها الباحثين، وكان يفكر في كيفية تصدير الأدب السعودي، وهي فكرة قديمة ورائدة، لم يفكر فيها أحد قبله ولذلك طرح سؤالاً كيف نستطيع أن نصدر الأدب السعودي؟ ورغم ان الأدب السعودي آنئذ كان يحبوا إلا أن الأنصاري كان يفكر كيف يمكن لهذا الصغير الذي يحبوا ان يطير ويحلق في السماء.

الأنصاري ايضاً اهتم بالأدب المترجم، فنشر كثيراً من الآداب العالمية، في القصة وفي الثقافة بشكل عام.

والى جانب ذلك فقد اهتم بالبحوث، فقد نشر عدداً من الملاحق الادبية في المنهل يقدمها مجاناً للمشاركين وقبل ذلك فان الأنصاري هو رائد الرواية السعودية، ولذلك فهو يعتبر بحق الرائد الاول في كتابة الرواية، والدليل على ذلك قصته أو روايته التوأمين، وهي عبارة عن فكرة يحاول فيها ان يقارن بين العلم والجهل، وكيف ان العلم مصدر التقدم في المجتمعات الراقية.

والأنصاري قبل ذلك وبعده مؤرخ، وقد عني بالتاريخ عناية فائقة وحاول ان يستفيد قدر الامكان من الآثار ولذلك فهو مؤرخ المدينة، وله سفر كبير عن جدة فتاريخ جدة يقترن بالأنصاري والأنصاري يقترن بتاريخ جدة وكل من يبحث في تاريخ جدة يلزمه الرجوع الى كتابه القيم (تاريخ مدينة جدة) الذي يزيد عن ١٥٠٠ صفحة.

لكل ذلك والأنصاري في كفاحه الطويل يعتبر مرجعاً هاماً في كل جوانب الثقافة في المملكة العربية السعودية وقد أفنى حياته خادماً لهذه الدولة، وخادماً للآداب وخادماً للفكر وخادماً للكلمة الحرة النظيفة التي تعبر عن وجدان حي أصيل.

(أ.د. عبد الرحمن الأنصاري)

**** عبد القدوس
الأنصاري رائد
الآثار في المملكة
العربية السعودية**



د. عبدالرحمن الأنصاري

الأنصاري .. قمة في الريادة

إذا تحدثنا عن الرواد في بلادنا فإن الأستاذ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله .. هو بلا ريب قمة، فلقد جاهد بفكره وقلمه، وماله، يوم لم يكن هناك من يعرف للحرف معنى .. ولا للمعنى أي قيمة!!

كتب البحوث .. ونشر الفكر .. والف التوأمان .. والناس في جهل لما تتفتح مداركهم العقلية بعد! وعندما وجد الحاجة تدعو لاضاءة مشعل فكري يهدي للتي هي أقوم سارع وأصدر «المنهل» الذي استطاع من خلاله أن يثري الساحة الأدبية بعطاء أدبي تمثل فيه نتاج معظم رواد الأدب والفكر وعمالقة الشعر في بلادنا .. وكما أن «الريادة» قيمة .. فإن «المنهل» كان ولا يزال «قمة» في الالتزام والموضوعية والفكر الوضاء .. وإن مما يؤسف له أننا نتناسى سريعاً روادنا بمجرد مغادرتهم الحياة الدنيا الى رحمة الله .

ولعل ما يؤسف له أكثر .. أننا لم نوف الرواد حقهم من التقدير .. ولا التكريم الذي يستحقونه لقاء بعض ما قاموا به من حفر في الصخر وسهر بالليل لاضاءة طريق الرشاد لأمتهم وتابعيهم من الأدباء والكتاب .

إن من حق الرواد علينا أن ننشر نتاجهم، وأن نقيم الندوات لاستعراض عطائهم .. ووضع البحوث والدراسات التي تبرز قيمة فكرهم ومقدار نبوغهم المبكر في عصر كان الجهل فيه سائداً .

تحية احترام للرواد .. وتحية تقدير للمنهل .. ودعاء صادقاً إلى الله العلي القدير بأن يرحم أستاذنا العلامة الشيخ عبد القدوس الأنصاري ويجزيه بما هو أهله، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عمل» .

(الأستاذ/ عبد الله عمر خياط)

**** إذا تحدثنا عن**

الريادة في بلادنا

فإن الأنصاري بلا

ريب قيمة

**** مما يؤسف له أننا**

نتناسى روادنا

بمجرد مغادرتهم

الحياة الدنيا



عبدالله عمر خياط

**** الأنصاري كان**

واحداً من جيل

المهالة

**** المنهل قد**

مثلاً كريماً في

المنهل المبارك



محمد صلاح الدين

«أستاذنا الكبير الشيخ عبد القدوس الأنصاري كان واحداً من جيل العمالقة الرواد الذين عاصرتهم والذين لا أزال احفظ لهم في ذاكرتي كل الود والتقدير.

وأرى في أستاذنا الكبير مثلاً كبيراً وقدوة ممتازة لأجيال الشباب من الباحثين. لقد كان يرحمه الله ذا ثقافة موسوعية وإلمام دقيق لكل موضوع يتعرض له، ودأب على البحث والتحري والتقصي وكان يرحمه الله على خلق عظيم من التواضع واحترام الرأي الآخر، وحرص على الاستفادة ممن هو أصغر منه مقاماً وسناً. ونظراً إلى ما خلفه الرجل الكبير من إنتاج ضخم سواء في اللغة أو التاريخ وبخاصة مجلته الرائدة المنهل التي أسسها منذ أكثر من ستين عاماً تعطي شبابنا مثلاً كريماً في العمل المبارك الذي يخلف كل هذا الإنتاج الكبير مما يدل على دأب شديد وتركيز غير عادي وكيف أن هذا الجيل من الرواد قد وهب حياته للمعرفة والدراسة والبحث والإنتاج.

يرحمه الله رحمة واسعة، ونسأله تعالى لنا العون والتوفيق حتى تقتدي بهم في علمهم وبحثهم، وفضلهم وخلقهم وإنتاجهم والفائدة التي خلفوها للأمة.

(الأستاذ/محمد صلاح الدين)

رجال في الذاكرة

الأستاذ عبد القدوس بن القاسم بن محمد الأنصاري يرحمه الله علامة كبير، وأديب مبدع، وإعلامي متميز، وبحاث في علم الآثار. لقد استطاع الأنصاري - يرحمه الله - وضع بصمة واضحة المعالم على الحركة الأدبية والفكرية، ويشهد له الكثير من رجالات الأدب والفكر في بلادنا العزيزة... وإذا تجاوزنا مرحلة الوظائف الإدارية والفنية التي شغلها في مشوار حياته، فإننا نجد أديبنا الكبير العلامة عبد القدوس الأنصاري، قد وقف حياته العلمية والفكرية والتاريخية من أجل خدمة أمته في كل ميادين العلم والمعرفة وقرن القول بالعمل، والعمل الدؤوب المثمر وكانت هذه ميزة من ميزاته الكثيرة فضلاً عن كونه عالماً وباحثاً واديباً ومفكراً. فهو لا يقبل القسمة على اثنين لانه المعادلة الصعبة السهلة في كل العلوم والثقافة التي تخصص فيها بالاضافة الى دماثة اخلاقه وسمو ادبه الرفيع فكان لا يعادي أحداً بل كان متسامحاً مع كل من كان يسىء إليه فترك وراءه السيرة العطرة.

شارك في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول المنعقد في ١٣٩٤ للهجرة والذي دعت إليه جامعة الملك عبد العزيز بجدة وانتخب فيه واحداً من رواد الأدب السعودي، قدم في مؤتمر الأدباء السعوديين بحثاً ضافياً عن الملك عبد العزيز يرحمه الله في مرآة الشعر، وهو البحث الذي اقترحته الجامعة على الأدباء، وحاز في ذلك المؤتمر الميدالية الذهبية، من جامعة الملك عبد العزيز في الريادة الأدبية في هذه البلاد مع براعتها الرسمية.

أنشأ مجلة المنهل عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م. ولم تتوقف منذ صدورها الا في بضع سنوات الحرب العالمية الثانية تحت وطأة فقدان الورق.

ولازالت تصدر حتى الآن ويرأس تحريرها الأستاذ نبيه عبد القدوس الأنصاري. الأستاذ عبد القدوس الأنصاري - يرحمه الله - أسهم كثيراً في لقاء المحاضرات في رابطة العالم الاسلامي وفي الاندية الأدبية في كل من مكة المكرمة والطائف وجازان كما قام بالقاء محاضرات في جامعة الرياض سابقاً جامعة الملك سعود حالياً والملك عبد العزيز بجدة، ورشح رسمياً للقاء مثلها في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

انشأ أول ناد أدبي للشباب العربي السعودي المتعلم بالمدينة المنورة، اسهم في الندوتين العالمتين، بجامعة الرياض سابقاً/ جامعة الملك سعود حالياً، الاولى لدراسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية، والثانية لدراسة تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام. نشر بحوثاً وقصائد ومقالات عديدة متنوعة في الصحافة المحلية والخارجية، لقد ابحر العلامة الكبير الأديب العملاق الأستاذ عبد القدوس الأنصاري يرحمه الله في بحور تراثنا المعرفي والثقافي والادبي والتاريخي، وكشف لنا من خلال طوافه السياحي الاستقرائي المتعمق في جذور دائرة هذه المعارف الواسعة في شموليتها التخصصية كنزاً من كنوز المعرفة، فائزاً معرفتنا بحضارة امتنا في واقعها الماضي والحاضر والمستقبل ولقد كان بارعاً فيما صورته من حقائق ووقائع تاريخية عن تراث أمجادنا من أعلام الفكر العربي والاسلامي وبما حققه من مخطوطات ودراسات متعمقة في التاريخ والادب والفكر حيث كان من نتائجها حصيلة من المؤلفات والكتب والدراسات التي خلقها للمكتبة العربية واستفاد منها المثقفون والباحثون في اطروحاتهم العلمية والبحثية

** الأنصاري المعادلة الصعبة

السلة في كل العلوم والمعارف

** الأنصاري وقف حياته

العلمية والفكرية والتاريخية

من أجل

خدمة أمت



د. غازي زين عوض الله

وغيرها فكانت بالنسبة لهم من المراجع العلمية الهامة.

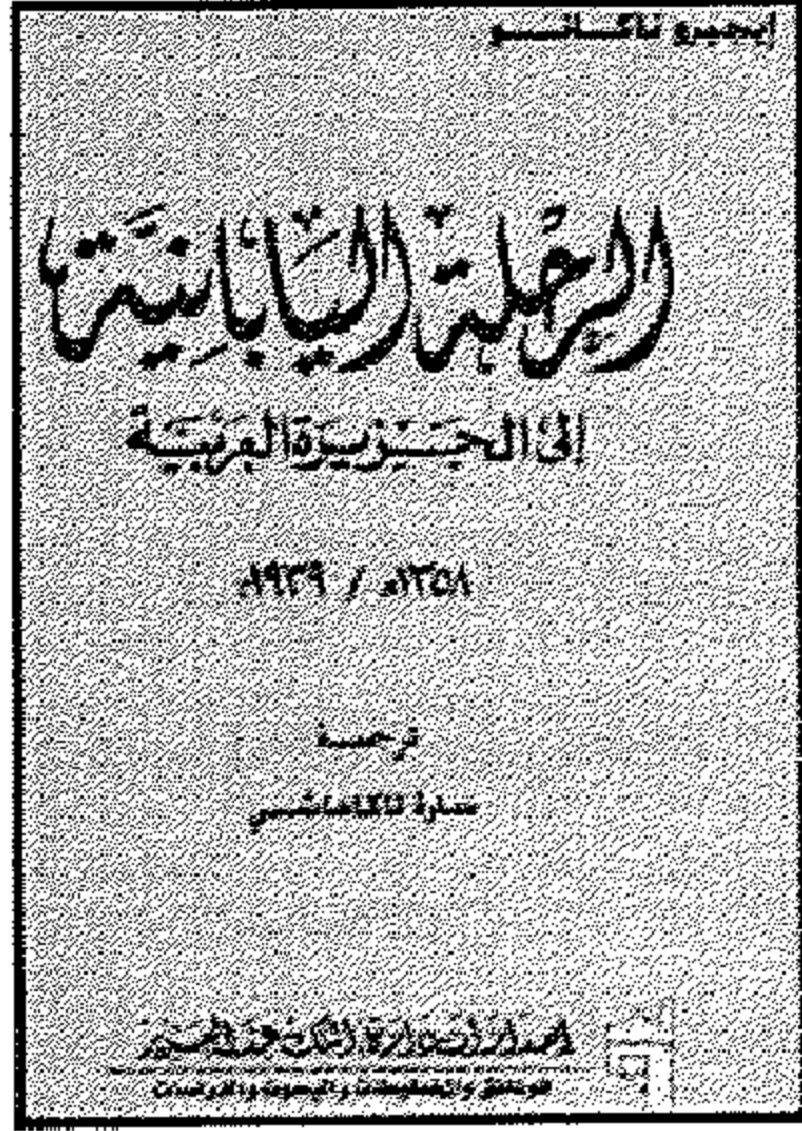
أما عن مؤلفاته فإن الأنصاري قد ألف عدة كتب منها:

- ١ - رواية التوأمان وقد ألفها عام ١٣٤٩ هـ. وهي أول رواية مطولة ظهرت في المملكة.
 - ٢ - آثار المدينة المنورة الذي طبع ثلاث مرات أولها في دمشق وفي القاهرة المرتين الآخرين.
 - ٣ - تاريخ مدينة جدة.
 - ٤ - تاريخ العين العزيزية بجده، وملحات عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩ - ١٩٦٩ م.
 - ٥ - بناء العلم في الحجاز الحديث.
 - ٦ - بين التاريخ والآثار.
 - ٧ - ديوان الانصاريات.
 - ٨ - التحقيقات المعدة لجمعية ضم جيم جدة، واسهم فيه مع الاستاذان ابو تراب الظاهري وعبد الفتاح ابو مدين.
 - ٩ - مع ابن جبير في رحلته.
- قام بعدة رحلات أثرية في الداخل والخارج ونشر ثمار تلك الرحلات في مجلة المنهل في اجزاء خاصة، له عدة مؤلفات لم تطبع بعد وهي معدة للطبع، وربما كان ابنه الوحيد الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصاري قد طبع منها كتاباً أو أكثر من كتاب فلم يصل إلينا حتى الآن أي كتاب منها، والكتب المعدة للطبع هي:
- «مختارات المنهل - اعلام المنهل - النخيل والتمور في بلاد العرب - مستقبل أبحر - الجزء الثاني من كتاب تاريخ المدينة المنورة - العلم والادب في جزيرة العرب».

«د. غازي زين عوض الله»

كتب واصدارات

**** الرحلة اليابانية إلى
الجزيرة العربية (١٣٥٨هـ/
١٩٣٩م) - تأليف ايجيرو
ناكانو، ترجمة سارة
تاكاهاشي - اصدار دار
الملك عبد العزيز، والكتاب
مطبوع على نفقة صاحب
السمو الملكي الامير سلمان**



بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض .

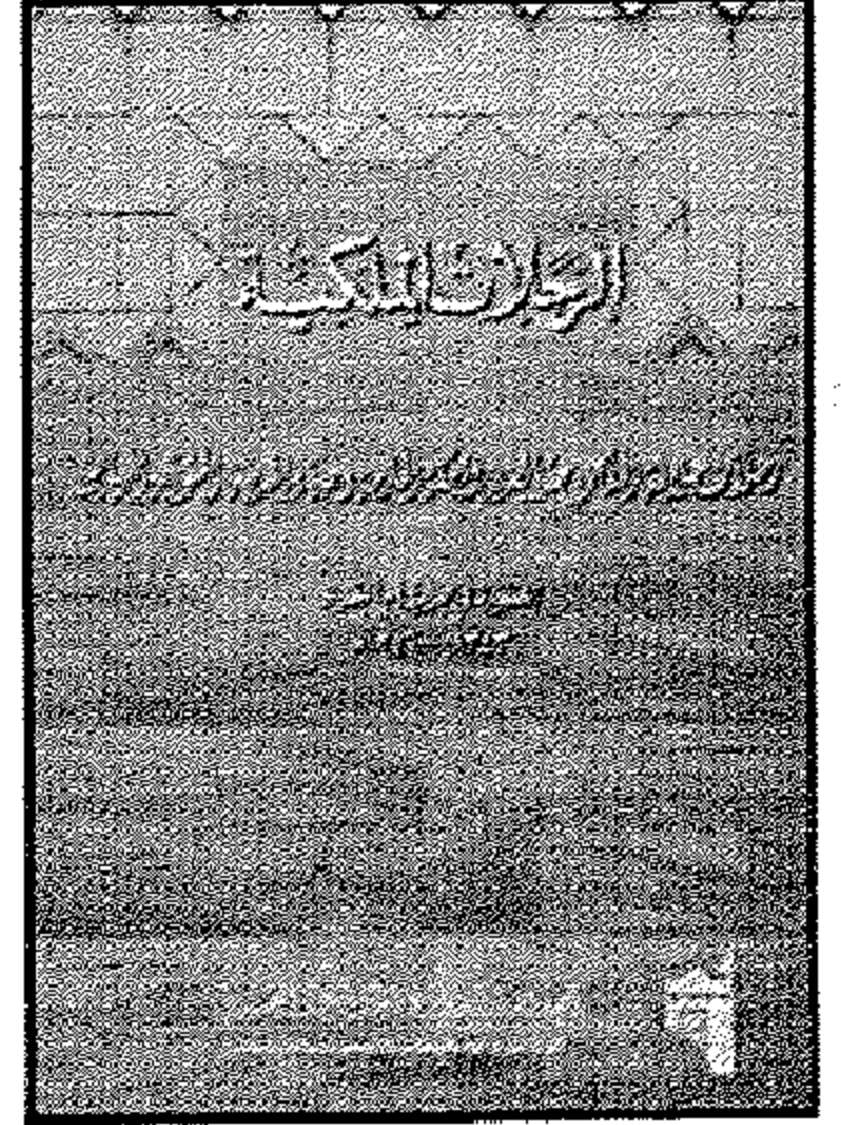
كتب الرحلات - إلى حد كبير - تُعدّ وثائق تاريخية واجتماعية وسياسية إذا صدق التوجه في الكتابة بعيدا عن الأغراض والهوى .

وعن الجزيرة العربية كتب كثير من الرحالة الأوروبيين، وبقيت كتابات الرحالة من دول آسيا قليلة ونادرة بالمقارنة بالرحلات الأوروبية . ويبقى البحث عن دراسات الرحالة من الآسيويين إلى الجزيرة العربية ضرورة ملحة لظهار الرأي الآخر وهو امر غاية في الأهمية من الجانب التوثيقي والتاريخي .

وتأتي أهمية هذه الرحلة اليابانية من كونها تتناول فترة تاريخية مهمة، وتسجل وقائع زيارة البعثة اليابانية الرسمية إلى المملكة العربية السعودية ومقابلة جلالة الملك عبد العزيز - يرحمه الله - في عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .

وبرغم ان هذه الرحلة سياسية بحتة الا أن مؤلفها كان صاحب تجربة في البلاد العربية، ومطلعا على الثقافة العربية مما جعله يدون يوميات هذه الرحلة بأسلوب أدبي جذاب ورائع . والأهمية الأخرى لهذه الرحلة تكمن في كونها تقدم وجهة نظر أخرى تختلف عن وجهات النظر السائدة - خصوصا الأوروبية - عن المنطقة - مما يسهم في إثراء المصادر التاريخية من حيث تنوعها وتعددتها .

**** الرحلات الملكية
(رحلات جلالة الملك عبد
العزيز إلى مكة المكرمة
وجدة والمدينة المنورة
والرياض) - المنشورة في
جريدة ام القرى
١٣٤٣هـ - / ١٣٤٦هـ -
اصدار دار الملك عبد
العزيز . . وطبع الكتاب**



على نفقة صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز آل سعود .

صفحات تاريخ المملكة العربية السعودية لا تزال بحاجة الى المزيد من البحث والدراسة، لأنها تمثل محور تاريخ ناصع غير معالم هذه الجزيرة، ونقلها نقلة حضارية ذكية قوامها الاسلام والشريعة الاسلامية في كل توجهاتها .

ومن هذه الصفحات المهمة ما يتعلق بالتطور التاريخي العظيم الذي شهدته ارض الجزيرة العربية في عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - الذي ارسى دعائم الدولة السعودية واعاد توحيد كيائها السياسي والجغرافي .

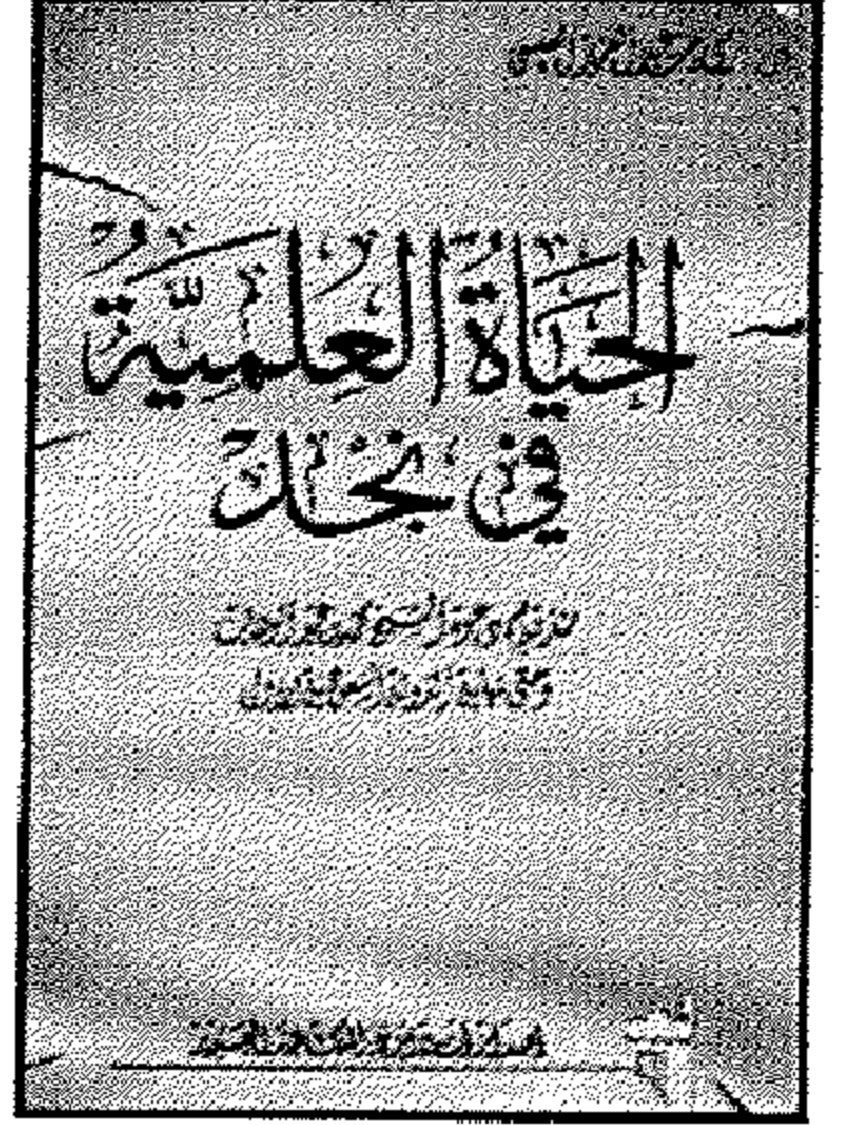
ورحلات الملك عبد العزيز إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة كانت محط انظار العلماء والمثقفين والكتاب آنذاك . . فاجتهدوا في تسجيلها وتدوين مراحلها . . وما كانوا يلاقونه من وعورة في الطريق، مع قلة الامكانيات المتاحة آنذاك .

ولقد سجلوا بدقة وأمانة بطولات الملك عبد العزيز، ورجاحة عقله، واتساع فكره، وحسن ادارته . . وهذه الرحلات نشرت في جريدة ام القرى .

ونشر هذه الرحلات في هذا الكتاب يعطي الدارسين والمثقفين والباحثين عن التاريخ الفرصة السانحة للاطلاع على حقائق ظلت حبيسة في صفحات جريدة ام القرى .

هذا الكتاب جاء في حوالي مئة وخمسين صفحة محلّى بمجموعة من الصور الفوتوغرافية التقطها الكاتب بنفسه .. وهي تضيف للكتاب قيمة توثيقية تاريخية إضافية.

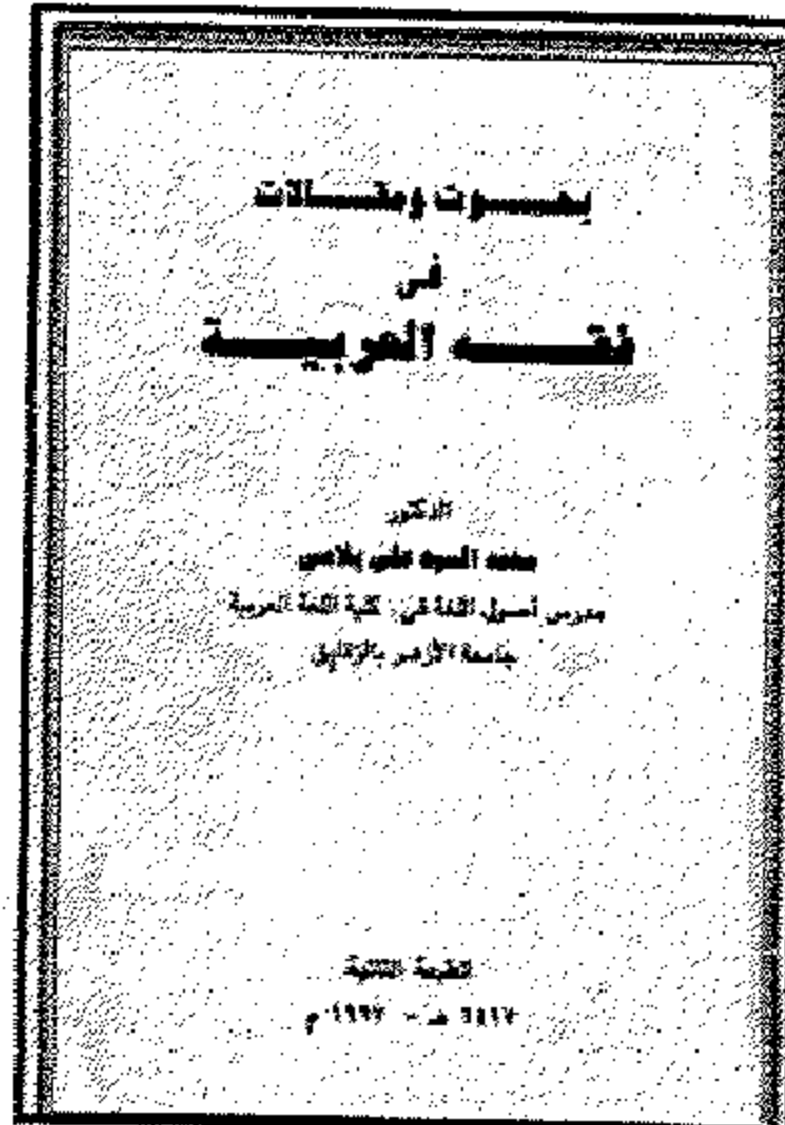
**** (الحياة العلمية في نجد، منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى) تأليف الدكتورة مي بنت عبد العزيز العيسى - اصدار دار الملك عبد العزيز، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير**



سلطان بن عبد العزيز آل سعود.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحدثت تحولا كبيرا في أوضاع نجد السياسية والاقتصادية والعلمية، فقد تمكنت الدولة السعودية الأولى التي قامت على أساس تلك الدعوة من لمّ شتات البلدان والقبائل النجدية المتفرقة في كيان سياسي موحد مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري .. وكانت الحياة العلمية في نجد قد شهدت نمواً تدريجياً ايجابياً بدأ تتابعه منذ القرن العاشر حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري .. وهذا الكتاب يرصد حركة الحياة العلمية في نجد في تلك الحقبة من الزمن.

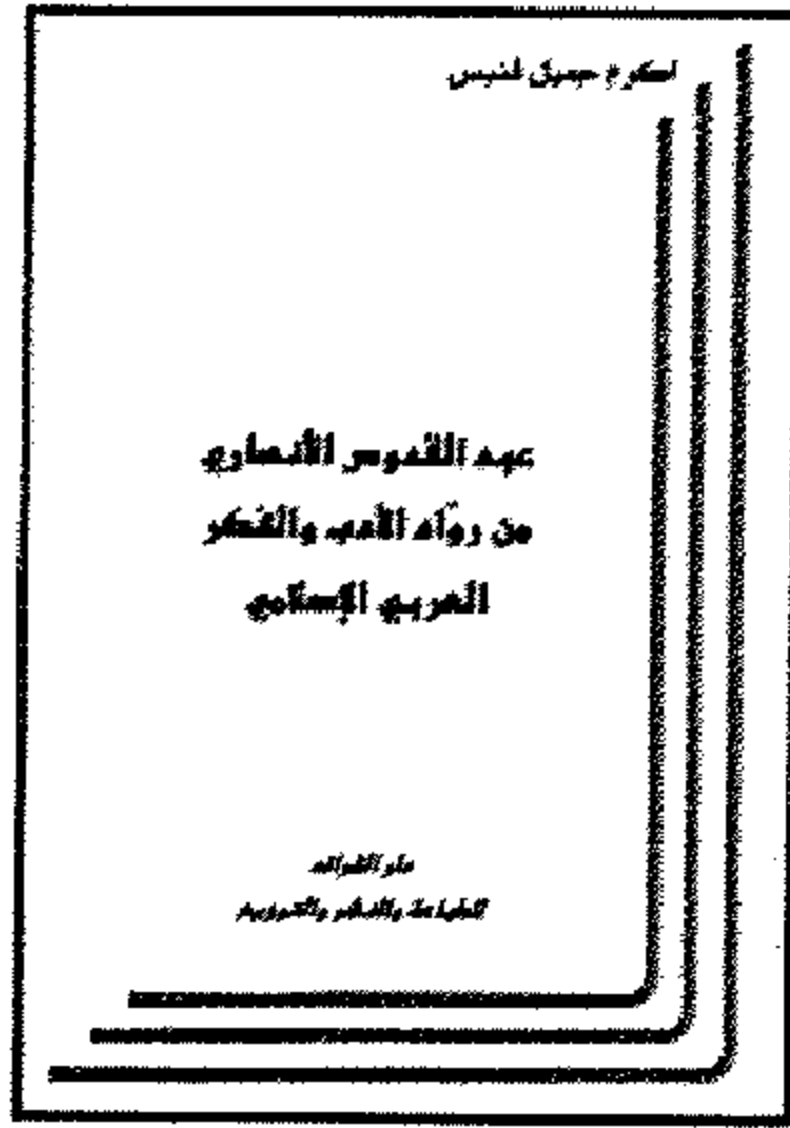
**** بحوث ومقالات في فقه العربية - تأليف الدكتور محمد السيد علي بلاسي - مدرس اصول اللغة في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالقازيق .. الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. وهذا الكتاب يقدم**



نموذجاً لفهم اللغة العربية ووضعها في المكانة اللائقة بها بين اللغات العالمية .. حيث يوضح بأسلوب سهل مشوق ميزات اللغة العربية وخصائصها، كما يعالج بعض قضاياها الشائكة مبرزاً اشهر أعلامها الأفاضال الذين كشفوا عن أسرارها.

والكتاب مجموعة من الأبحاث والدراسات والمقالات اللغوية التي نشرت للمؤلف على مدى عشر سنوات في المجلات العربية المشهورة.

**** (عبد القدوس الانصاري من رواد الأدب والفكر العربي والإسلامي) تأليف الأستاذ اكرم جميل قنيس، صادر عن دار الفرائد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.**

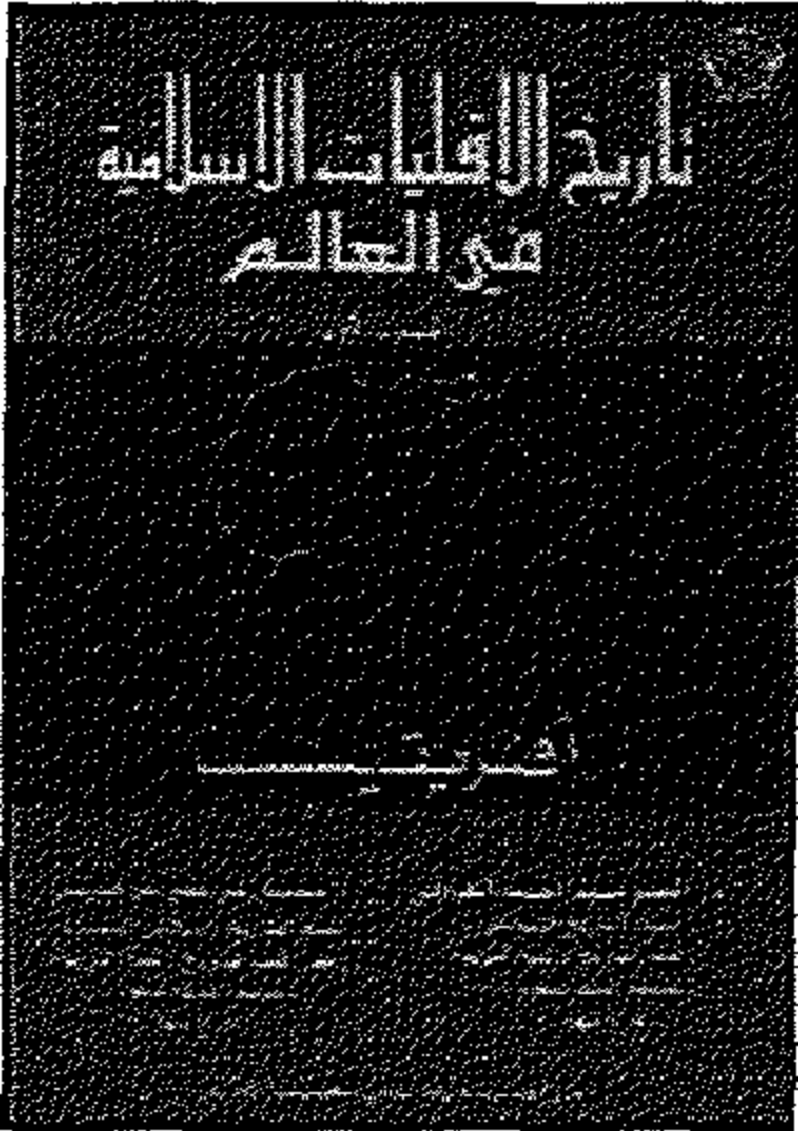


يقول مؤلف الكتاب في تعريفه الأستاذ الراحل عبد القدوس الانصاري (علم بارز من اعلام فكرنا العربي المعاصر، وظف حياته من اجل خدمة أبناء أمتة في ميادين العلم والمعرفة وقرن القول بالعلم والعمل الدؤوب المثمر، تدفعه إلى ذلك همّة المؤمن، وعزيمة الشاعر، وآمال الطموح المغامر، كان واسع الاطلاع والثقافة، دقيقاً في منهجه العلمي، حريصاً على الأمانة العلمية في البحث.

كان من رجال التنوير العربي ويكفيه فخراً أنه صاحب أول مجلة تصدر في المملكة العربية السعودية حيث أسسها في عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م. ولا تزال مستمرة بفضل الله تعالى في صدورها.

وهو أديب وشاعر وأثري وعالم مفكر .. جاء الكتاب في بابين اساسيين وعدد من الفصول، تناول فيها حياة الاستاذ عبد القدوس الانصاري وبيئته العلمية والفكرية والاجتماعية، كما تناول شعره وأدبه، ومؤلفاته، ومجلته المنهل.

والاطمئنان، وتحقيق الأئس النفسي، واحتضان قيم الخير والفضيلة، وممارسة الضبط الاجتماعي بما تؤصله من تقاليد وأعراف خيرة.



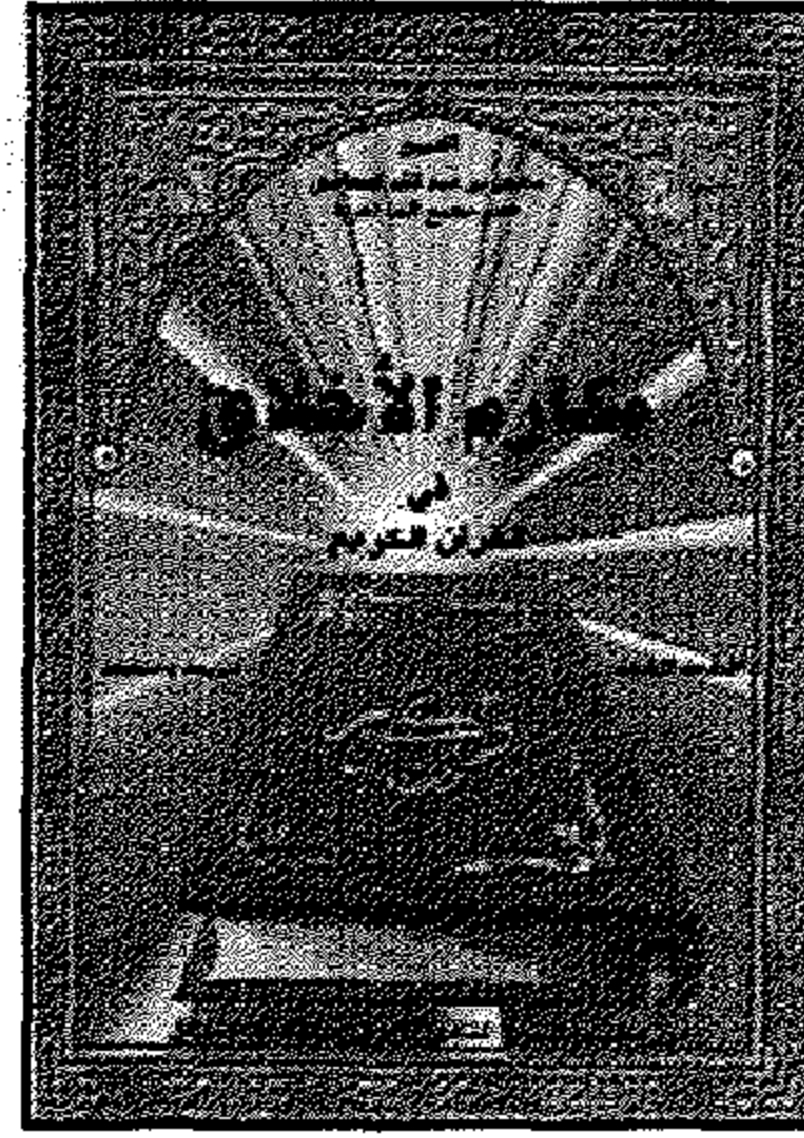
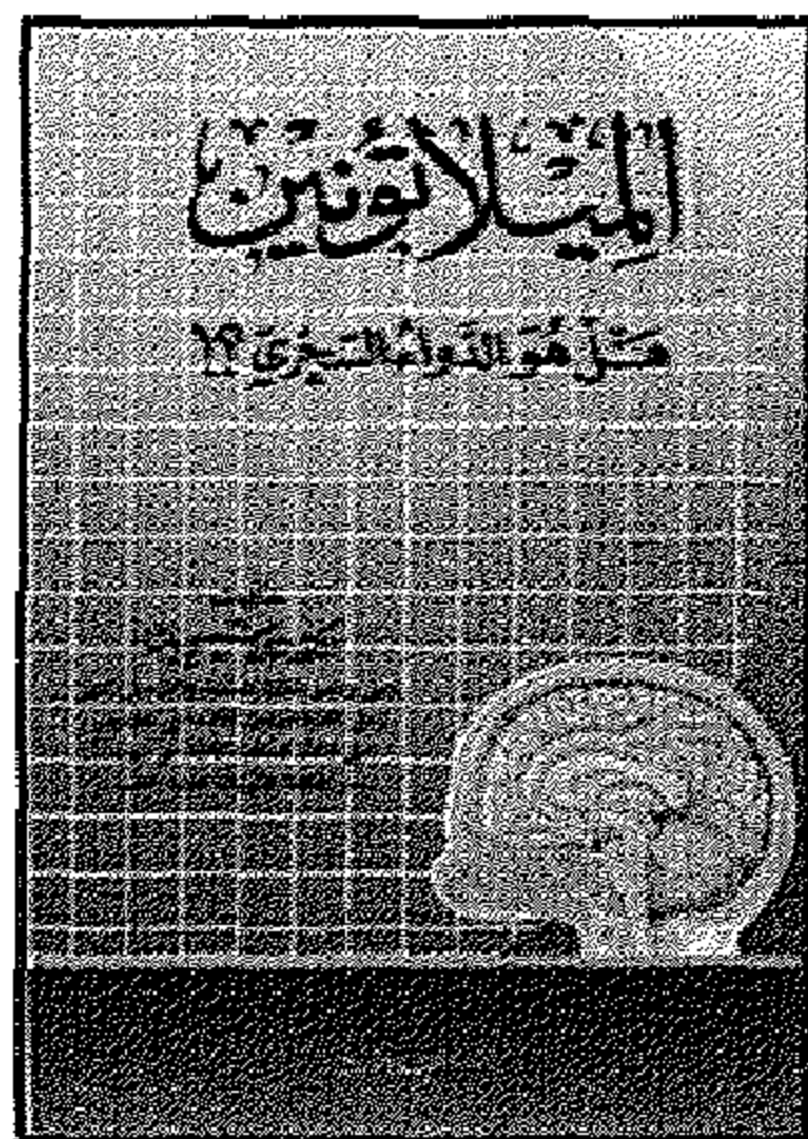
**** تاريخ الأقليات**
الاسلامية في العالم - الجزء الأول/ أفريقيا .
الكتاب من تأليف الدكتور سيد احمد العراقي والدكتور غيثان على جريس .
الكتاب في طبعته الاولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ومن منشورات نادي أبها الأدبي .

الهجرات العربية والإسلامية الى أفريقيا أدت دوراً هاماً وفعالاً في تشكيل تاريخ تلك المنطقة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ودينياً والامارات والدول التي انشأها المسلمون في تلك البلدان ساهمت اسهاماً ايجابياً في نقل الحضارة والفكر الاسلامي والعربي الى داخل افريقيا .

وموضوع هذا الكتاب هو علاج تاريخي لانتشار الإسلام بين الشعوب الافريقية المختلفة . وما آل إليه أمرها بعد انتشار البعثات التنصيرية وازدياد قبضة المستعمر على مقدرات تلك البلدان، مما كان له دوره السالب في انحسار الحركة الاسلامية في كثير من تلك البلدان ، وعلى هذا فان هذا الكتاب يتناول بالدراسة والبحث ملامح من تاريخ انتشار الاسلام في افريقيا . . الاقليات المسلمة في افريقيا (يوغنده - كينيا - تنزانيا - جنوب افريقيا - بورندي - موزمبيق - سيراليون) .

**** (الميلاتونين - هل هو الدواء السحري)؟ - تأليف الدكتور حسان شمسي باشا، أخصائي امراض القلب، صادر عن دار المنارة للنشر والتوزيع مكة المكرمة.**

يعد هذا الكتاب أول كتاب باللغة العربية



**** (مكارم الأخلاق في القرآن الكريم) تأليف الأستاذ الفريق يحيى بن عبد الله المعلمي/ عضو مجمع اللغة العربية . . من مطبوعات النادي الأدبي بمنطقة حائل، في طبعته الرابعة ١٤١٧هـ .**

«الدين حسن خلق»

والدين الاسلامي قائم على حسن الخلق وطيب المعاملة، وحسن السجية، والسماحة في كل شيء .
وهذا الكتاب القيم في طبعته الرابعة يرصد قدراً وافراً من مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ويسوق لها ادلتها وبراهينها ووجوب التمسك بمكارم الأخلاق لانها الحصن الحصين لصاحبها، بل هي التي ترفعه درجات عليّة في حياته ومماته .

والأستاذ الكبير يحيى المعلمي له سبقه في هذه الدراسات، وهذه مساهمة كريمة منه في التأكيد على التزام المكارم في الأخلاق والسلوك .

**** تخطيط وعمارة المدن الاسلامية، تأليف الأستاذ خالد محمد مصطفى عذب . . صادر عن (كتاب الأمة) لشهر ربيع الأول ١٤١٨هـ . . العمارة الاسلامية نمط من انماط العطاء الحضاري المدروس، وفق منهجية واضحة المعالم تحدد طبيعة المعمار بناء**

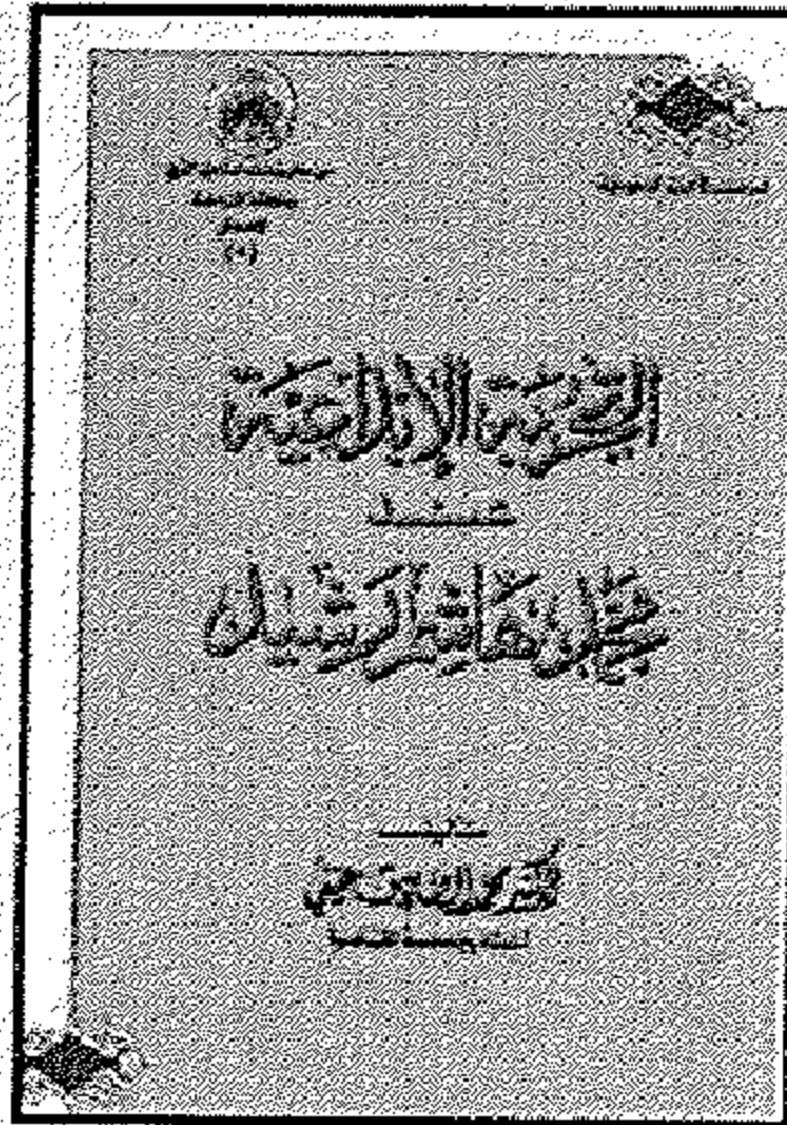
على طبيعة الافادة منه مع مراعاة ضوابط الشرع الحنيف في المعمار، هذا فضلاً عن الجانب الفني في المعمار الذي يعكس رؤية هذه الأمة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لاعمار الارض .

وهذا الكتاب يمكن ان يعتبر محاولة على الطريق الثقافي الطويل لفتح بعض النوافذ وتوجيه الانظار صوب قضية العمارة الاسلامية، خصائصها العمرانية ووظيفتها الاجتماعية، واهدافها التربوية، ودورها في البناء الخلقى، والتماسك الاجتماعي، ومنح الراحة



رشيد تشكل وجوداً شعرياً
فريداً في نوعه، لأن هذا
الوجود الشعري يضم الى
جانب المعاناة والمعالجة
كثيراً من السمات الابداعية
الفنية التي حفل بها
شعره.

هذا الكتاب جاء في
ثمانية فصول تناولت:
مفهوم التجربة الابداعية،
ثم تحدثت عن التجربة الجمالية، الاجتماعية، القومية،
الوجدانية، الوطنية، ثم التجربة الانسانية.



** (العلاقات التاريخية
المستمرة بين مصر ودول
الخليج من العصور
الفرعونية حتى العصر
الحديث).

هذا الكتاب من تأليف
الدكتور أمين ساعاتي ..
الكتاب يبحث في قضية
التواصل والتلاقي القائم بين

مصر ودول الخليج العربي، في محاولة للارتقاء بهذه
العلاقة بين هذه الدول الشقيقة إلى مستوى الوحدة،
كما هي الآن بين الدول الأوروبية .. ويقول في ذلك « ..
واذا كان مجلس التعاون الخليجي خطوة ناجحة على
طريق الوحدة العربية، فان العلاقات التاريخية
والتقارب المعهود بين المجتمع المصري والمجتمع
الخليجي يجب ان يكون الخطوة الطبيعية التالية التي
يجب ان تعقب الوحدة الخليجية» ..
جاء الكتاب في تقسيمه الموضوعي في ثلاثة ابواب،
مقسمة الى مجموعة من الفصول .. ومن اهم
عناوينها:

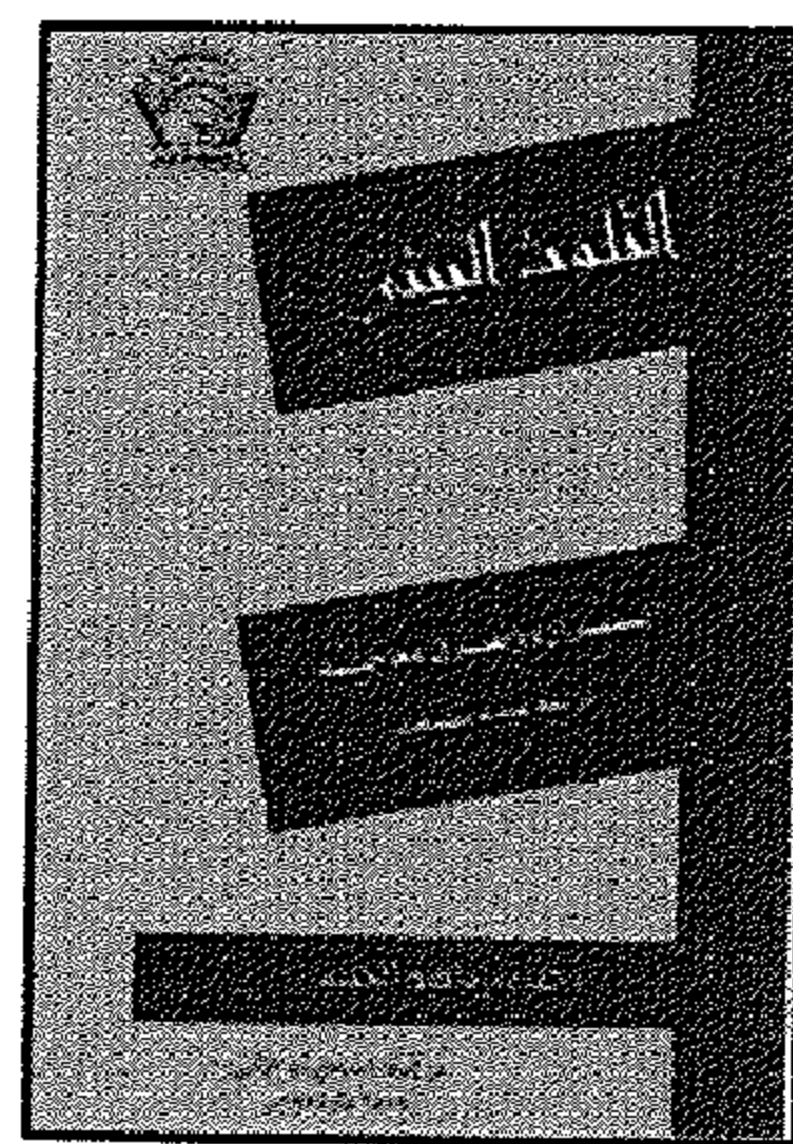
«الاصول العربية الاولى بين الجزيرة العربية ومصر
قبل الاسلام، والاتصالات الاولى بينهما، والحضارة بين
الصراع واللقاء .. وطبيعة العلاقات الاسلامية التي
تربط بين هذه الشعوب .. ثم طبيعة العلاقات
الاجتماعية والسياسية المتينة القائمة بين مصر ودول

يستعرض الابحاث العلمية الحديثة التي نشرت في
المجلات الامريكية والاوربية، التي اجريت على
(الميلاتونين).

ما هو الميلاتونين؟

هل يفيد الميلاتونين في علاج الارق والاعراض التي
تصيب السفر الطويل بالطائرة؟ هل يقاوم الميلاتونين
الجراثيم والفيروسات، ويزيد من مناعة الجسم؟ هل
للميلاتونين دور في علاج السرطان، وتأخير
الشيخوخة؟

هذا الكتاب يجيب عن كل هذه الأسئلة وغيرها .



** التلوث البيئي ..
اضراره وطرق معالجته/
دراسة علمية تطبيقية -
تأليف أحمد بن ابراهيم
المحيميد من اصدار نادي
ابها الأدبي ١٤١٨ هـ .
هذا الكتاب يتعلق بجانب
حيوي وهام من حياة
الإنسان، حيث اصبح
الانسان في الحياة

المعاصرة يدفع ضريبة ما يسمى بالحضارة المعاصرة
والتمدن الحديث بما يخلفانه أو ينفثانه من مواد
وعناصر تعكر الاجواء وتسمم الهواء والماء والثمار ..
والتلوث البيئي أصبح مشكلة قائمة وخطيرة ينبغي
تضافر الجهود من أجل مكافحتها والحد من ضرورها
ومخاطرها .

هذا الكتاب شرح انواع التلوث البيئي وخطورته على
الانسان والحيوان والبيئة المحيطة ..

وخرج هذا البحث بمجموعة من التوصيات منها:
(ضرورة التوعية البيئية، الترشيد في استهلاك ثروات
البيئة، المحافظة على الحياة الفطرية وإنمائها، القضاء
على ملوثات الحياة البشرية مثل الاشعاعات النووية
والحروب) والمجاعة .. ثم تقنين نظام حماية البيئة .

** (التجربة الابداعية عند محمد هاشم رشيد) -
تأليف الدكتور محمد الصادق عفيفي، من مطبوعات
النادي الأدبي بمنطقة الباحة .
التجربة الابداعية عن الشاعر الكبير محمد هاشم

حاجتنا إلى الترجمة



تتفاعل الحضارات مع بعضها البعض وتتأثر الشعوب بالثقافات المتقدمة حولها . وقد كانت الحضارة الإسلامية سباقة لمعرفة أهمية الاطلاع على ثقافات وافكار الشعوب الأخرى، فقامت حركة للترجمة ايام الخلفاء العباسيين بدأت مع الرشيد والمأمون، فنبع كثير من المترجمين الذين ترجموا لنا المنطق والفلسفة والعلوم التجريبية، كالطب والهندسة والجبر وغير ذلك . ونتج عن هذه الترجمات حركة علمية وأدبية كبيرة كان من أهم نتائجها أن نبغ كثير من علماء الإسلام . فلم يكتفوا بما قرأوه واطلعوا عليه، بل أضافوا إليه الكثير . . سواء في مجال الطب أو الهندسة أو الفلك والنجوم .

وليس حديثي اليوم عن ضرورة وأهمية ترجمة العلوم والتكنولوجيا، فذلك أمر مفروغ منه ولكنني أضيف إلى ذلك أهمية ترجمة الآداب العالمية وكتب التاريخ والاجتماع وغيرها . وقد قام الغرب بمشروع شبيه بذلك فترجم كثيرا من تراثنا العربي الاسلامي إلى لغاته الأوروبية المختلفة . بل لقد بالغ أدباء اسبانيا ومستشرقوها في الترجمة فلم يبق كتاب ولا ديوان من التراث الأندلسي إلا وترجموه إلى الإسبانية .

ومع بداية القرن العشرين بدأت حركة الترجمة في العالم العربي لأمهات كتب الآداب والفنون فبدأت بنقل روائع الأدب الانجليزي مثل مسرحيات شكسبير وقصص شارلز ديكنز وروائع الأدب الفرنسي مثل مسرحيات كورنى وقصص موباسان وبلزاك .

بقلم:
د. طاهر تونسي
- جدة -

وبعد أن قامت الثورة البلشفية تحول الأدباء العرب نحو الدولة الروسية الجديدة فدرسوا آدابها القديمة فوجدوا كنوزاً في الأدب الروسي الذي انتعش أيام القيصرية. فترجموا لنا روائع تولستوي ودستوفسكي وتورجنيف وتشيكوف واستمرت حركة الترجمة بزخم قوي حتى منتصف الستينيات من هذا القرن ومنذ ذلك الحين وحركة الترجمة تشهد تراجعاً مستمراً ملحوظاً.

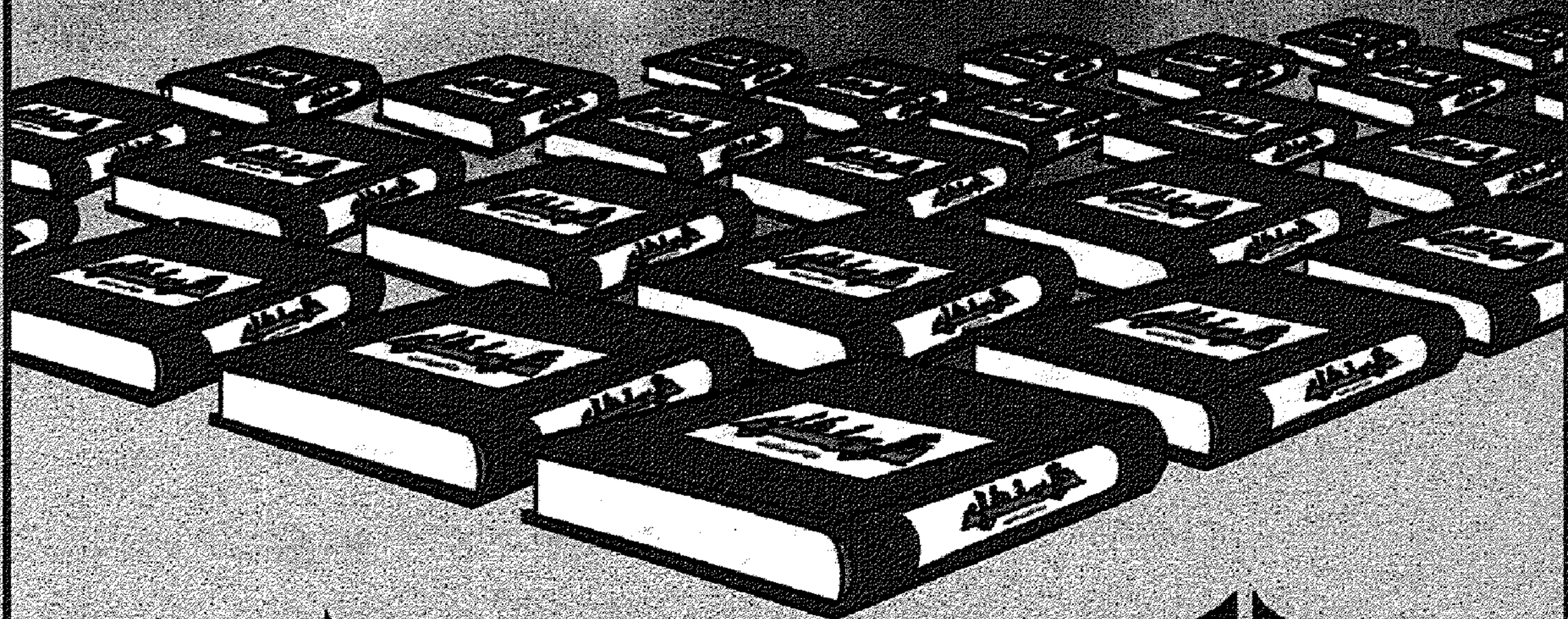
وقد بقي الكثير من التراث الأدبي العالمي لم يترجم بعد، فلم يترجم لنا أدب الأديب الألماني هردر ولم يترجم لنا روائع الأديب الألماني لسنج. ومن أهم روائع الشعر التي لم يترجم: الديوان الكامل للشاعر الإنجليزي الذي عمى قبل وفاته وهو جون ميلتون الذي اشتهر في تاريخ إنجلترا بتأييده الطاغية الإنجليزي أوليفر كرومويل. كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشير إلى مرجع هام من المراجع التاريخية التي يرجع إليها الباحث عندما يقرأ تاريخ الملك الفرنسي لويس الرابع عشر ألا وهو مذكرات الدوق سان سيمون، وقد رأيت هذه المذكرات في المتحف البريطاني وقد ترجمت إلى الإنجليزية في خمسة وعشرين مجلداً وقد اطلعت على الصفحات التي يصف فيها المؤلف الدوق سان سيمون الأديب الفرنسي فولتير وهي مذكرات عظيمة باهرة وكم أتمنى لو أراها مترجمة كاملة إلى العربية.

ولعل الزمان يجود بأمثال أولئك المترجمين النوابع من أمثال محمد السباعي في ترجمته لتوماس كارليل وطه حسين في ترجمته لفولتير والمازني في ترجمته لجالزورثي وسامي الدروبي في ترجمته لروائع دستوفسكي وعبد الوهاب عزام في ترجمته لروائع إقبال. ولا يفوتني أيضاً أن أدعو إلى إعادة طباعة كثير من المترجمات الأدبية التي لم يطلع عليها أبناء الجيل الحاضر حتى تعم الفائدة.

وهي دعوة لجامعاتنا الحبيبة كي تنشئ كل جامعة مركزاً للترجمة ولا يضير جامعة من الجامعات أن بدأ المركز محدود الإمكانيات فإن التشجيع المعنوي لا شك سيوصل هذه المراكز في يوم من الأيام إلى ما نبتغيه. وهي دعوة للمجالس العلمية في الجامعات بأن تطلب من كل عضو هيئة تدريس عند التقدم للترقية أن يترجم مقالا في تخصصه ترجمة دقيقة متميزة حتى تكون هذه المقالات المترجمة نواة لمجموعة علمية نافعة كما ستساهم هذه الفكرة في تقوية ملكة الترجمة عند هؤلاء الأساتذة الكرام.

الجموعة الكاملة
في ٦٤ مجلدا فاخرا

المنهج



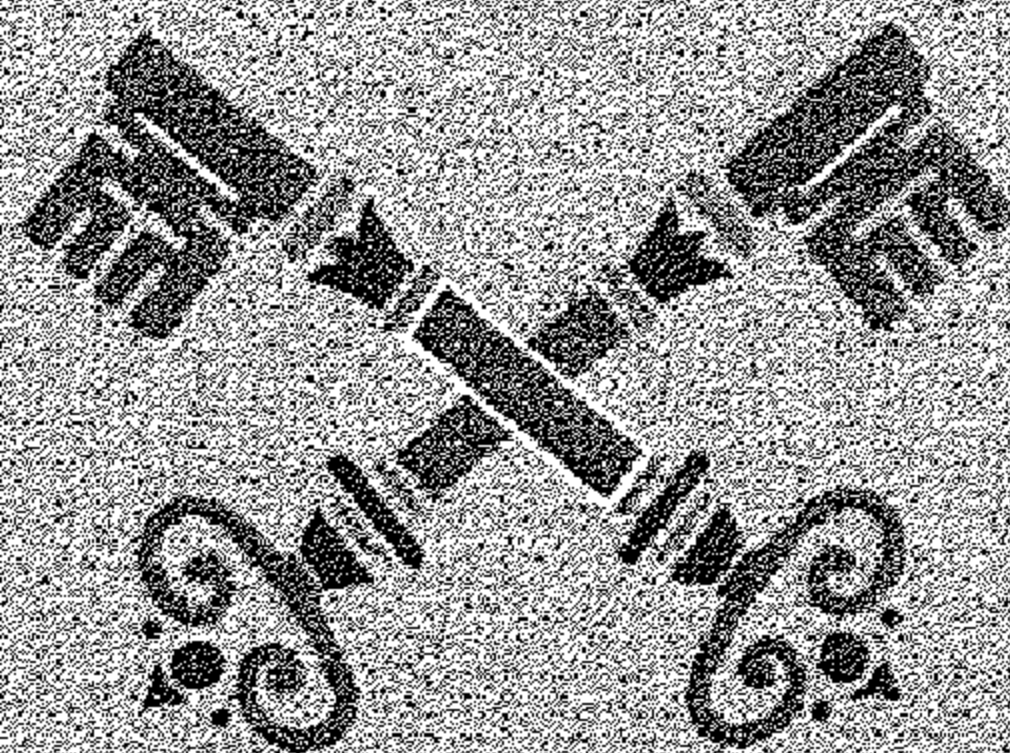
المنهج

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



محتاجك لعالم الفكر والمعرفة



اليوم الوطني

بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية

تتقدم

الملك السعودي

باسم آيات التهاني وأجمل الأماني إلى

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

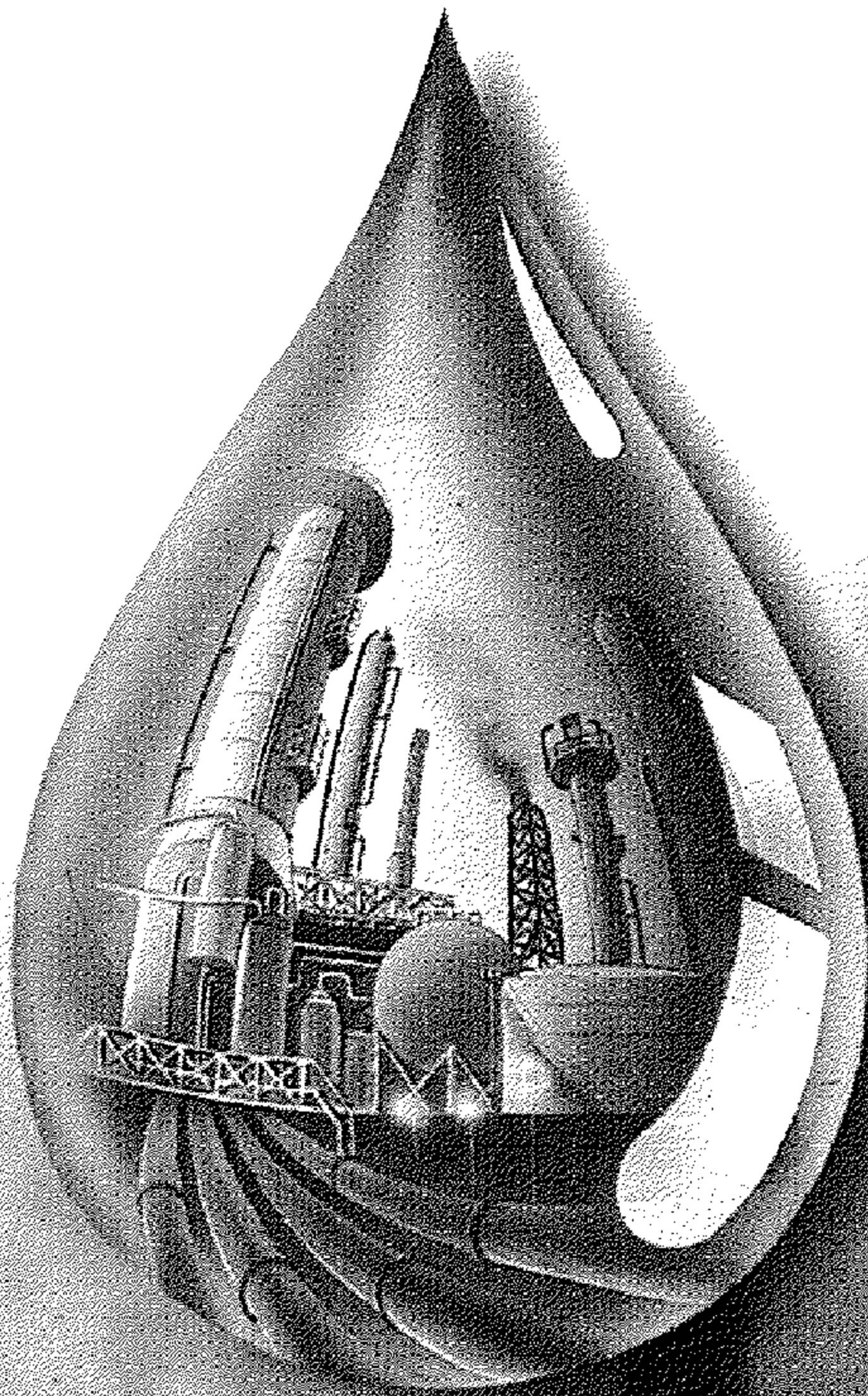
وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

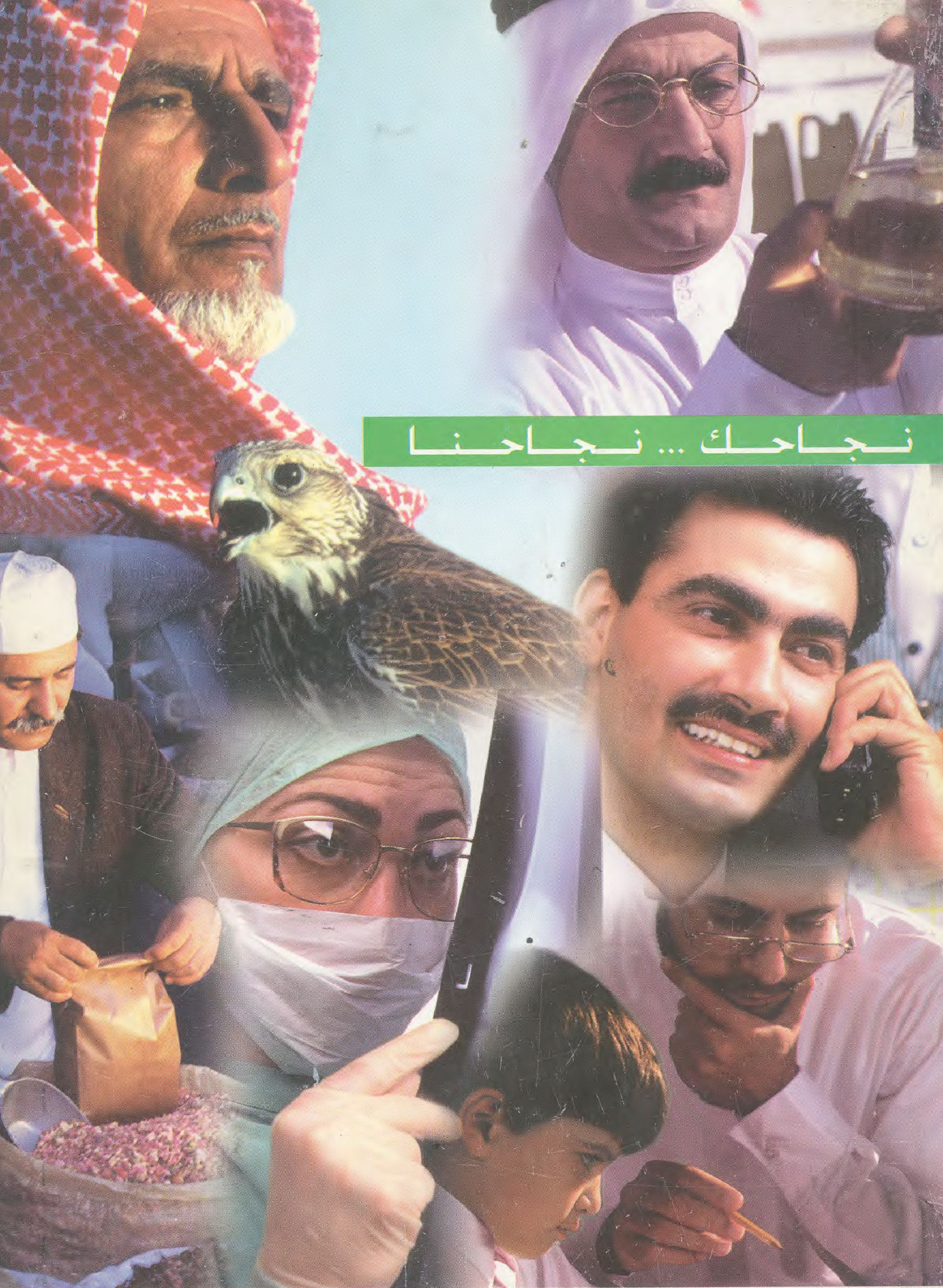
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

والي حكومة المملكة العربية السعودية وإلى الشعب السعودي الكريم





نجاحك ... نجاحنا

البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

